NURUOSMANIYE
1997
2411

الاول

من شرح البهجة شيخ الاسلام ابن الصباغ

رشحة النصيح من الحديث الصحيح ب ١٧ ك

طرقنجي افندي
٢٦٠

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESİ
Kısmı:	Nuruosm.
No	1997
Eski No	2411
Tasnif No	297.3 = 927

٧٢٧

2411

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

4392

وقف عمدة ملوك الدوران وسلسلة آل عثمان
مشكاة أنوار أنواع الحسنات مصباح مبارك
مجالس المبرات محيي السنة إمام الأمة السلطان ابن السلطان
السلطان أبو المحاسن والمواهب عثمان خان ابن
ابن السلطان مصطفى خان لا زالت أيامه مفاتيح
ومساعيه الجميلة مفاتيح أبواب الآمال وأنا الداعي
لدولته الحاج إبراهيم حنيف
المفتش بأوقاف الحرمين الشريفين
عفي له

بسم الله الرحمن الرحيم ومنه العون وبه نستعين

الحمد لله الذى جعل الارض معمورة بالنصايح الدينية وزين سماء
الملة الحنيفية بنجوم الاحكام الشرعية وهدى بها من شرح
صدره للاسلام الى الطريقة المحمدية ، ففضله على كثير من المخلوقات
ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، بالتكريمات الايمانية
، وخلصه في سلوكه باعتصامه بحبل الشريعة الاحمدية ،
من غوائل حجب الرذائل والشبه الظلمانية ، وابدى من مطالع
افق تلك السماء اقمار الرشد والسداد لاهل العناية والمراتب
الاحسانية ، ثم اطلع من مشارق عنايته شموس المعارف
اليقينية ، على قلوب عباده الذين اصطفى بالعصمة من الصفات
الردية ، فاكملهم بالاتصاف بصفات الكمالات البهية
والصلوة والسلام الاتمان الاكملان على خلاصة المقامات
الاصطفائية ، ونقاوة المنازل الاجتبائية ، سيدنا
وسندنا ونبينا محمد الذى ارسل رحمة للبرية ، وعلى آله
واصحابه المتخلقين بسنته السنية ، مادامت السموات

السموات والارض مشرقة بنجوم الاحكام الشرعية ، ومعمورة
مزينة بمصابيح النصايح الدينية اما بعد فان الكتاب والسنة
متطابقان ، والعقل والنقل متوافقان ، على ان الدين
مبنى على شيئين التعظيم لامر الله ، والشفقة على خلق الله ،
وكلاهما حاصلان بالنصيحة فالنصيحة اس الدين ودين
الموحدين ، فرب الارباب ومسبب الاسباب ،
جعل النصيحة الدينية والتحاب فى الله والاخوة فى دينه من
افضل القربات ، والطف مايستفاد من الطاعات في
مجاري العادات ، والنفس لكونه مدنيا بالطبع يحتاج فى تعيشه
الى الدنيا للتشمر والاكتساب ، وليس التشمر فى الدنيا مقصورا
دون المعاش على المعاد ، بل المعاش ذريعة الى المعاد ،
فالدنيا مزرعة الاخرة بالمناصحة بين العباد ، ثم انهم في
على ثلاثة اقسام قسم شغله معاشه عن معاده وهذا ظالم النفس
وقسم شغله معاده عن معاشه وهذا القسم من الفائزين وقسم
شغله معاشه لمعاده وهذا من المقتصدين الذين يجمعون الخصال
الست عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف
الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها

وعرف الاخرى فطلبها، ولن ينال رتبة الاقتصاد، ما لم يلازم
منهج النصيحة الدينية اذ بها الرشد والسداد لتحصيل الزاد
للمعاد، وهي تكميل الناقص وتصليح الفاسد وتطهر ارادة
الخير وتدل على الفوائد، وبها يحصل المعرفة باللوازم والعوائد
وانما استعد لهذه المعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه،
والعلم الذي هو فرض عين لا يحصل الا بالقلب بلا مين فالمعرفة
مطلوبة اطلبوا العلم ولو بالصين، وهي انما تحصل بالنصيحة الجامعة
لاركان الدين، روى مسلم في صحيحه عن تميم الداري عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال الدين النصيحة ثلثا قلنا لمن يا رسول الله
قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم وهكذا رواه
البخاري في صحيحه الا انه ليس في روايته ثلثا ولكتابه وروى
البخاري ومسلم ايضا عن جرير قال بايعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم على اقام الصلوة وايتاء الزكاة والنصح لكل مسلم
وفي رواية اخرى بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
فلقنني فيما استطعت والنصح لكل مسلم قال النووي ومما
يتعلق بحديث جرير منقبة ومكرمة لجرير رضي الله عنه رواها
الحافظ ابو القاسم الطبراني باسناده اختصارا ان جريرا

جريرا امر مولاه ان يشتري له فرسا فاشترى فرسا بثلثمائة
درهم وجاء به بصاحبه لينقده الثمن فقال جرير لصاحب الفرس
فرسك خير من ثلثمائة درهم اتبيعه باربعمائة قال ذلك اليك
يا ابا عبد الله فقال فرسك خير من ذلك اتبيعه بخمسمائة ثم
لم يزل يزيده مائة فمائة وصاحبه يرضى وجرير يقول فرسك
خير الى ان بلغ به ثمانمائة درهم فاشتراه بها فقيل له في ذلك
فقال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم قالوا
ان هذا الحديث احد ارباع الاسلام اي احد الاحاديث الاربعة
التي تجمع امور الاسلام وقال النووي ليس كما قالوه بل المدار على
هذا وحده وظاهر معنى الحديث ان يكون معظم الاركان الدين
او قوام الدين النصيحة على حذف المضاف ويحتمل ان يكون على ظاهره
لان كل عمل لا يراد به الاخلاص فليس من الدين والملة فاذا عرفت
هذا فاعلم ان المآرب في الدنيا كثيرة لكن ارفعها حالا ومآلا
وانفعها منقبة وكمالا واكملها رتبة وجمالا هي النصيحة اذ بها
يحصل المعارف الدينية والمعالم اليقينية فيدور عليها الفوز
بالسعادة العظمى والكرامة الكبرى، والاولى والاخرى، فلهذا
اردت شرح النصيحة بجميع الاخبار الصحيحة والآثار والحكم الفصيحة،

من الكتب المعتبرة المشهورة والاقوال المرغوبة المنصورة فمن جملتها
من التفاسير التفسير الكبير والتفسير القاضي البيضاوي وتفسير
القاضي عضد الدين وتفسير النيسابوري ومن كتب الاحاديث
الجامع الصحيح للبخاري والجامع الصحيح لمسلم والمصابيح والمشارق وشرح
البخاري للعيني وابن الحجر وشرح المسلم للنووي واتقان السيوطي
ومن اصول الكلام شرح عقايد السنوسي والرسالة القدسية
للغزالي والمسايرة لابن الهمام وشرح المواقف ومن اصول
الفقه البزدوي وشرح التقرير ومن الفتاوى التاتارخانية
وفتاوي قاضيخان والمحيط والسرخسي والفتاوى الظهرية
ومختارات النوازل والخلاصة والهداية ومن كتب الزهد احياء
العلوم والطريقة المحمدية ومن كتب المواعظ والحكم في نصيحة
الملوك سراج الملوك وسميته رشحة النصيح من الحديث
الصحيح ورتبته على خمسة مقاصد بعدد النصايح الخمس التي
هي كالمراصد والزمت ان اورد في كل مقصد شرح الذي
قاله شارحوا الصحيحين بالوفاق كالامام النووي والعيني وغيرهما
ممن يعتني بشانهم في علم الحديث على الاتفاق وبعد هذا
بوبت ما قالوه في هذا المقصد وجعلته كالاصول وجمعت

وجمعت في كل باب ما فيه من الآيات والاخبار والآثار
في ضمن الفصول الآتي المقصد الرابع على مسلكين كما
سلكوا اذ الاقتداء بهم لازم على كل من سلكوا وقصارى
ما في هذا الجمع المكسر على ابواب مقاصد النصايح والفصول
وهو الجمع السالم عما سوى الترغيب والترهيب ان يتلقاه
الناظرون اليه بالقبول فالمرجو من محض فضل الله الكريم
ان يوفقنا بلطفه الجسيم وان يجعله خالصا لوجهه بكرمه
العميم انه هو البر الرحيم وهو على ما يشاء قدير وبالاجابة
جدير المقصد الاول في النصيحة لله وهي ان ترجع الى
الايمان به ونفي الشرك عنه وترك الالحاد في صفاته وان
تصفه بما هو اهل له من صفات الكمال وان تنزهه عن النقايص
مع القيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه
ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها والاخلاص
في جميع الامور فحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصيحة
نفسه هذا ما قالوه في هذا المقصد وهو على خمسة ابواب
ولنقدم مقدمة في بيان الدين قبل النصيحة من قوله صلى الله عليه وسلم
الدين النصيحة المقدمة في تفسير الدين اعلم ان الدين يجيء

الاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم

لمعان بمعنى الجزاء ومنه الديان في صفة الله تعالى قال جل وعلا مالك
يوم الدين وبمعنى الطاعة قال الله تعالى ان الدين عند الله الاسلام
والاسلام في اللغة الانقياد والدخول في السلم او السلامة
او اخلاص العبادة من قولهم سلم له الشيء اي خلص له وهو في عرف
الشرع يطلق تارة على الاقرار باللسان في الظاهر ومنه قوله تعالى
قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ويطلق اخرى على الانقياد
الكلي في الظاهر والباطن وهو المراد ههنا اي الدين المرتضى
هو دين الاسلام ومنه قوله تعالى الا لله الدين الخالص فادعوا
الله مخلصين له الدين وبمعنى الشريعة لقوله تعالى شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا
فيه الآية اي شرع لكم من الدين دين نوح ومحمد ومن بينهما
من ارباب الشرايع وهو الاصل المشترك فيما بينهم المفسر بقوله
ان اقيموا الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله ولا تتفرقوا فيه اي ولا تختلفوا في هذا الاصل
واما قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلان فروع الشرايع
مختلفة فان فسر الدين بالشريعة فيكون الاسلام الاركان

بمعنى الدين بمعنى الملة

الاركان مخمسة كما في حديث جبرئيل عم ما الاسلام وتفسير
الدين بالشريعة شايع فمنه ما رواه البخاري في صحيحه انه قال
صلى الله عليه وسلم الدين يسر اي ذو يسر او عين يسر على سبيل
المبالغة من قبيل ابو حنيفة رحمة الله عليه فقه ورجل عدل ومن
هذا القبيل ايضا الدين النصيحة فالالف واللام في الدين للعهد وهو
دين الاسلام واليسر بضم السين وسكونها نقيض العسر
ومعناه التخفيف ثم كون هذا الدين يسرا يجوز ان يكون بالنسبة
الى ذاته ويجوز ان يكون بالنسبة الى ساير الاديان وهو الظاهر
لان الله تعالى رفع عن هذه الامة الاصر الذي كان على من قبلهم كعدم
جواز الصلوة الا في المسجد وعدم الطهارة بالتراب وقطع الثوب
الذي يصيبه النجاسة وقبول التوبة بقتل انفسهم ونحو ذلك
فانه الله من لطفه وكرمه رفع هذا عن هذه الامة رحمة لهم قال تعالى
وما جعل عليكم في الدين من حرج وتجيء الدين بمعنى الملة قال تعالى
قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم
حنيفا وما كان من المشركين امر سبحانه وتعالى بان يقول النبي صلعم
انني هداني ربي صراطا مستقيما دينا قيما وهو الملة الحنيفية التي
لا يخاف منها الضلال وقال تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من

سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم
بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين وقال تعالى ومن
احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم
حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا اي من احسن دينا ممن اخلص
نفسه لله لا يعرف لها ربا سواه او ممن بذل وجهه في السجود وهو
آت الحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم الموافقة لدين
الاسلام المتفق على صحتها مائلا عن سائر الاديان وقال تعالى
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا الآية فعلى هذا
يكون الملة والدين واحدا ومنه ما رواه البخاري في صحيحه من قول
النبي صلى الله عليه وسلم احب الدين الى الله الحنيفية السمحة اي احب
الدين المعهود وهو دين الاسلام الملة الحنيفية السهلة
التي لا حرج فيها ويدل عليه ما رواه احمد في مسنده بسند صحيح
من حديث اعرابي لم يسمه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول خير دينكم اليسره والملة الحنيفية الملة الابراهيمية مقتبسا
من قوله تعالى بل ملة ابراهيم حنيفا والحنيف عند العرب من كان
على ملة ابراهيم عليه السلام ثم سموا من اختتن وحج البيت حنيفا

الدين والملة
متحدان بالذات
مختلفان بالاعتبار

حنيفا والحنيف المائل عن الباطل الى الحق وسمي ابراهيم حنيفا
لانه مال عن عبادة الاوثان فالملة السمحة التي لا حرج فيها
ولا تضييق على الناس هي ملة الاسلام وفي شرح المواقف
الدين والملة متحدان بالذات ومختلفان بالاعتبار فان
الشريعة من حيث انها يطاع بها تسمى دينا ومن حيث
يجتمع عليها تسمى ملة واما التحقيق في دفع ما يقال من ان
ملة ابراهيم غير ملة محمد صلوات الله عليهما في الاصول والفروع
وهما متحدان في الاصول كالتوحيد والنبوة واصول مكارم
الاخلاق ولكنهما مختلفان في فروع الايمان ولا سبيل الى الاول
والا لم يكن شرع محمد ناسخا لسائر الشرائع ولا الى الثاني لانه يلزم
ان يكون محمد صلعم ايضا راغبا عن ملة ابراهيم ولان الاعتراف
بالاصول لا يقتضي الاعتراف بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم فبان يقال
ان المختار اتحاد الملتين في الاصول فقط ولكن نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم من جملة الاصول التي مهدها ابراهيم عليه السلام والمراد بملة
ابراهيم في الآية اصولها التي لا تختلف بمر الاعصار وكر الدهور
فلا يلزم ان يكون محمد صلى الله عليه وسلم راغبا عنها لانه امر باتباعها
ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا واعلم ان الملل الموجودة

في العالم بحسب العدد ستة وهي مذكورة بقوله تعالى ان الذين امنوا والذين
هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين اشركوا ان الله يفصل
بينهم يوم القيمة الآية ثم الاختلافات الاخر بين المتقدين للملل كلها
داخلة تحت هذه الستة بل مرتقية باثرها الى هذه الستة ثم ان الملل الست
لن تتجاوز الاربعة وهي الاعتقادات والعبادات والمعاملات
والمزاجر ثم الاعتقادات لن تتجاوز هذه الاصول وهي الايمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر وبالقدر خيره وشره من الله
تعالى ولا خلاف بين اهل الملل في ان الجاحد لواحد من هذه المذكورة
في قوله تعالى ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر فقد ضل ضلالا
بعيدا لن يعد مليا وكذلك امر العبادات لن يتجاوز الاصول الخمسة
وهي العبادة النفسانية اعني الصلوة والعبادة البدنية اعني الصيام
والعبادة المالية اعني الزكوة والعبادة المشتركة اعني الحج والعبادة
الملكية اعني الجهاد وكذلك امر المعاملات لن تتجاوز الخمسة وهي المناكحات
والمعاوضات والمخاصمات والمعاونات والمواريث وكذلك المزاجر
على هذه الخمسة فالمتدين لن يقع له خلاف في شيء من اصول الدين
وفروعه الا مع واحد من الطبقات الثلث احديها الطبقة المشاركة
في ملته وهي المعروفة بنبوة نبيه محمد صلعم كالخلاف بين المجبرة والقدرية في

في خلق الافعال البشرية والخلاف بين المجسمة والجهمية في صفات
خالق البرية وثانيتها الطبقة المباينة له في دينه المنابذة لكل من يعتزي
الى ملته كالخلاف بين اليهود والنصارى في نبوة المسيح صلوات الله
على نبينا وعليه وثالثها الطبقة المعاندة للاديان كلها المخالفة للاوضاع
الملل باسرها كالخلاف بين الدهرية والالهيين في اثبات الحق ووجوده
فاما الخلاف بين اهل الملة الواحدة فقسمان احدهما المتعلق بصناعة
الكلام وهو راجع في الحقيقة الى هذه الاصول الاعتقادية والثاني
المتعلق بصناعة الفقه وهو راجع في الحقيقة الى ثلثة اعني العبادات
والمعاملات والمزاجر وليس للخلاف المتعلق بصناعة الفقه كثير آفة
فان المخطي فيها عند ارباب المذاهب كلها يكون معذورا او ماجورا عند الله
تعالى فاما المتعلق بصناعة الكلام فيتنوع لنوعين منه ما يكون مجراه مجرى
الاصول ومنه ما يكون مجراه مجرى الفروع واعني بالاصول ما يتعلق بالمعاني
الخمسة التي سبق الذكر بها واعني بالفروع مثل الخلاف في ان ترك الفعل
فعل او ليس بفعل وان الاعراض تبقى او لا تبقى وليس ايضا للخلاف
الجاري مجرى الفروع كثير آفة فان للمخطي فيها عند ارباب المذاهب كلها
لن يستحق البراءة عنه فاما الجاري منها مجرى الاصول فاما ان يكون آفة
الخطا فيه راجعا الى معرفة الله تعالى او الى معرفة كتبه ورسله او الى معرفة الملائكة

والى معرفة المعاد وهذه بعينها آفات لخلاف الواقع بين اهل الملل المختلفة
وفي اصول البزدوي ودلت المسائل المتفرقة عن اصحابنا في المبسوط
وغير المبسوط على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهب اهل الاعتزال الى
سائر الاهواء وفي التقرير قيل اهل الاهواء تفرقوا اولا ست فرق
القدرية والجبرية والرفضة والخارجية والمشبهة والمرجئة ثم تفرق
كل فرقة اثنى عشر فرقة فصار اثنتين وسبعين فرقة وقد دلت
مسائل اصحابنا في كتبهم على انهم لم يميلوا الى شيء من مذاهبهم ثم قال ان
الشيخ رحمه الله نفى عنهم مذهب الاعتزال اولا ثم نفى مذهب جميع اهل الاهواء
لان المعتزلة اكثرهم خلافا في المسائل والدلائل ويدعون ان اصحابنا كانوا
على مذهبهم لا غير فنفى ذلك اولا للاهتمام انتهى فمن كانت الحكمة سجيته ولم يكن
الانف والتعصب آفته واليه يرجع قوله تعالى قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم
عليه آباءكم اولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون لم يتعذر
عليه ايثار ما هو الاشرف ولن يقع له خلاف في شيء من اصول الدين وما
يجري مجراها فيكون مؤمنا حقا ويعرف مرتبة الايمان والاسلام والاحسان
ويعبد الله الملك الديان وهو يهدي من يشاء الى صراط مستقيم الباب
الاول وهو من شرح النصيحة لله في بيان ان ترجع الى الايمان به اعلم ان
الايمان والاسلام واحد في عرف الشرع وهو تصديق النبي صلى الله عليه وسلم

اهل الاهواء تفرقوا اولا ست فرق

الايمان والاسلام واحد في عرف الشرع

وسلم في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به واقراره به والاعمال خارجة
عن حقيقته فلا يزيد ولا ينقص وانه الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب على
قول الامام الاعظم ابي حنيفة رحمة الله عليه وعامة الفقهاء ثم اختلفوا
في موضعين احدهما في حقيقة هذه المعرفة فمنهم من فسرها بالاعتقاد الجازم
اعتقادا تقليديا او علما صادرا عن الدليل وهم الاكثرون الذين يحكمون
ان المقلد مسلم ومنهم من فسرها بالعلم الصادر عن الاستدلال وثانيهما
اختلفوا في ان العلم المعتبر في تحقيق الايمان بماذا قال بعض المتكلمين
هو العلم بالله وبصفاته على سبيل التمام والكمال ثم انه لما كثر اختلاف
الخلق في صفات الله تعالى لا جرم اقدم كل طائفة على تضليل من عداه
من الطوائف فقال جمهور المحدثين والمعتزلة والخوارج الايمان مجموع
ثلثة امور اعتقاد بالحق والاقرار به والعمل بمقتضاه فمن اخل بالاعتقاد
وحده فهو منافق ومن اخل بالاقرار فكافر ومن اخل بالعمل ففاسق وفاقا
وكافر عند الخوارج خارج عن الايمان غير داخل في الكفر عند المعتزلة وفي
اصول البزدوي وصنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب العالم والمتعلم و
كتاب الرسالة وقال فيه لا يكفر احد بالذنب ولا يخرج به من الايمان ويترحم
له وكان اماما صادقا في علم الاصول وقد صح عن ابي يوسف انه قال ناظرت
ابا حنيفة في مسئلة خلق القرآن ستة اشهر فاتفق رأيي ورأيه ان من

الايمان اقرار باللسان ومعرفة بالقلب على قول الامام الاعظم

في اصول البزدوي وصنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب العالم والمتعلم وكتاب الرسالة

حديث الايمان

قال بخلق القرآن فهو كافر وقد صح هذا القول عن محمد انتهى وفي المصابيح قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ طلع
علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه اثر السفر ولا
يعرفه احد حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم واسند ركبتيه الى ركبتيه ووضع
يديه على فخذيه فقال يا محمد اخبرني عن الايمان فقال الايمان ان تؤمن بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره فقال صدقت
قال فاخبرني عن الاسلام قال الاسلام ان تشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحج البيت
ان استطعت اليه سبيلا قال صدقت قال اخبرني عن الاحسان قال الاحسان
ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك قال فاخبرني عن
الساعة قال ما المسؤول عنها باعلم من السائل قال فاخبرني عن اماراتها
قال ان تلد الامة ربتها وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون
في البنيان ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لي يا عمر اتدري من السائل
قلت الله ورسوله اعلم قال فانه جبرئيل اتاكم يعلمكم امر دينكم وفي صحيح
البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده
والمهاجر من هاجر ما نهى الله عنه وايضا في صحيحه عن عبد الله ابن عمر رضي الله
عنهما ان رجلا سأل النبي صلعم اي الاسلام خير فقال تطعم الطعام وتقرأ

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده

بني الاسلام على خمس

السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف وعنه رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان
فثبت بهذا حصول الاسلام بالشهادتين من غير اقامة الدلائل وكان دليلا
على جواز ايمان المقلد ونفيا لمذهب بعض المعتزلة وفي المصابيح عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون
شعبة فافضلها قول لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان وفي التفسير الكبير قالت المعتزلة لفظ الايمان والكفر
والصلوة والزكوة والحج الفاظ شرعية لا لغوية والمعنى ان الشرع نقل هذه
الالفاظ عن مسمياتها اللغوية الاصلية الى مسميات اخرى وعندنا
ان هذا باطل وليس تصرف في هذه الالفاظ الا من وجه واحد وهو انه خصص
هذه الاسماء بنوع واحد من مسمياتها مثلا الايمان عبارة عن التصديق
فخصصه الشرع بنوع معين من التصديق والصلوة عبارة عن الدعاء فخصصه
بنوع معين من الدعاء وكذلك القول في البواقي ودليلنا على صحة مذهبنا
قوله تعالى قرآنا عربيا وقوله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه انتهى
وقال بعضهم المراد بالايمان ههنا ثمراته الا ترى انه من اسلم ولم يمط الاذى
وهو الذي يؤذي المار كالحجر والشوك وغيرهما من الطريق لم يكن قادحا

الايمان بضع وسبعون شعبة

في ايمانه واذا كان المراد ثمراته لم يقع بينه وبين حديث جبرئيل سوال جبرئيل
مدافعة قال حجة الاسلام في الاحياء ان الايمان تارة يخص في اطلاقه
بالتصديقات باصول الدين وتارة يخص بالاعمال الصادرة عنها وتارة
يطلق عليها جميعا وللمعارف ابواب وللاعمال ابواب ولاشتمال لفظ
الايمان على جميعها كان الايمان نيفا وسبعين بابا انتهى وقال في
التاتارخانية سئل ابو بكر العياضي عن الايمان ايزيد وينقص ام لا فقال
الايمان في اللغة على انواع ووجوه الايمان الذي هو لحق العبد من حالة
الكفر الى حالة الاسلام لا يزيد ولا ينقص فالايمان الذي هو عبارة
عن اليقين كقوله تعالى ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ونحو ذلك فانه يحتمل الزيادة
والنقصان وقال ابو القاسم الحكيم وجدت التوحيد بين الناس على
وجهين توحيد متفق على صحته وتوحيد مختلف في صحته فالاول هو
الذي عليه عوام الناس والعجائز والتوحيد الذي يختلف في صحته هو التوحيد
الذي اختلف الناس في فروعه فيكفر بعضهم قال وانا اختار الذي
لم يختلف فيه احد وانه صحيح وهو التمسك بالجملة التي عليها عوام الناس
وبالله التوفيق انتهى وقال بعضهم ان شعب الايمان وان كانت متعددة
الا ان حاصلها يرجع الى اصل واحد وهو تكميل النفس على وجه يصلح معاشه
ويحسن معاده وذلك بان يعتقد الحق ويستقيم في العمل قال صلى الله عليه وسلم

سئل ابو بكر العياض عن الايمان ايزيد وينقص ام لا

وسلم لسفيان الثقفي حين سأله في الاسلام قولا جامعا قل آمنت بالله
ثم استقم فالاصل الواحد في الحقيقة اعتقاد الحق والاستقامة في العمل
والاعتقاد يتشعب الى ستة عشر شعبة طلب العلم ومعرفة الصانع
وتنزيهه عن النقائص وما يتداعى اليها والايمان بمثل الحيوة والعلم
والقدرة والاقرار بالوحدانية والاعتراف بان ما عداه صنعه لا يوجد
ولا يعدم الا بقضائه وقدره والايمان بملائكته وتصديق رسله
وحسن الاعتقاد فيهم والعلم بحدوث العالم واعتقاد فنائه على ما
ورد به التنزيل والجزم بالنشأة الثانية واعادة الارواح الى الاجساد
والاقرار باليوم الآخر والعمل ينقسم الى ثلثة اقسام ما يتعلق بالمرء
نفسه ظاهرا وباطنا اما ما يتعلق بالظاهر فيسمى فن العبادات
فشعبها ثلث عشرة طهارة البدن عن الحدث والخبث واقامة الصلوة
وايتاء الزكوة والقيام بامر الجنائز وصيام رمضان والاعتكاف
وقراءة القرآن وحج البيت والعمرة وذبح الضحايا والوفاء بالنذر
وتعظيم الايمان واداء الكفارات واما ما يتعلق بالباطن فحاصله
تزكية النفس عن الرذائل واصول شعب الرذائل عشرة شره الطعام
وشره الكلام وحب الجاه وحب المال وحب الدنيا والحقد والرياء
والعجب والكبر والتخلية عن الكمالات واما امهات تزكية النفس فثلث

عشرة التوبة والخوف والرجاء والزهد والحياء والشكر والوفاء والصدق
والصبر والاخلاص والمحبة والتوكل والرضاء بالقضاء والقسم الثاني
ما يتعلق به وباهل منزله وخواصه وشعبها ثمان التعفف عن الزنا
والنكاح والقيام بحقوقه والبر بالوالدين وصلة الرحم وطاعة السادة
والاحسان الى المماليك والعتق والقسم الثالث ما ينوط به صلاح العباد
وشعبه سبع عشرة القيام بامان المسلمين واتباع الجماعة ومطاوعة
اولى الامر والمعاونة الى البر واحياء معالم الدين ونشرها والامر
بالمعروف والنهى عن المنكر وحفظ الدين بالزجر عن الكفر ومجاهدة
الكفار والمرابطة في سبيل الله وحفظ النفس بالكف عن الجنايات
واقامة حقوقها من القصاص الديات وحفظ اموال الناس بطلب
الحلال واداء الحقوق والتجافي عن المظالم وحفظ اللسان عن اعراض الناس
واقامة حدود الزنا والقذف وصيانة العقل بالمنع عن تناول المسكرات
بالتهديد والتاديب عليه ودفع الضرر عن المسلمين ومن هذا القبيل
اماطة الاذى عن الطريق والتوفيق من ولى التوفيق الباب الثاني
في بيان نفي الشرك عنه وترك الالحاد في صفاته وان يصفه بما هو اهله
من صفات الكمال وينزهه عن النقايص وهذا البيان في ضمن معنى كلمة
التوحيد اعلم ان الواجب على كل عاقل ان يهتم لدينه وينظر لعواقب امره

امره وان يصحح اعتقاده في واحد واحد من معتقدات اهل السنة
وان يعتصم من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير
الاولين وعقايدهم بالمنهج المبين فاهل السنة جمعوا بالقبول بين
نتايج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا ان النطق بما
تعبدوا من قول لا اله الا الله محمد رسول متحقق الاحاطة بما يدور
عليه الشهادة من الاصول وعرفوا ان كلمتي الشهادة على ايجازها
تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات افعاله
واثبات صدق الرسول فعلموا ان كل ركن من هذه الاربعة
يدور على ما ذكر من الاصول الركن الاول هو اثبات ذات الاله
تعالى وتقدس يدور على المعرفة بوجوده تعالى وقدمه وبقائه وانه ليس
بجسم ولا جوهر ولا عرض وانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا بمكان
وانه مرئي وانه واحد الركن الثاني وهو اثبات صفاته تعالى يدور
على العلم بكونه منزها عن الحوادث وان له صفات قديمة قائمة بذاته
لا هو ولا غيره هي الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والارادة
والكلام والتكوين ايضا عندنا من صفاته القديمة القائمة بذاته تعالى
خلافا للاشاعرة فانهم ارادوا بصفات الافعال التي تدل عليها كقوله
تعالى الخالق البارئ المصور ونحو الرازق والمحيي والمميت صفات

تدل على تأثير وتلك الصفات اسماء غير اسم القدرة باعتبار اسماء
اثارها وكل تلك الصفات بجميعها اسم التكوين يصدق على كل منها
فان كان ذلك الاثر رزقا فالاسم الرازق والصفة الترزيق او مخلوقا
فالاسم الخالق والصفة الخلق وغير ذلك والكل التكوين والركن الثالث
وهو اثبات افعاله تعالى يدور على ان افعال العباد مخلوقة لله تعالى وانها
مكتسبة للعباد وانها بارادة الله تعالى وانه متفضل بالخلق وانه ليس له
تكليف ما لا يطاق فيما كان ممتنعا لذاته واما اذا كان ممتنعا لتعلق
علم الله تعالى بعدم وقوعه كايمان من علم تعالى انه لا يؤمن فان التكليف
جائز عقلا ولا يجب عليه رعاية الاصلح وانه لا واجب الا بالشرع وان
في بعثة الانبياء حكمة وان نبوة نبينا خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم
ثابتة مؤيدة بالمعجزات وان شريعته ناسخة للشرايع التي قبلها الركن
الرابع وهو السمعيات يدور على اثبات الحشر والنشر وعذاب القبر
وسؤال منكر ونكير والكتاب والميزان والصراط وخلق الجنة والنار
واحكام الامامة وفضل الصحابة الاربعة على حسب ترتيبهم في الخلافة
اذ كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يأخذهم في الله لومة لائم فهم على الحق
هذا وسئل بعضهم عن الله تعالى فقال ان سألت عن ذاته فليس كمثله شيء
وان سألت عن صفاته فهو احد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا

كفوا احد وان سألت عن اسمه فهو الذي لا اله الا هو الرحمن الرحيم
وان سألت عن فعله فكل يوم هو في شأن والقول في الاستواء ما قاله
انس بن مالك رضي الله عنه حين سئل عن ذلك فقال الاستواء
معلوم والكيف غير معقول والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة
واعلم ان دعوة الخلق الى التوحيد بعث الله الانبياء ليقولوا لا اله
الا الله وما امروا ان يقولوا للعالم اله فان ذلك كان مجبولا في فطرة
عقولهم من مبدا نشوئهم قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله وقال تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة
الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله وكم من شواهد القرآن ما يغني
عن البرهان وان المعاني المقدرة عقلا في لا اله الا الله باعتبار معنى
المستثنى منه والمستثنى اربعة ثلثة منها باطلة والرابع ينقسم الى قسمين
واحد قسميه ايضا باطل والآخر هو الذي يصح من الاقسام كلها فالثلثة الباطلة
ان تكون المستثنى منه والمستثنى جزئيين او كليين او الاول جزئي
والثاني كلي والرابع ان يكون الاول كليا والثاني جزئيا فان كان
المراد بالكلي الذي هو الاله مطلق المعبود لم يصح لكثرة المعبودات
الباطلة كالنار والشمس والملائكة والاصنام والاوثان الى غير ذلك
وان كان المراد بالكلي المعبود بحق وهو المستغني عن كل ما سواه والمفتقر اليه

كل ما عداه صح فلا يصح من هذه الاقسام كلها الا ان يكون المستثنى منه كليا
بمعنى المستغنى عن كل ما سواه والمفتقر اليه كل ما عداه فالمنفى كل فرد من
افراد حقيقة المستثنى منه غير خالق العالم جل شانه وعظم برهانه
والمثبت من تلك الحقيقة فرد احد صمد واحد بالوحدانية الذاتية والصفاتية
والافعالية وكلها واجبة له تعالى وانما الاتيان بالا فى هذه الكلمة السعيدة
فلقصر دلالته عليه تعالى بمعنى انه لا يمكن ان يوجد عقلا ولا شرعا تلك
الحقيقة لغيره تعالى فيظهر بهذا اندراج جميع عقايد الايمان تحت معنى هذه
الكلمة الشريفة اذ معنى الالوهية استغناء الاله الموصوف بها عن كل
ما سواه مطلقا وافتقار كل ما سواه اليه مطلقا فمعنى لا اله الا الله لا مستغنى
عن كل ما سواه مطلقا ومفتقر اليه كل ما عداه ابتداء بالايجاد ودواما
بالامداد الا الله تعالى اما استغناؤه عز وجل عن كل ما سواه فيوجب له
تعالى الوجود والقدم والبقاء ومخالفته للحوادث والقيام بنفسه
والتنزه عن النقايص ويدخل فى ذلك وجوب السمع له تعالى والبصر
والكلام اذ لو لم يوجب له هذه الصفات لكان محتاجا الى المحدث
او المحل او من يدفع عنه النقايص ويؤخذ منه تنزهه تع عن الاغراض
فى افعاله واحكامه والا لزم افتقاره تع الى ما يحصل غرضه كيف
وهو عز وجل الغنى عن كل ما سواه وكذا يؤخذ منه ايضا انه لا يجب عليه

فعل شيء من الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه تعالى شيء منها عقلا
كالثواب مثلا لكان عز وجل مفتقرا الى ذلك الشيء ليتكمل به اذ لا يجب فى
حقه تعالى الا ما هو كمال له كيف وهو عز وجل الغنى عن كل ما سواه واما
افتقار ما سواه اليه عز وعلا فهو يوجب له تع الحياة وعموم القدرة
والارادة والعلم اذ لو انتفى شيء منها لما امكن ان يوجد شيء من الحوادث
فلا يفتقر اليه شيء كيف وهو الذى يفتقر اليه كل ما سواه ويوجب له
ايضا الوحدانية اذ لو كان معه ثان فى الالوهية لما افتقر اليه شيء للزوم
عجزهما حينئذ كيف وهو الذى يفتقر اليه كل ما سواه ويؤخذ منه ايضا
حدوث العالم باسره اذ لو كان شيء من العالم قديما لكان واجب
لا يقبل العدم فانه من ثبت قدمه استحال عدمه واذا كان لا يقبل
العدم لا سابقا ولا لاحقا لم يفتقر الى مخصص كيف وكل ما سواه
يفتقر اليه كل الافتقار فوجب الحدوث لكل ما سواه عز وجل وكذا
يؤخذ منه ايضا ان لا تاثير لشيء من الكائنات فى اثر ما والا لزم
ان يستغنى ذلك الاثر عنه تعالى اذ لو خرج عن قدرته تعالى ممكن ما لم يكن
ذلك الممكن مفتقرا اليه تعالى بل انما يفتقر الى من اوجده كيف وكل ما
سواه مفتقر اليه غاية الافتقار وبهذا يبطل مذهب القدرية
القائلين بتاثير القدرة الحادثة فى الافعال الاختيارية مباشرة

او توليد او يبطل مذهب الفلاسفة القائلين بتأثير الافلاك والعلل
ويبطل مذهب الطبايعيين القائلين بتأثير الطبايع والامزجة وكونها
ككون الطعام يشبع والماء يروي والنار تحرق ونحو ذلك وهم في
اعتقادهم التأثير لتلك الامور يختلفون فمنهم من يعتقد ان تلك
الاشياء تؤثر فيما قارنها بطبعها وحقيقتها ولا خلاف في كفره
ومنهم من يعتقد انها تؤثر بقوة جعلها الله تع فيها قد تبع الفلاسفة
في هذا كثير من عامة المؤمنين ولا خلاف في بدعته والمؤمن الكامل
لا يعتقد لها تأثيرا اصلا لا بطبعها ولا بقوة وضعت فيها وانما
الله سبحانه وتع اجرى العادة بمحض اختياره ان يخلق تلك الاشياء
عندها وما قارنها يصح تخلفه عنها فقد تكون النار ولا يوجد الاحراق
كنار ابراهيم والسكين ولا يوجد القطع كقصته مع ابنه عليهما السلام
حكى عن واحد من الثقات انه قال اتفق لنا في مجلس حضرناه وقد جاء حكايه
شخص ينكر النبوة وما ظهر به الانبياء من خرق العوائد وان الحقايق
لا تتبدل وكان زمن البرد والشتاء وبين ايدينا منقل عظيم
يشتعل نارا فقال المنكر ان العامة تقول ان ابراهيم ع م القي في النار
فلم تحرقه والنار محرقة بطبعها الجسوم القابلة للاحراق وانما كانت
النار المذكورة في القرآن في قصة ابراهيم عبارة عن غضب نمرود

نمرود عليه وكونها لم تحرقه اي لم يؤثر غضب الجبار لما ظهر عليه من الحجة
بما اقامه من الادلة فيما ذكر من افول الانوار وانها لو كانت آلهة ما افلت
فركب له من ذلك دليلا فلما فرغ من قوله قال له بعض الحاضرين وهو من
اولياء الله تعالى ممن كان له هذا المقام والتمكن فان اريتك انا صدق
الله تعالى في ظاهر ما قاله من النار انها لم تحرق ابراهيم عليه السلام وان
الله تعالى جعلها عليه بردا وسلاما وانا اقوم لك في هذا المقام مقام
ابراهيم ع م في الذب عنه لا ان ذلك كرامة في حقي فقال الرجل المنكر
هذا لا يكون فقال له اليست هذه هي النار المحرقة قال نعم فقال تراها
في نفسك ثم القى النار التي في المنقل في حجر المنكر وبقيت على ثيابه
مدة يقلبها المنكر بيده فلما رآها ما تحرقه تعجب ثم ردها الى المنقل
ثم قال له قرب يدك ايضا منها فقرب يده فاحرقته فقال له هكذا
الامر كان وهي مامورة تحرق بالامر وتترك الاحراق كذلك والله الفاعل
لما يشاء فاسلم ذلك المنكر واعترف انتهى فقد تبين ان قول من
قال يؤثر بطبعها يبطل بافتقار كل ما سواه اليه وانها لو كانت
تؤثر بطبعها فيما قارنها لزم ان يفتقر ذلك المقارن اليها ويستغني
عن الله عز وجل وذلك محال لوجوب افتقار كل ما سواه اليه واما
من قال انها تؤثر بقوة جعلها الله تعالى فيها فيبطل قوله باستغنائه

عز وجل عن كل ما سواه لانه لو كان الامر كما زعم لزم ان يكون الله تع لا يقدر
على فعل بعض الممكنات الا بواسطة وهى القوة التى تخلق فى النار
ونحوها من الاسباب العادية فيكون مفتقرا اليها فالمذهب المختار
ان منشأ احتياج الممكن الموجود الى المؤثر كونه ممكنا وهذا الوصف لا
ينفك عنه مطلقا فهو محتاج على كل حال والاعتقاد الصحيح ان الله خلق
للعباد قدرة على افعالهم الاختيارية تقارنها ولا تؤثر فيها وانما
المؤثر هو الله تعالى واحده والقدرة توجد الافعال الاختيارية عندها
لا بها ولا فيها كالنار بالنسبة الى الاحراق والله الموفق فصل
فاذا عرفت تضمن قولنا لا اله الا الله ما يجب فى حقه تعالى وما
يجوز وما يستحيل فاعلم ان قولنا محمد رسول الله يدخل فيه الايمان
بساير الانبياء والملائكة عليهم السلام والكتب السماوية واليوم
الاخر لانه صلى الله عليه وسلم جاء بتصديق جميع ذلك اذ لا شك ان
تصديق نبينا صلعم فى انه رسول الله بما دلت عليه معجزاته التى لا تحصى
يستلزم التصديق بكل ما جاء به ويؤخذ منه وجوب صدق الرسل
واستحالة الكذب عليهم والا لم يكونوا رسلا امناء لله عز وجل
واستحالة فعل المنهيات كلها لانهم ارسلوا ليعلموا الخلق باقوالهم
وافعالهم وسكوتهم ويؤخذ منه جواز الاعراض البشرية عليهم اذ

اذ ذاك لا يقدح فى رسالتهم وعلو منزلتهم عند الله تعالى بل ذلك
مما يزيد فيها فقد تبين تضمن كلمتى الشهادة مع قلة حروفها
بجميع ما يجب على المكلف معرفته من عقايد الايمان فى حقه تعالى وفى
حق رسله عليهم الصلاة والسلام فمن كان اعتقاده كذلك نجا من جميع
المهالك واعتصم بالحبل المتين وهو الصراط المستقيم بين المسالك
واكثر ما اغتر به المبتدعة ظواهر الكتاب والسنة التى لم يحيطوا
بعلمها فان عمدتهم التقليد بما لا يصلح وبما لا يصلح الاقتداء به وتركوا
الانظار الزكية العقلية المستضيئة بانوار الادلة السمعية الشرعية
من الكتاب والسنة السنية ولهذا قيل ان اصول الكفر الايجاب
الذاتى والتحسين العقلى والربط العادى والتقليد الردى والجهل
المركب والتمسك فى اصول العقايد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة
للجهل بادلة العقول وعدم الارتياض باساليب الكلام فالاول
وهو الايجاب الذاتى هو اصل كفر الفلاسفة حيث جعلوا الذات
العلية فاعلة بمقتضى الايجاب فقالوا لاجل ذلك بنفى القدرة
والارادة وساير الصفات تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا وقالوا
لاجل ذلك بقدم العالم وتركوا البرهان القطعى الدال على حدوثه
ولا شك انك عرفت بما سبق وجوب الحدوث للعالم ووجوب

القدم والبقاء له تعالى وعرفت قطعاً ان صدور العالم عنه تعالى انما
هو بمحض الاختيار لا بالايجاب الذاتي والثاني وهو التحسين العقلي
اصل كفر البراهمة من الفلاسفة حتى نفوا النبوات واصل ضلالة
المعتزلة حتى اجبوا على الله تعالى مراعات الصلاح والاصلح لخلقه
وعللوا افعاله واحكامه بالاغراض وجعلوا العقل يتوصل وحده
دون شرع الى احكام الله تعالى الى غير ذلك من الضلالات حتى يحكى انه
وقعت مناظرة بين الشيخ الاشعري والجبائي في مسئلة مراعاة
وقعت مناظرة بين الشيخ الاشعري والجبائي
الصلاح والاصلح فقال الشيخ الاشعري للجبائي ما تقول في ثلثة
اشخاص مات احدهم قبل البلوغ والآخر بعد البلوغ كافراً والآخر
مات بعده مؤمناً فقال الجبائي اما الصغير ففي الجنة واما الكافر
الكبير ففي النار واما الكبير المؤمن ففي الدرجات العلى فقال الشيخ
ما بال الصغير قصر به عن درجة الكبير المؤمن فقال الجبائي لانه لم يعمل
فقال الشيخ من جهته على مذهبكم له ان يقول يا رب كان الاصلح في
حقي ان تبقيني حياً حتى اصل بالدرجة العليا فقال الجبائي جوابه
ان يقول الله تعالى له علمت انك لو بقيت الى سن التكليف لكفرت
فتخلد في النار فالاصلح في حقك موتك صغيراً كما فعلت بك لسلامتك
من الخلود في النار التي هي اعظم غنيمة فكيف وقدرتك على ذلك

ذلك فقال له الشيخ فماذا يقوم الثالث الذي مات كبيراً كافراً بل
وكل كافر ويقول يا رب كنا نرضى منك بادنى من مرتبة هذا الصبي
فمالنا لم تمتنا صغاراً قبل التكليف وقد علمت منا الكفر بعده كما فعلت
بهذا الصبي فبهت الجبائي ولم يقدر ان يجيب بكلمة فقال له الشيخ وقف
حمار الشيخ في العقبة ثم قال قد تعالى الى ان توزن احكام ذي الجلال
بميزان الاعتزال لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة والثالث وهو التقليد الردي هو اصل
كفر عبدة الاوثان وغيرهم حتى قالوا انا وجدنا اباءنا على امة
وانا على اثارهم مقتدون ولهذا قالوا لا يكفي التقليد في عقايد
الايمان والرابع الربط العادي وهو اصل كفر الطبايعيين ومن تبعهم
من فرادا ارتباط الشبع بالاكل والري بالماء ونحو ذلك ففهموا ان
جهلهم ان تلك الاشياء هي المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها اما
بطبعها واما بقوة وضعها الله فيها واهل السنة نور الله بصايرهم
لم يفتتنوا بشئ من الاكوان واظهر الله لهم الحقايق على ما هي عليه في نفس
الامر حتى نجيهم من افات الكفر والبدع فقالوا انما الله سبحانه وتعالى اجرى العادة
باختياره ان يخلق تلك الاشياء عندها والخامس الجهل المركب وهو ما
ابتلى به كثير مما يلتفت اليه فتجدهم يعتقدون الشئ على خلاف ما هو عليه

وذلك جهل والمتصف به مفتون يجهلون انهم جاهلون وذلك جهل
آخر ولذلك يسمى جهلا مركبا كاعتقاد الفلاسفة التأثير للافلاك واعتقادهم
قدمها والسادس التمسك في اصول العقايد بمجرد ظواهر الكتاب
والسنة من غير بصيرة في النقل وهو اصل ضلالة الحشوية فقالوا بالتشبيه
والتجسيم بالجهالة عملا بظاهر قوله تعالى الرحمن على العرش استوى وامنتم
من في السماء لما خلقت بيدي ونحو ذلك وقال تعالى هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تأويله الآية هذا فنبينا صلى الله عليه وسلم قد خص بجوامع الكلم
وبدايع الحكم فنحت كل فقرة من كلامه درة نفيسة فانظره كيف اختار
لامته في ترجمة الايمان بالعجز عن وصف اللسان وهي كلمة الشهادة السهلة
على اللسان المنورة للجنان الثقيلة في الميزان قد جعله الشرع ترجمة على ما
في القلب من الاسلام ولم يقبل من احد من المكلفين التصديق القلبي الا بها
فاذا قالها اثمرت له عصمة النفس والمال الا بجناية توجب قصاصا
بحسب النص المشروع فذكر هذه الكلمة الشريفة شرط لصحة ايمان الكافر واما
المؤمن فلا بد ان يذكرها الاقل مرة في عمره بخلوص القلب وفي التفسير الكبير انه
من عرف الله وعرف انه لا اله الا الله تباعد عنه الشيطان والهوى لان الهوى

لان الهوى اله سوى الله يعبد بدليل قوله تعالى افرأيت من اتخذ الهه
هواه وقال لموسى خالف هواك فاني ما خلقت خلقا نازعني في ملكي الا
هواك ومن عرف انه رحمن لم يغضب لان منشاء الغضب طلب الولاية
والولاية للرحمن لقوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن ومن عرف انه رحيم
وجب ان يتشبه به في كونه رحيما واذا صار رحيما لم يظلم نفسه
ولم يلطخها بالافعال البهيمة انتهى قال في الاحياء ان من مات على
الايمان وهو عاص انه لم يكن مظهر العفو الله تعالى يعذب عذابا يزيد
على عذاب المناقشة في الحساب ويكون كثرة العقاب من حيث
المدة بحسب مدة كثرة الاصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح
الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف السيئات وعند
انقضاء مدة العقاب ينزل البُلْه المقلدون في درجات
اصحاب اليمين واما المستبصرون العارفون ففي اعلى عليين وفي
خبر آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف
والمثلية لا تقتضي التقدير بالمساحة باطراف الاجسام بان يقابل فرسخ
بعشرة بل بالشرف واللطافة الا ترى ان قول القايل اخذ منه جملا واعطاه
عشرة امثاله صحيح مع انه لم يعط عشرة من مثل ما اخذ من الجمل بل اعطى مائة
دينار ويسوى ما اخذه عشرة دنانير والعارف عاجز عن تفهيم المقلد

القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة اذ يقول الجنة
في السموات كما ورد في الاخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة
امثال الدنيا انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم انه من آمن وصدق النبي صلى الله عليه
وسلم في جميع ما علم بالضرورة مجيئه به ولم يشرك بالله ووصفه بما هو اهل
له من صفات الكمال ونزهه عن النقايص فهو من المفلحين ولا يخلد في النار
فان كان عاصيا ولم يكن مظهرا لعفو الله تعالى يعذب في النار جزاء بما كسبه
من الآثام ثم يخرج منها ويدخل الجنة وان كان مظهرا لعفو الله تعالى فيدخل
اولا وان لم يكن عاصيا فيدخل اليها ويتعرج في درجاتها بفضل مالك
الملك وكرمه والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب **الباب الثالث**
في بيان القيام بطاعته واجتناب معصيته وموالاة من اطاعه ومعاداة
من عصاه وهذا البيان لا يكون الا بذكر بعض الاعمال الظاهرة وبعض اسراره
ليكون انموذجا على سايره ولنذكر البعض الذي هو عزة الطاعات ورأس
القربات وعزة اصحاب المناجات وهي الصلوة عماد الدين وعصام
المتقين وفيه فصلان **الفصل الاول** في الطهارة وبيان اسرارها قال الله
تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم الآية وقال تعالى
يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة وروي انه قال عليه الصلوة والسلام مفتاح الصلوة

الصلوة الطهور وقال الطهور نصف الايمان فان قلت ما الوجه
في كون الطهور نصف الايمان ونصف الصلوة اذ قد ورد ايضا الطهور
شطر الصلوة قلنا وجه الظاهر ان مبنى الدين والايمان او الصلوة على
امرين على التخلية والنفي وعلى التحلية والاثبات الافعال والاقوال والاثبات
والى ذلك اشار في قوله تعالى فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى ويحتمل ان يراد بالطهور معناه الظاهري فيحمل نصفا على
سبيل المبالغة والاهتمام للصلوة او للايمان بالنظر الى كمال مدخلية
الطهارة في صحة الصلوة وباعتبار ان الايمان يزيل نجاسة الباطن
والطهور يزيل نجاسة الظاهر وباعتبار ان الايمان تصديق بالقلب
واذعان بالظاهر والطهارة شرط للصلوة التي هي انقياد بالظاهر
اعلم ان الطهارة واجبة عن كل ما قبح سواء كان قبيحا لذاته او قبيحا لوصفه
وما كان قبيحا لذاته وهو امراض القلب من اخلاق الردية فيجب تطهير القلب
عنها بازالتها عنه قال علي كرم الله وجهه في تمثيل القلوب ان لله تعالى في
ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسر ذلك
فقال اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهذه
اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تريهم ركعا سجدا يبتغون
فضلا من الله ورضوانا الآية فلهذا لا يعفى عن قليلها وقد ورد ان من كان

فى قلبه مثقال ذرة من كبر لا يدخل الجنة ومن كان قبيحا لوصفه كالنجاسات
مطلقا فوجب الاحتراز عنها ليس لذاتها بل لوصفها المنفر من الريح المنتن
والطعم البشيع واللون القبيح فاذا لم يوجد ولم يتيقن لوجوده اذ تيقن
وجوده منفر ايضا فلا يجب الاحتراز بل مع التيقن يعفى القليل فى
مواضع الضرورات اذ الضرورات تبيح المحظورات قال فى الاحياء
فذوا البصائر تفطنوا بهذه الظواهر ان اهم الامور السرائر اذ يبعد
ان يكون المراد بقوله صلى الله عليه وسلم الطهور نصف الايمان عمارة
الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وتخريب الباطن وابقاؤه مشحونا
بالاخباث والاقذار هيهات هيهات فالطهارة لها اربع مراتب
الاولى تطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث والفضلات والثانية
تطهير الجوارح عن الجرايم والاثام والثالثة تطهير القلب عن الاخلاق
المذمومة والرزايل الممقوتة والرابعة تطهير السر بالمعرفة عما سوى الله
عز وجل وهى طهارة الانبياء والصديقين والطهارة فى كل
رتبة نصف العمل الذى فيها قال الله تعالى قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان
فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه اعلم ان العبد ينال الطبقة
العليا بعد ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات
المذمومة وعمارته بالمحمود ما لم يفرغ عن طهارة القلب عن الاخلاق

الاخلاق المذمومة ولن يصل ذلك ما لم يفرغ عن طهارة الجوارح
عن المناهى وعمارتها بالطاعات فلا تظن ان هذا الامر
يدرك بالتمنى وينال بالهوينا نعم من عميت بصيرته عن تفاوت
هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الاخيرة
التى هى كالقشر الاخير بالاضافة الى اللب المطلوب فصار يمعن
فيه ويستقصى فى مجاريها يستوعب جميع اوقاته فى الاستنجاء
وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة
ظنا منه بحكم الوسوسة ان الطهارة المطلوبة هى هذه فقط
وجهلا بسيرة الاولين واستغراقهم جميع الهم فى تطهير القلوب
وتساهلهم فى امر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علو منصبه
توضأ بماء فى اناء نصرانية وحتى انهم ما كانوا يغسلون اليد
عن الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص
اقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون
على الارض فى المساجد ويمشون حفاة فى الطرقات ومن كان
لا يجعل بينه وبين الارض حاجزا فى مضجعه كان من اكابرهم وكانوا
يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وروى عن اهل الصفة كابى
هريرة وغيره كنا ناكل الشوى فتقام الصلوة فندخل اصابعنا

في الحصباء ثم نفركها بالتراب ونكبر ويقال اول ما ظهر من البدع بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة المناخل والاشنان والموائد
والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن انتهى وفي التاتارخانية
وفي الاصل الصبي اذا ادخل يده في كوز ماء او رجله فان علم ان يده
طاهرة بيقين يجوز التوضوء بهذا الماء وان علم ان يده نجسة
بيقين لا يجوز التوضوء به وان كان لا يعلم انه طاهر او نجس
فالمستحب ان يتوضأ بغيره لان الصبي لا يتوقى عن النجاسة
عادة ومع هذا لو توضأ به اجزأه انتهى وقال رحمه الله ايضا
في الاحياء وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة يسمون الرعونة
نظافة فاكثر اوقاتهم في تزيينهم الظواهر والباطن خراب مشحون
بخبائث الكبر والعجب والجهل والنفاق ولا يستنكرون ذلك
ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض حافيا او
صلى على الارض من غير سجادة مفروشة او توضأ من آنية عجوز
او آنية رجل غير متقشف لشددوا عليه النكير واستنكفوا من
مواكلته ومخالطته فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا
انتهى فيجوز التوضأ بماء لا يتغير لونه او ريحه او طعمه واعلم ان
الفقهاء رحمهم الله قد اختلفوا في امر الطهارة والنجاسة وفي

الفقهاء رحمهم الله قد اختلفوا في امر الطهارة والنجاسة

الماء الجاري

وفي اختلافهم اربعة مذاهب الاول مذهب الحنفية قال بعضهم الماء
الجاري لا يتنجس لوقوع النجاسة ما لم يتغير طعمه او لونه او ريحه مطلقا
سواء كان الماء غالبا او مساويا او اقل وسواء كان اختلط اكثر
الماء او نصفه او اقل بالنجس قيل وعليه الفتوى وجعل بعضهم هذا
القول قول ابي حنيفة يوسف واما عندهما فان كانت النجاسة
غير مرئية فلا يتنجس وان كانت مرئية فان لاقى اكثر الماء النجاسة
او نصفه فنجس وان اقله فطاهر واما الماء الراكد فان كان كثيرا فكالماء
الجاري والا فيتنجس بقليل نجاسة واختلفوا في حد الكثير والجمهور
على انه عشر في عشر قال صاحب الهداية وبه يفتى وقال ابن همام في
ظاهر الرواية يعتبر فيه اكبر رأي المبتلى ان غلب على ظنه انه بحيث
يصل النجاسة الى الجانب الآخر لا يجوز الوضوء والا جاز وهذا
اصح عند الكرخي وصاحب الغاية والينابيع وهو الاليق باصل
ابي حنيفة رحمه الله انتهى مختصرا والثاني مذهب مالك ومن تبعه ان
الماء طاهر الا ما تغير احد اوصافه اللون والريح والطعم بالنجس
جاريا او راكدا قليلا او كثيرا وبه قال الاوزاعي والليث بن سعد
وعبد الله بن وهب واسمعيل بن اسحق ومحمد بن بكير وحسن بن
صالح واحمد في رواية لقوله صلى الله عليه وسلم ان الماء طاهر الا ان

اما الماء الراكد

يتغير ريحه او طعمه او لونه بنجاسة ووجهه المعقول ان الماء في طبعه
احالة كل شيء الى نفسه فاذا لم يظهر اثر النجاسة يظهر انها انقلبت
ماء فيطهر كالجيفة الملقاة في البحر المالح فانقلبت ملحا فانها طاهرة
عند غيره ايضا لانقلاب الحقيقة وهو الاصل كالخمر اذا صارت
خلا وقال مالك وعطا والثوري والنخعي واحمد بن حنبل بول ما يؤكل
لحمه وروثه طاهران والثالث مذهب الشافعي ومن تبعه ان الماء
اذا بلغ قلتين وهي خمسمائة رطل لا يتنجس الا بتغير احد اوصافه
لقوله صلى الله عليه وسلم اذا بلغ الماء قلتين لا يحمل خبثا والرابع مذهب
الظاهرية ان الماء لا يتنجس اصلا جاريا او راكدا قليلا او كثيرا تغير
لونه او طعمه او ريحه او لم يتغير لقوله صلى الله عليه وسلم الماء طهور لا ينجسه
شيء ورئيس الظاهرية داود الاصفهاني من المجتهدين من اهل السنة
والجماعة والقاعدة الكلية في الماء وغيره ان الاصل في الاشياء
الطهارة لما ذكر في عامة الفتاوى واليقين لا يزول بالشك والظن
بل يزول بيقين مثله وفي الخلاصة ويكره للرجل ان يستخلص لنفسه اناء
يتوضأ منه ولا يتوضأ به غيره وفيه يتوضأ بماء الحوض الذي يخاف
ان يكون فيه قذر ولا يستيقنه وليس عليه ان يسأل ولا يدع التوضأ
منه حتى يستيقن انه قذر وفيه وكذلك لا بأس بالوضوء من

جب يوضع كوزه في نواحي البيت ويشرب منه ما لم يعلم انه قذر وفيه ماء
الثلج اذا جرى على الطريق وفي الطريق نجاسات اذا تغيبت النجاسات
فيها واختلطت بحيث لا يرى لونها ولا اثرها يتوضأ منه انتهى وفي
التاتارخانية قال محمد رحمه الله في الجامع الصغير عقرب او نحوها مما لا دم له
تموت في الماء او ضفدع او سمكة او سرطان او نحوه مما يعيش في الماء تموت
في الجب لا يفسد الماء عندنا وفيه ايضا واما ماله دم سائل فان كان بريا
بحيث لا يعيش في الماء فموته يوجب نجاسة ما مات فيه الماء او غيره في
المايعات في ذلك على السواء وان كان مائيا ان كان لا يعيش الا في الماء
لا يتنجس في ظاهر رواية اصحابنا وفيه سئل ابو نصر رحمه الله عمن يغسل الدابة
يصيبه من مائها او من عرقها قال لا يضره ذلك قيل فان كانت تمرغت في
بولها وروثها قال اذا جفت وتناثر وذهب عينه لا يضره ايضا
وفي العتابية فعلى هذا اذا جرى الفرس في الماء وابتلت ذنبه
فضرب به راكبه ينبغي ان لا يضره وفيه السخلة اذا اخرجت من امها
فتلك الرطوبات طاهرة لا يتنجس بها الثوب ولا الماء وكذلك
البيضة وفيه الرطوبة التي على الولد عند الولادة طاهرة وفيه نوع
آخر في ماء الابار البئر عندنا بمنزلة الحوض الصغير يفسد ماؤه مما
يفسد به ماء الحوض الصغير لان عرض الابار في الغالب يكون اقل

من عشرة فى عشرة حتى لو كان بئر عرضها عشرة فى عشرة لا يحكم بنجاستها
بوقوع النجاسة فيها ما لم يتغير لون الماء او طعمه او اثره انتهى كلام
التاتارخانية فللطهارة كما عرفت مراتب فطهارة الطاهر ثلاثة
اقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات
البدن القسم الاول فى طهارة الخبث اعلم ان النجاسات كلها
لا يعفى عن قليلها وكثيرها الا من جهة الاول اثر النجو بعد الاستنجاء بالاحجار
فهو معفو عنه ما لم يعد المخرج والثانى طين الشارع وغبار الروث
فى الطرق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه
والثالث ما علا اسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطرق عنه فيعفى منه
بعد الدلك للحاجة وفى فتاوى قاضيخان لو كانت الارض نجسة
فخلع نعليه وقام على نعليه جاز اما اذا كان النعل ظاهره وباطنه
طاهر وان كان مما يلى الارض منه نجسا فكذلك وهو بمنزلة ثوب
ذى طاقين اسفله نجس وقام على الطاهر انتهى والرابع دم البراغيث
ما قل عنه او كثر الا اذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك او ثوب
غيرك فلبسه وفى فتاوى قاضيخان فى باب المستراح اذا جلس على ثوب
لا يفسد الا ان يغلب ويكثر وفيه اذا نام الكلب على حصير المسجد ان
كان يابسا لا يتنجس وان كان رطبا لم يظهر اثر النجاسة فيه فكذلك وفيه

وفيه الطين النجس يجعل منه الكوز والقدر فيطبخ يكون طاهرا وفيه بعر
الفارة اذا وقعت فى حنطة فطحنت الحنطة لا بأس باكل الدقيق الا ان
يكون كثيرا يظهر اثره بتغير الطعم او غيره خبز وجد فى خلاله بعر الفارة
ان كان البعر على صلابته يرمى البعر ويؤكل الخبز انتهى والخامس دم البثرات
وما يترشح منها اذا كان اقل من قدر الدرهم القسم الثانى طهارة
الاحداث وفيها الوضوء والغسل والتيمم روى انه صلعم توضأ
مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به وتوضأ مرتين
مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله اجره مرتين وتوضأ
ثلثا ثلثا وقال وضوئى ووضوء الانبياء من قبلى ووضوء ابراهيم
وفى مختار النوازل والفرض فيه المرة الاولى اذا كانت سابغة
والتثليث فيه سنة اكمالا للفرض انتهى القسم الثالث التنظيف عن
الفضلات الطاهرة سواء كانت من الرطوبات المترشحة وهى ثمانية
او مما يحدث من البدن من الاجزاء وهى ايضا ثمانية فالاول من
الاول ما يجتمع فى شعر الرأس من الدرن والقمل الثانى ما يجتمع من
الوسخ فى معاطف الاذن الثالث ما يجتمع فى داخل الانف من
الرطوبات المنعقدة بجوانبه ويزيلها الاستنشاق الرابع ما يجتمع على
الاسنان واطراف اللسان ويزيلها التسوك والمضمضة الخامس ما

يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل السادس وسخ الرأس ايضا السابع
تنظيف رؤس الاصابع وما تحت الاظفار من الوسخ الثامن الدرن
الذي يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله
الحمام واما الثمانية التي يحدث من البدن من الاجزاء فاولها
شعر الرأس الثاني شعر الشارب روي انه عليه السلام قال قصوا
الشوارب وفي رواية اخرى حفوا الشوارب واعفوا اللحى اي
اجعلوها حفاف الشفة اي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه قوله
تعالى وترى الملائكة حافين حول العرش الثالث شعر الابط الرابع
شعر العانة ويستحب ازالته اما بالحلق او بالنورة فقد قيل الحمام
بعد النورة امان من الجذام وقيل النورة في كل شهر تطفي المرار و
تزيد في الجماع الخامس قلم الاظفار ويستحب لبشاعة صورتها اذا
طالت السادس السرة فتقطع في اول الولادة السابع قلفة الحشفة
روي عن النبي صلعم الختان سنة للرجال مكرمة للنساء الثامن ما
طال من اللحية وفي اللحية عشرة خصال مكروهة بعضها اشد من بعض
وهو خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب
منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لاجل الرياء
وتركها اظهارا للزهد والنظر في سوادها عجبا بالشباب والى بياضها

بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية
تشبها بالصالحين **الفصل الثاني** في الصلوة وبيان اسرارها قال
الله تعالى ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا وروي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال خمس صلوات كتبهن الله عز وجل على العباد
فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له
عند الله ان يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء
عذبه وان شاء ادخله الجنة وايضا انه قال الصلوة عماد الدين فمن
اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين قال في اصول
البزدوي والاصل في فروع الايمان هي الصلوة وهي عماد الدين الذي
يشمل ظاهر الانسان وباطنه قال في التقرير لانها على خدمة ظاهر
البدن من القيام والركوع والسجود والقعود على هيئة خاصة وباطنه
كالنية والخشوع وحضور القلب وهذا لانها عبادة بدنية شرعت
شكر النعمة البدن ونعمة البدن ظاهرة كالاعضاء السليمة وما يحصل
بها من التقلب من حالة الى حالة وباطنة كالقوى النفسانية المدركة
سئل صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال الصلوة في وقتها
للمعاني وشكر كل شيء بما يناسبه انتهى وسئل صلعم اي الاعمال افضل
قال الصلوة في وقتها وروي انه عليه السلام قال اسوء الناس سرقة
من يسرق من صلوته وقال ابن مسعود وسلمان الصلوة مكيال

فمن اوفى وفى له ومن طفف فقد علم ما قال الله فى المطففين وفى
الخبر سبعة اشياء فى الصلوة من الشيطان الرعاف والنعاس
والوسوسة والتثاوب والحكاك ومسح الوجه وتسوية الحصاد
ونهى عن ان يشبك اصابعه او يفرقع او يستر وجهه او يضع
احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما تحت فخذيه فى الركوع اعلم ان
اللازم اللايق بحال المصلى ان يكون شروعه الى الصلوة بقلب
سليم فان كان يصلى بحضور القلب مهما امكن فيها ونعمت فان حضور
القلب وان لم يكن شرطا للتعذر عندنا كما كان شرطا عند الشافعية
لكن زيادة اجره وفضله ثابت عند الكل قال حجة الاسلام فى الاحياء
قال عبد الواحد بن زيد اجتمعت العلماء على انه ليس للعبد من صلوته
الا ما عقل منها والحق الرجوع الى الشرع ولا يمكن ان يشترط على الناس
احضار القلب فى جميع الصلوة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الاقلين
واذا لم يكن الاستيعاب للضرورة فلا مرد الا ان يشترط منه ما
ينطلق على الاسم ولو فى اللحظة الواحدة واولى اللحظات به لحظة
التكبير فاقتصرنا بعض الشافعية على التكليف بذلك ونحن مع ذلك
نرجو ان لا يكون حال الغافل فى جميع صلوته مثل حال التارك بالكلية
فانه اقدم على الفعل ظاهرا واحضر القلب لحظة وحاصل الكلام ان حضور

القلب هو روح الصلوة وان اقل ما يبقى الحضور عند التكبير
فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة ينبسط الروح فى اجزاء الصلوة
فكم من حى لا حراك به قريب من ميت فصلوة الغافل فى جميعها الا عند
التكبير حى لا حراك به وتفصيله ان لا تغفل عن التنبيهات التى فى
شروط الصلوة واركانها فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر فى قلبك
هول النداء يوم القيمة قال صلى الله عليه وسلم ارحنا يا بلال اى بها وبالنداء
اليها اذ كان صلعم قرة عينه فيها واما الطهارة فاذا اتيت بها
فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الاقرب
ثم فى بشرتك وهى قشرك الادنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك
وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرط فطهر بها
باطنك واما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن
الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر فما رأيك فى عورات باطنك وفضايح
سرك الذى لا يطلع عليه الا ربك فاحضر تلك القبايح ببالك وطالب
نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله ساتر وانما يكفرها
الندم والحياء من مكامنها واما الاستقبال فهو صرف ظاهر
وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى افترى ان صرف القلب
عن سائر الامور الى امر الله تعالى ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه

واعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالصرف عن غيرها فلذلك
لا ينصرف القلب الى الله تعالى الا بالتفريغ عما سواه وليس المراد بالوجه
فى قوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض وجه الظاهر
فانك انما وجهته لجهة القبلة والله تعالى يتقدس عن ان تحده
الجهات حتى تقبل بوجه بدنك اليه وانما وجه القلب هو الذى يتوجه
الى فاطر الى فاطر السموات فانظر اليه امتوجه الى اماينه او مقبل على
فاطر السموات واياك وان تكون مفاتحتك المناجاة بالكذب
ولن ينصرف الوجه اليه تعالى الا بانصرافه عما سواه فاجتهد فى الحال
فى صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام ليكون قولك فى الحال صادقا
واما الاعتدال قائما فاعلم انك فى الحال قائم بين يدى الله تعالى
وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك
الزمان وان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله سئل ابو هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال كيف الحياء من الله تعالى فقال
صلعم تستحيى منه كما تستحيى من الرجل الصالح من قومك واما النية
فاعزم على اجابة الله عز وجل فى امتثال امره بالصلوة واتمامها
والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله
تعالى رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه واما

واما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغى ان لا يكذبه قلبك وما اعظم
الخطر فى ذلك لولا الاستغفار فى ذلك وحسن الظن بكرم الله تعالى
ولطفه اذ روى ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة
قال تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله
فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما
فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى
من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين الى هنا كلامه وفى
التفسير الكبير اعلم ان الاقدام على الطاعات لا يتيسر الا بعد الفرار من
الشيطان وذلك هو الاستعاذة فقوله اعوذ بالله اعتراف
بعجز النفس وبقدرة الرب وهذا يدل على انه لا وسيلة الى القرب من
حضرت الله تعالى الا بالعجز والانكسار فمن عرف نفسه بالضعف والقصور
عرف ربه بانه هو القادر على كل مقدور ومن عرف نفسه بالجهل عرف ربه
بالفضل والعدل ومن عرف نفسه باختلاف الحال عرف ربه بالكمال والجلال
والاستعاذة هى الالتجاء الى قادر يدفع الآفات عنك فالشيطان
عدو الانسان والانسان عند الشروع الى الطاعات والعبادات
خاف العدو واجتهد فى ان يتحرى مرضاة مالكه ليتخلص من ذلك
العدو وحيث انه غافل عنه قال تعالى انه يراك هو وقبيله من حيث لا ترونهم

فعلى هذا لك عدو غائب وحبيب غالب لقوله تعالى والله غالب على
امره فاذا قصدك العدو الغائب فافزع الى الحبيب الغالب وقال
ايضا لما تعلق قلب الانسان بغير الله وجرى لسانه بغير ذكر الله
تعالى حصل فيه نوع من التلوث فلا بد من استعمال الطهور فلما قال اعوذ
بالله فعند ذلك يستعد للصلوة الحقيقية وهي ذكر الله تعالى قال
الصادق انه لا بد قبل القراءة في التعوذ واما سائر الطاعات فانه
لا يتعوذ فيها والحكمة فيه ان العبد قد ينجس لسانه بالكذب والغيبة
والنميمة فامر الله تعالى العبد بالتعوذ ليصير لسانه طاهرا فيقرأ بلسان
طاهر كلاما نزل من رب قادر كانه سبحانه يقول انه شيطان رجيم
وانا رحمن رحيم فابعد عن الشيطان الرجيم لتصل الى الرحمن الرحيم
اعلم ان المصلي اذا قصد الصلوة صار من جملة من قال الله في صفتهم
يريدون وجهه ومن اراد الدخول على السلطان العظيم وجب عليه ان يطهر
نفسه من الادناس والانجاس ولهذا التطهير مراتب المرتبة الاولى
من دنس الذنوب بالتوبة كما قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى
الله توبة نصوحا ومن كان في مقام الزهد كانت طهارته من الدنيا
حلالها وحرامها ومن كان في مقام الاخلاص كانت طهارته من الالتفات
الى اعماله ومن كان في مقام المحسنين كانت طهارته من الالتفات الى

مهم

الى حسناته ومن كان في مقام الصديقين كانت طهارته من كل
ما سوى الله وبالجملة فالمقامات كثيرة والدرجات متفاوتة كانها
غير متناهية كما قال الله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي
فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله فاذا اردت ان تكون من
جملة من قال الله فيهم يريدون وجهه فقم قائما واستحضر في نفسك
جميع مخلوقات الله تعالى من عالم الاجساد والارواح وذلك بان
تبتدئ من نفسك وتستحضر في عقلك جملة اعضائك البسيطة
والمركبة وجميع قواك الطبيعية والحيوانية والانسانية ثم تستحضر في
عقلك جملة ما في هذا العالم من انواع المعادن والنبات والحيوان
من الانسان وغيره ثم ضم اليه البحار والجبال والتلال والمفاوز
وجملة ما فيها من عجايب النبات والحيوان وذرات الهبا
ثم ترق منها الى سماء الدنيا حتى تصل الى سدرة المنتهى والرفرف
واللوح والقلم والجنة والنار والكرسي والعرش العظيم ثم استحضر في
عقلك جميع الارواح المتعلقة بالجبال والبحار مثل ما قاله الرسول
صلى الله عليه وسلم عن ملك الجبال وملك البحار ثم استحضر ملائكة سماء
الدنيا وملائكة جميع السموات السبع كما قال عليه السلام ما في السموات
موضع شبر الا وفيه ملك قائم او قاعد واستحضر جميع الملائكة

الحافين حول العرش وجميع حملة العرش ثم ما هو خارج هذا العالم كما قال
تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فاذا استحضرت جميعها فقل الله
اكبر وتريد بقولك الله الذات الذى حصل بايجاده وجود هذه الاشياء
وحصلت لها كمالاتها فى صفاتها وافعالها وتريد بقولك اكبر انه
منزه عن مشابهتها ومشاكلتها بل هو منزه عن ان يحكم العقل بجواز
مقايسته بها ومناسبته اياها والوجه الثانى فى تفسير هذا التكبير انه
عليه السلام قال الاحسان ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن
تراه فانه يراك فتقول الله اكبر من ان لا يرانى وعن ان لا يسمع كلامى
والوجه الثالث ان يكون معنى الله اكبر من ان يصل اليه عقول الخلق
واوهامهم وافهامهم قال على بن ابى طالب كرم الله وجهه التوحيد
ان لا تتوهمه والوجه الرابع ان يكون معنى الله اكبر من ان يقدر الخلق على
قضاء حق عبوديته فطاعتهم قاصرة عن خدمته وثناؤهم قاصر عن
كبريائه وعلومهم قاصرة عن كنه صمديته ثم قال واجعل سورة الفاتحة
مرآة لك تبصر فيها عجايب عالم الدنيا والاخرة وتطالع فيها انوار
اسمائه الحسنى وصفاته العلى والاديان السالفة والمذاهب الماضية
واسرار الكتب الالهية والشرايع النبوية وتصل الى الشريعة ومنها
الى الطريقة ومنها الى الحقيقة وتطالع درجات الانبياء والمرسلين

الوجه الثاني في تفسير التكبير

المرسلين ودركات الملعونين الضالين فاذا قلت بسم الله الرحمن
الرحيم فابصر به الدنيا اذ باسمه قامت السموات والارضون واذا
قلت الحمد لله ابصرت به الآخرة اذ بكلمة الحمد قامت الآخرة كما قال
الله تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين واذا قلت الرحمن
الرحيم فابصر به عالم الجمال والرحمة والفضل والاحسان واذا قلت
مالك يوم الدين فابصر به عالم الجلال وما يحصل به من الاحوال والاهوال
واذا قلت اياك نعبد فابصر به عالم الشريعة واذا قلت واياك
نستعين فابصر به الطريقة واذا قلت اهدنا الصراط المستقيم
فابصر به الحقيقة واذا قلت صراط الذين انعمت عليهم فابصر به
درجات ارباب السعادات واصحاب الكرامات من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين واذا قلت غير المغضوب
عليهم فابصر به مراتب مشاق اهل الفسق فى الآفاق واذا قلت
ولا الضالين فابصر به دركات اهل الكفر والشقاق والخزى
والنفاق على كثرة درجاتها وتباين اطرافها واكنافها ثم اذا انكشفت
لك هذه الاحوال العالية والمراتب السامية فلا تظنن انك بلغت
الغور والغاية بل عد الى الاقرار للحق بالكبرياء ولنفسك بالذلة والمسكنة
وقل الله اكبر ثم انزل من صفة الكبرياء الى صفة العظمة وقل سبحان

ربي العظيم وان شئت ان تعرف ذرة من صفة العظمة فاعرف
انا بينا ان العظمة صفة العرش ولا يبلغ مخلوق بعقله كنه عظمة
العرش وان بقي الى آخر ايام العالم ثم اعرف ان عظمة العرش في
مقابلة عظمة الله تعالى كالقطرة في البحر فكيف يمكنك ان يصل الى كنه
عظمة الله تعالى فاذا ركعت وقلت سبحان ربي العظيم فعد على القيام
القيام ثانيا وادع لمن وقف وفقك وحمد حمدك وقل سمع الله
لمن حمده فانك اذا سألتها لغيرك وجدتها لنفسك وهو المراد
من قوله عليه السلام لا يزال الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه
المسلم فان قيل ما السبب في انه لم يحصل في هذا المقام التكبير قلنا لان التكبير
مأخوذ من الكبرياء وهو مقام الهيبة والخوف والمقام مقام الشفاعة
وهما متباينان ثم اذا فرغت من هذه الشفاعة فعد الى التكبير
والحدر الى صفة العلو وقل سبحان ربي الاعلى لان السجود اكثر تواضعا
من الركوع لاجرم الذكر المذكور في السجود وهو بناء المبالغة وهو الاعلى
والذكر المذكور في الركوع هو لفظ العظيم من غير بناء المبالغة فان قيل
ما الحكمة في السجدتين قلنا وجوه والاول ان السجدة الاولى للازل
والثانية للابد والارتفاع فيما بينهما اشارة الى الدنيا فيما
بين الازل والابد وذلك لانك تعرف بازليته هو الاول لا اول

ما الحكمة في السجدتين

اول قبله فتسجد له وتعرف بابديته انه الآخر لا آخر بعده فتسجد له ثانيا
الثاني قيل اعلم بالسجدة الاولى فناء الدنيا في الآخرة وبالسجدة الثانية
فناء الكل عند ظهور جلال الله تعالى الثالث السجدة الاولى فناء الكل
في انفسها والثانية بقاء الكل بابقاء الله تعالى كل شيء هالك الا وجهه
الرابع السجدة الاولى تدل على انقياد عالم الشهادة بقدرة الله تعالى
والسجدة الثانية يدل على انقياد عالم الارواح لله تعالى كما قال الله تعالى
الا له الخلق والامر الخامس السجدة الاولى سجدة الشكر بمقدار ما اعطانا
من معرفة ذاته وصفاته والسجدة الثانية سجدة العجز والخوف مما لم
يصل اليه من اداء حقوق جلاله وكبريائه انتهى وفي الاحياء واما
التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح انه جميع ما يدلي به
من الصلوات والطيبات اي الاخلاق الطاهرة لله وكذا الملك لله
وهو معنى التحيات واحضر في قلبك النبي صلعم وشخصه وقل السلام عليك
ايها النبي ولتصدق املك في انه يبلغه ويرد عليك ما هو اوفى
منه ثم سلم على نفسك وعلى عباد الله الصالحين وتأمل ان الله
تعالى يرد عليك سلاما وافيا بعدد عباد الله الصالحين ثم تشهد له
تعالى بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددا عهد الله تعالى
باعادة كلمتي الشهادة ومستانفا للتحصين بها ثم ادع في آخر

صلواتك بالدعاء المأثورة واقصد عند التسليم السلام على الملائكة
والحاضرين وان وختم الصلوة واستشعر شكر الله على توفيقه اياك
لاتمام هذه الطاعة انتهى قال فى التاتارخانية من آداب الصلوة
اخراج الكفين من الكمين عند التكبير ومنها ان يكون نظره فى قيامه
الى موضع سجوده وفى الركوع الى اصابع رجليه وفى السجود الى ارنبة
انفه وفى القعود الى حجره وفى الهداية قال ويعتمد بيده اليمنى على
اليسرى تحت السرة لقوله عليه السلام ان من السنة وضع اليمين على
الشمال تحت السرة وهو حجة على المالك رحمه الله فى الارسال
وعلى الشافعى رحمه الله فى الوضع على الصدر ولان الوضع تحت السرة
اقرب الى التعظيم وهو المقصود ثم الاعتماد سنة القيام عند
ابى حنيفة وابى يوسف رحمهما الله حتى لا يرسل حالة الثناء والاصل
ان كل قيام فيه ذكر مسنون يعتمد فيه وما لا فلا هو الصحيح فيعتمد فى
القنوت وصلوة الجنازة ويرسل فى القومة وبين تكبيرات
العيدين ثم يقول سبحانك اللهم وبحمدك الى آخره وعن ابى يوسف
رحمه الله يضم قوله وجهت وجهى الى آخره لرواية على رضى الله عنه
انه عليه السلام كان يقول ذلك ولهما رواية انس رضى الله عنه ان
النبى عم كان اذا افتتح الصلوة كبر وقرأ سبحانك اللهم وبحمدك

آداب الصلوة

وبحمدك الى آخره ولا يزيد على هذا وما رواه محمول على التهجد وقوله جل
ثناؤك لم يذكر فى المشاهير فلا يأتى به فى الفرائض والاولى ان يأتى
بالتوجه قبل التكبير ليتصل النية به هو الصحيح ويستعيذ بالله من الشيطان
الرجيم لقوله تعالى واذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان
الرجيم معناه اذا اردت قراءة القرآن والاولى ان يقول
استعيذ بالله ليوافق القرآن ويقرب منه اعوذ بالله وفى
التاتارخانية نقلا عن الخانية اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وهو
المختار انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان من هذا شانه فى الصلوة
يكون مفلحا قال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم فى صلوتهم خاشعون
فانهم يناجون الله تعالى على قدر استطاعتهم فى العبودية فليعرض
الانسان نفسه على هذا فبالقدر الذى يتيسر له ينبغى ان يفرح
وعلى ما يفوته ينبغى ان يتحسر وكذلك ينبغى ان يذكر الله تعالى اولا فى
كل عمل وفعل بقلبه ولسانه اذ بذكره يتم الصالحات والغفلة
فى كل حال لخطرة الآن يتغمده الله تعالى برحمته اذ لا وسيلة الا الاعتراف
بالعجز عن القيام بطاعته الباب الرابع فى الاعتراف بنعمة الله
تعالى وشكره اعلم ان مقام الشكر اجل والسعى اليه مشكور وكيف لا
وقد قال الله تعالى وقليل من عبادى الشكور وروى عن عطا قال

وجل ثناؤك لم يذكر فى المشاهير

مطلب لطيف روى عن عطا

دخلت على عايشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمر فقال لها عبيد بن
عمر اخبرينا باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت
وقالت اي شانه لم يكن عجيبا انه اتاني في ليلة فدخل معي في
فراشي او قالت في لحافي حتى مس جلدي جلده ثم قال يا ابنة
ابي بكر ذريني اتعبد لربي قالت قلت اني احب قربك فاذنت
له فقام الى قربة من ماء فتوضأ واكثر صب الماء ثم قام يصلي
فبكى حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى ثم سجد فبكى ثم رفع
راسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فاذنه بالصلوة فقلت
يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا فلم لا افعل وقد انزل الله تعالى
ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات
لاولي الالباب قيل حقيقة الشكر عند اهل التحقيق الاعتراف
بنعمة المنعم على وجه الخضوع وعلى هذا يكون وصف الحق سبحانه
بانه شكور توسعا ومعناه انه يجازي العباد على الشكر فيسمى
جزاء الشكر شكرا كما قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وقيل
شكره اعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير ويحتمل ان يقال
حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر احسانه فشكر العبد لله

ثناؤه عليه بذكر احسانه اليه وشكر الحق للعبد ثناؤه عليه بذكر
احسانه له وانعامه عليه فشكر العبد على الحقيقة انما هو النطق واقرار
القلب بانعام الرب فالشكر ينقسم الى اقسام شكر باللسان
وهو اعتراف بالنعمة بنعت الاستكانة وشكر بالبدن والاركان
وهو اتصاف بالوفاق والخدمة وشكر القلب وهو اعتكاف
على بساط القرب بادامة حفظ الحرمة ويقال شكر هو شكر العالمين
يكون من جملة اقوالهم وشكر هو نعت العابدين يكون نوعا من افعالهم
وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم احوالهم
وقال الجنيد روح الله روحه الشكر ان لا ترى لنفسك اهلا للنعمة
وروي عن المرتعش انه يقول سمعت الجنيد يقول كنت بين يدي السري
وانا ابن سبع سنين وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي
يا غلام ما الشكر فقلت ان لا تعصي الله بنعمته فقال يوشك ان يكون
حظك من الله لسانك قال الجنيد فلا ازال ابكي على هذه الكلمة التي
قالها السري وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقيل
شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم قيل
قال داود عليه السلام الهي كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك
فاوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني وقيل الشكر ليس حافظا للنعم

فقط بل هو زعيم بزيادة النعم اعلم ان كل خير وسعادة بل كل مطلوب
يسمى نعمة حقيقية ان كانت يقين على السعادة الاخروية فالامور
كلها بالاضافة الينا تنقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعا
كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما كالجهل وسوء الخلق والى ما
ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر
في الحال ويولم ولكن يتقع في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس
فالنافع في الحال والمآل هو النعمة تحقيقا والضار فيهما تحقيقا هو
البلاء تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض
عند ذوي الابصار وتظنه الجهال نعمة قالوا في مثاله الجايع اذا وجد
عسلا فيه سم فانه يعده نعمة ان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك
بلاء سيق اليه والضار في الحال النافع في المآل نعمة عند ذوي
الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه
الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب الصحة والسلامة فالصبي
الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة فلذلك تمنع
الام ولدها من الحجامة والاب يدعوه اليها والصبي لجهله يتلقف منة
من امه دون ابيه ويأنس اليها والى شفقتها ولو عقل لعلم ان
الام عدو باطن في صورة صديق لان منعها اياه من الحجامة يسوقه

يسوقه الى امراض والام اشد من الحجامة فالصديق الجاهل شر من
العدو العاقل وكل انسان فهو صديق لنفسه ولكنه صديق جاهل
فلذلك يعمل به ما لا يعمل به العدو وايضا من الاسباب الدنياوية
مختلطة قد امتزج خيرها بشرها فقلما يصفو كالمال والاهل والولد
والاقارب والجاه وسائر الاسباب ولكن تنقسم الى ما نفعه
اكثر من ضرره في حق اكثر الاشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع والى ما
يكافي ضرره نفعه وهذه امور تختلف بالاشخاص فرب انسان
صالح ينتفع بالمال الصالح وان كثر فينفقه في سبيل الله ويصرفه
الى الخيرات فهو نعمة في حقه مع نعمة التوفيق ورب انسان يستضر
بالقليل ايضا اذ لا يزال مستصغرا له شاكيا من ربه طالبا
للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء في حقه فالعاقل
يعرف ان الدراهم والدنانير مما يقصد لغيره ولا غرض اصلا في
في ذاته فان الحاجات مثلا لو كانت لا تنقضي بهما لكانتا هما
والحصباء بمثابة واحدة ولكن لما كانتا وسيلتين الى اللذات
صارتا عند الجهال محبوبتين في انفسهما حتى يجمعونهما ويكنزونهما
ويتصارفون عليهما بالربا ويظنون انهما مقصودتان ومثال
هؤلاء مثال من يحب شخصا بسبب رسوله الذي يجمع بينه وبينه

ثم ينسى في محبة الرسول كالجامع محبة الاصل فاعرض عنه بالكلية
وهذا غاية الجهل فالنقدان في انفسهما من حيث هما جوهران
لا يوصفان بانهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة
في حق من يقصد امرا ليس يمكنه ان يتوصل اليه الا بهما فلو كان
مقصده العلم والعبادة ومعه الكفاية التي هي ضرورة حياته
استوى عنده الذهب والمدر فكان وجودهما وعدمهما بمثابة
واحدة بل ربما شغله وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان
بلاء في حقه ولا يكونان نعمة اعلم ان انواع النعم تنقسم الى نافع
وجميل ولذيذ واللذيذ هو الذي يدرك راحته في الحال والنافع
هو الذي يفيد في المآل والجميل هو الذي يستحسن في سائر الاحوال
والشرور ايضا ينقسم الى ضار وقبيح ومولم وكل واحد من القسمين
ضربان مطلق ومقيد فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الاوصاف
الثلثة اما في الخير فكالعلم والحكمة فانهما نافعة وجميلة ولذيذة
عند اهل العلم والحكمة واما في الشر كالجهل فانه ضار وقبيح ومولم
وانما يحس الجاهل بالم جهله اذا عرف انه جاهل بان يرى غيره عالما
ويرى نفسه جاهلا فيدرك الم النقص فينبعث منه شهوة العلم
اللذيذة ثم قد يمنعه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم

التعليم فيتجاذبه متضادان فيعظم المه فانه ان تركه التعلم تالم بالجهل
ودرك النقصان وان اشتغل بالتعلم تالم بترك الشهوات او
بترك الكبر وذل التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم
لا محالة والضرب الثاني مقيد وهو الذي جمع بعض هذه الاوصاف
دون بعض فرب نافع مولم كقطع الاصبع المتاكلة والسلعة الخارجة
من البدن ورب نافع قبيح كالحمق فانه بالاضافة الى بعض الاحوال
نافع وقد قيل استراح من لا عقل له فانه لا يهتم بالعاقبة فيستريح
في الحال ورب نافع من وجه ضار من وجه كالقاء المال في البحر عند خوف
الغرق فانه ضار للمال ونافع للنفس في نجاتها والنافع ينقسم الى الضروري
كالايمان وحسن الخلق في الايصال الى سعادة الآخرة والدنيا والى ما
لا يكون ضروريا كالسكنجبين مثلا في تسكين الصفراء فانه قد يمكن تسكينها
بما يقوم مقامه اعلم ان جملة النعم يحتاج الى البعض منها اما حاجة ضرورية
او نافعة اما الحاجة الضرورية كحاجة سعادة الآخرة الى الايمان وحسن
الخلق اذ لا سبيل للوصول الى سعادة الآخرة البتة الا بهما فليس للانسان
الا ما سعى وليس لاحد في الآخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك حاجة
الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن
ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة كحاجة هذه النعم النفسية والبدنية

الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فان ذلك لو عدم تطرق الخلل الى
بعض النعم الداخلة وقد سئل انه ما وجه الحاجة لطريق الآخرة الى النعم الخارجة
من المال والاهل والجاه والعشيرة واجيب بان هذه الاسباب جارية مجرى
الجناح المبلغ والآلة المسهلة للمقصود اما المال فالعالم في طلب العلم والكمال
وليس معه كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال نعم العون على
تقوى الله المال كيف ومن عدم المال صار مستغرق الاوقات في طلب القوت
وفي تهيئة اللبس والمسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لانواع
من الاذى يشغله عن الذكر والفكر لا يندفع الا بسلاح المال ثم مع ذلك تحرم
من اكثر الفضيلات قال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنى فاني
رأيت الفقير لا عيش له قيل زدنا قال العافية فاني رأيت المريض لا
عيش له قيل زدنا قال الامن فاني رأيت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال
الشباب فاني رأيت الهرم لا عيش له وكان ما ذكره اشارة الى نعم الدنيا
ولكنه من حيث انه معين على الآخرة فهو نعمة ولذلك قال عليه السلام من اصبح
معافا في بدنه آمنا في سربه عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها
واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه الحاجة اليهما اذ قال صلعم نعم العون على
الدين المرأة الصالحة وقال في الولد اذا مات العبد المؤمن انقطع عمله الا

الا من ثلث ولد صالح يدعو له الحديث واما الاقارب فمهما كثر اولاد
الرجل واقاربه كانوا مثل الاعين والايدي فيتيسر له بسببهم من
الامور الدنياوية المهمة في دينه ما لو انفرد به لطال شغله وكلما
تفرغ قلبك عن ضرورات الدنيا فهو معين على الدين فهو اذن نعمة و
اما العز والجاه فبه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضيم ولا يستغني
عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه علمه وعمله وفراغه
ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وانما يندفع هذه الشواغل بالعز والجاه
ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان وقال تعالى ولولا دفع الله
الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض الآية ولا معنى للجاه الا ملك
القلوب كما لا معنى للغنى الا ملك الدراهم ومن ملك القلوب تسخرت
له ارباب القلوب لدفع الاذى عنه فكما يحتاج الانسان الى سقف
يدفع عنه المطر وجبة يدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته
فيحتاج ايضا الى من يدفع الشر به عن نفسه وعلى هذا القصد كان الانبياء
الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عندهم
الجاه وكذلك علماء الدين لا على قصد التناول من خزائنهم او الاستيثار
والاستكثار في الدنيا بمنافعهم فان قلت فقد ادخلت المال والجاه ط
والنسب والاهل والولد في خير النعم وقد ذمها الله تعالى وكذا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وكذا العلماء قال الله تعالى ان من ازواجكم واولادكم
عدوًا لكم وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال علي كرم الله وجهه
الناس ابناء ما يحسنون وقيمة كل امرء ما يحسنه وقيل المرء بنفسه
لا بابيه فمعنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا قلنا ان المال مثال الحية
التي فيها درياق نافع وسم نافع فان اصابها المغرم الذي يعرف وجه
الاحتراز عن سمها وطريق استخراج درياقها النافع كانت نعمة وان
اصابها السوادي الغر فهي عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذي تحته اصناف
الجواهر واللآلي فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق الغوص
وطريق الاحتراز عن مهلكات البحر فقد ظفر بنعمة وان خاضه جاهل
بذلك هلك فلذلك مدح الله تعالى المال وسماه خيرا ومدحه رسول الله صلعم
وقال نعم العون على تقوى الله المال وكذلك مدح الجاه والعز اذ من الله على
رسوله صلعم بان اظهره على الدين كله وحببه في قلوب الخلق وهو المعنى بالجاه
ولكن المنقول في مدحهما قليل والمنقول في ذم المال والجاه كثير وحيث ذم
الرياء فهو مذم الجاه اذ الرياء مقصوده اجتلاب القلوب ومعنى الجاه
ملك القلوب وانما كثر هذا وقل ذاك لان الناس اكثرهم جهال بطريق الرقية
لحية المال وطريق الغوص في بحر الجاه فوجب تحذيرهم فانهم يهلكون بسم المال
قبل الوصول الى درياقه ويهلكهم تمساح بحر الجاه قبل العثور على جواهره

جواهره ولو كانا في اعيانهما مذمومين بالاضافة الى كل احد
لما تصور ان ينضاف الى النبوة الملك كما كان لرسول الله صلعم
ولا ان ينضاف اليها الغنى كما كان لسليمان على نبينا وعليه السلام
فالناس كلهم صبيان والاموال حيات والانبياء والعارفون
معزمون فاذن النعم الدنياوية مشوبة قد امتزج داؤها بدوائها
ومرجوها بمخوفها ونفعها بضرها فمن وثق ببصيرته وكمال معرفته
فله ان يقرب منها متقيا داءها ويستخرج دواءها ومن لا يوثق
فالبعد البعد والفرار الفرار عن مظان الاخطار ومعنى فيه
تقبيح امساكها والحرص عليها للاستكثار منها والتوسع في نعيمها
بما يوجب الركون الى الدنيا ولذاتها فاما اخذها بقدر الكفاية
وصرف الفاضل الى الخيرات فليس بمذموم ولما ذكر رسول الله
صلعم بان الاغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن
بن عوف رضي في ان يخرج من جميع ما يملكه فاذن له فنزل جبرئيل ع م
وقال مره ان يطعم المسكين ويكسو العاري ويقري الضيف
الحديث كذا في الاحياء **فصل** اعلم ان الاصل لجميع النعم خلق الله
المكلفين احياء قادرين واما خلق الارض والسماء فذاك
انما ينتفع به بشرط حصول الخلق والحيوة والقدرة والشهوة

وايضا كل ما في السماء والارض من الدلائل على وجود الصانع فهو
حاصل في الانسان بزيادة الحيوة والقدرة والشهوة والعقل
فاذا عبرت وتأملت وجدت الكل نعم الله تعالى وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها فتأمل اثر الاحجار المختلفة بعضها للزينة وبعضها للابنية
فانظر الى الحجر الذى يستخرج منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت
الاحمر مع عزته وانظر الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا
الخطير ثم تأمل ان البشر استنبطوا الحرف الدقيقة والصنايع الجليلة
واستخرجوا الدرر والسمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج
الهواء لكن عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه
ان معظم فائدتهما ترجع الى الثمنية وهذه الفائدة لا تحصل الا عند
العزة والقدرة على اتخاذهما تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله
دونهما بابا مسدودا ومن هنا اشتهر في الالسن من طلب المال
بالكيمياء فقد افلس ثم ان الله تعالى زين السماء بالمصابيح وجعل
القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وكلها انعم وفي التفسير النيسابوري
قال الجاحظ اذا تأملت في هذا العالم وجدته كالبيت المعد فيه كل
ما يحتاج اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط
والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف فيه

فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وصنوف الحيوان متصرفة
في مصالحه فهذه جملة واضحة دالة على ان العالم مخلوق بتدبير كامل و
تقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية انتهى وفي الاحياء اعلم
ان نعم الله تعالى في الاصول التى منها تحصل الاطعمة وتصير صالحة لان يصلحها
الآدمي بعد ذلك بصنعة كثيرة ولله تعالى في خلقها عجايب كثيرة #
لا تحصى واسباب متناهية لا تتناهى فالاطعمة اما ادوية واما فواكه
واما اغدية فلنأخذ الاغدية ومن جملتها حبة من البر فنقول اذا وجدت
حبة او حبات فلو اكلتها فنيت وبقيت جايعا فما احوجك الى ان
تنمو الحبة في نفسها وتزيد وتتضاعف حتى تفي بتمام حاجتك فخلق
الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما تغتذي به كما خلق فيك فان النبات
انما يفارقك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاغتذاء فانه ايضا
يغتذي بالماء ويجتذب الى باطنه بواسطة العروق فكان الخشب
والتراب لا يغذيك بل تحتاج الى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تغتذي
بكل شيء بل يحتاج الى شيء مخصوص بدليل انك لو تركتها في تراب البيت
لم تزد ولو تركتها في ارض لا ماء فيها لم تزد بل لا بد من ارض فيها ماء
يمتزج ماؤها بالارض فيصير طينا واليه الاشارة بقوله تعالى فلينظر
الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا

ثم لا يكفي الماء والتراب اذ لو تركت في ارض نديّة صلبة متراكمة لم
لم تنبت لفقد الهواء فيحتاج الى تركها في ارض رخوة متخلخلة يتغلغل
الهواء اليها ثم الهواء لا يتحرك اليها بنفسه فيحتاج الى ريح يحرك
الهواء ويضربه بقهر وعنف على الارض حتى ينفذ فيها واليه الاشارة
بقوله تعالى وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في ايقاع الازدواج
بين الماء والهواء والارض ثم كل ذلك لا يغنيك لو كان في برد
مفرط او شتاء شاتي فيحتاج الى حرارة الربيع والصيف فقد بان
احتياج غذائه الى هذه الاربعة فانظر الى ماذا يحتاج كل واحد فيحتاج
الماء لينساق الى ارض الزراعة الى البحار والعيون والسواقي
فانظر كيف خلق البحار وفجر العيون واجرى منها الانهار ثم الارض
ربما يكون مرتفعة والمياه لا ترتفع اليها فانظر كيف خلق الغيوم
وكيف سلط الرياح عليها تسوقها باذنه الى اقطار العالم وهي سحب
ثقال حوامل بالماء ثم انظر كيف يرسل مدرارا على الارض في وقت
الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظة
للمياه تتفجر منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لغرقت البلاد
وهلك الزرع والمواشي ونعم الله تعالى في الجبال والسحاب والبحار
والامطار لا يمكن احصائها واما الحرارة فانها لا تحصل بين الماء

الماء والارض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف
خلقها مع بعدها عن الارض مسخنة للارض في وقت دون وقت
ليحصل البرد عند الحاجة الى البرد والحر عند الحاجة الى الحر فهذه احدى
حكم الشمس والحكم فيها اكثر من ان يحصى ثم النبات اذا ارتفع
عن الارض كان في الفواكه انعقاد وصلابة فافتقر الى رطوبة
تنضجها فانظر كيف خلق القمر وجعل من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية
الشمس التسخين فهو منضج الفواكه ويصبغها بتقدير الفاطر الحكيم
ولذلك لو كانت الاشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وساير
الكواكب عليها لكانت فاسدة ناقصة حتى ان الشجرة الصغيرة تفسد
اذا اظلتها شجرة كبيرة ويعرف ترطيب القمر بان تكشف له راسك في
الليل فيغلب على راسك الرطوبة التي يعبر عنها بالزكام فكما يرطب
نفسك يرطب الفواكه ايضا فقد سخر كل كوكب لنوع فائدة كالشمس
للتسخين والقمر للترطيب فلا يخلو واحد منها عن حكم كثيرة لا تفي قوة
البشر باحصائها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا ولم يصح قوله تعالى
ربنا ما خلقت هذا باطلا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين وكما انه ليس في اعضائك عضو الا لفائدة فليس في
اعضاء بدن العالم عضو الا لفائدة والعالم كله كشخص واحد

واحاد اجسامها كالاعضاء له وهي متعاونة تعاون اعضاء بدنك
في جملة بدنك وشرح ذلك يطول ولا ينبغي ان يظن ان الايمان بان
النجوم والشمس والقمر مسخرات بامر الله تعالى في امور جعلت اسبابا لها
بحكم الحكمة مخالف للشرع لما ورد فيه من النهي عن تصديق المنجمين وعن
علم النجوم بل المنهي عنه في النجوم امران احدهما ان يصدق بانها فاعلة
لآثارها مستقلة بها وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها
وهذا كفر والثاني تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار
التي لا تشترك كافة الخلق في دركها لانهم يقولون ذلك عن جهل
فان علم احكام النجوم كان معجزة لبعض الانبياء ثم اندرس ذلك
العلم فلم يبق الا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطاء فاعتقاد
كون الكواكب اسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الارض وفي
النبات والحيوان ليس قادحا في الدين بل هو الحق ولكن دعوى
العلم بتلك الآثار على التفصيل مع الجهل قادح في الدين ولذلك
اذا كان معك ثوب غسلته وتريد تجفيفه فقال لك غيرك اخرج
الثوب وابسطه فان الشمس قد طلعت وحمي الهواء لا يلزمك
تكذيبه ولا يلزمك الانكار عليه لحواله حمي الهوى على طلوع الشمس واذا
سألت عن تغير وجه الانسان فقال قرعتني الشمس في الطريق فاسود

فاسود وجهي لم يلزمك تكذيبه وقس على هذا سائر الآثار الا
ان الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى
العلم فيه والمعلوم بعضه معلوم للناس كافة كحصول الضياء
والحرارة بطلوع الشمس وبعضه لبعض الناس كحصول الزكام
بشروق الشمس فاذن الكواكب ما خلقت عبثا بل فيها حكم كثيرة
لا تحصى ولهذا نظر رسول الله صلعم الى السماء ثم قرأ قوله تعالى ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم قال ويل لمن
قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبلته ومعناه ان يقرأ ويترك التأمل
ويقتصر من فهم ملكوت السموات على ان يعرف لون السماء وضوء الكواكب
وذلك مما تعرفه البهائم ايضا فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي
مسح بها سبلته كذا في الاحياء اللهم اجعلنا من المتيقظين قال
في مختارات النوازل واما علم النجوم فهو في نفسه حسن غير مذموم
اذ هو قسمان حسابي وانه حق وقد نطق به الكتاب قال الله تعالى
والشمس والقمر بحسبان اي سيرهما بحساب والراسخون في العلم
ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره والاستدلال بسير النجوم وحركة
الافلاك على الحوادث بقضاء الله تع وقدره جائز كاستدلال الطبيب
بالنبض من الصحة والمرض ولو لم يعتقد بقضاء الله تع او ادعى علم الغيب

والسبلة محركة الدائرة في وسط الشفة
العليا او ما على الشارب من الشعر او طرفه
او مجتمع الشاربين او ما على الذقن
الى طرف اللحية كلها او مقدمها خاصة
والجمع سبال كذا في القاموس

لنفسه يكفر ثم تعلم علم النجوم مقدار ما يعرف به مواقيت الصلوة
والقبلة لا بأس به انتهى قال حجة الاسلام ايضا فلله في ملكوت السموات
والآفاق والانفس والحيوانات والنبات عجايب يطلب معرفتها
المحبون في الله فان من احب عالما فلا يزال مشغولا بطلب تصانيفه
ليزداد بمزيد الوقوف على عجايب علمه حبا له فكذلك الامر في عجايب
صنع الله تعالى فان العالم كله تصنيفه بل تصنيف المصنفين من تصنيفه
الذي صنفه بواسطة قلوب عباده فان تعجب من تصنيف فلا تتعجب من
المصنف بل منه الذي سخر المصنف لتاليفه بما انعم عليه من هدايته وتسديده وتعريفه
فاذن المقصود ان غذاء النبات لا يتم الا بالماء والهواء والشمس والقمر
والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الافلاك
الا بحركاتها ولا يتم حركاتها الا بملائكة سماوية يحركونها وكذلك يتمادى
ذلك الى اسباب بعيدة هذا بعض من اسباب غذاء النبات ليكون
ذكره انموذجا على سايره واما كون اصلاح الاطعمة من النعم فاعلم ان الذي
ينبت من الارض من النبات وما يخلق من الحيوانات لا يمكن ان يقضم
ويوكل وهو كذلك بل لا بد لكل واحد منها من اصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف
بالقاء البعض وابقاء البعض الى امور اخر لا تحصى واستقصاء ذلك
في كل طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف الواحد

الواحد حتى يستدير ويصلح الاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول
ما يحتاج اليه الحارث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي يثير به الارض
والفدان وجميع اسبابه ثم بعد ذلك التعهد بسقي الماء مدة ثم تنقية
الارض من الحشيش ثم الحصاد ثم الفرك والتنقية ثم الطحن ثم العجن
ثم الخبز فتأمل هذه الافعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الاشخاص
القائمين بها وعدد الآلات التي يحتاج اليها من الحديد والخشب والحجر
وغيره وانظر الى اعمال الصناع في اصلاح آلة الحراثة والطحن والخبز من
نجار وحداد وغيره وانظر الى حاجة الحداد الى الحديد والرصاص والنحاس
وانظر كيف خلق الله الجبال والاحجار والمعادن وكيف جعل الارض قطعا
متجاورات مختلفة فان فتشت علمت ان رغيفا واحدا لا يستدير
بحيث يصلح لاكلك ما لم يعمل عليه اكثر من الف صانع فابتدئ من
الملك الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى آخر الاعمال من الملائكة حتى
ينتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف
صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي بها تتم مصلحة الخلق ثم تأمل
كثرة اعمال الانسان في تلك الآلات حتى الابرة التي هي آلة صغيرة
فائدتها خياطة اللباس الذي يمنع البرد عنك لا يكمل صورتها من حديدة
تصلح للابرة الا بعد ان يمر على يد الابري خمسا وعشرين مرة يتعاطى

فى كل مرة منها عملا فلو لم يجع الله البلاد ولم يسخر العباد لافتقرت الى
عمل المنجل الذى يحصد به البر مثلا بعد نباته لنفد العمر وعجز عنه افلا ترى
كيف هدى الله عبده الذى خلقه من نطفة قذرة لان يعمل هذه الاعمال
العجيبة والصنايع الغريبة ولو لم يكشف الله طريق ايجاده بفضله
وكرمه لمن قبلنا وافتقرنا الى استنباط الطريق فيه بفكرنا ثم الى
استخراج النار من الحجر والى تحصيل الآلات التى بها يعمل الصنايع وعمر
الواحد منا عمر نوح وادى اكمل العقول لقصر عمره عن استنباط
الطريق فى اصلاح آلة واحدة وحدها فضلا عن غيرها فسبحان من الحق
ذوى البصاير بالعميان وسبحان من منع التبيين مع هذا البيان
فانظر الآن لو خلا بلدك عن الطحان مثلا او عن الحداد او عن الحجام او عن
الذى هو اخس الاعمال او عن واحد من جملة الصنايع ما يصيبك من الاذى
وكيف تضطرب عليك امورك وانظر كيف الف الله تعالى بين قلوب
هؤلاء الصناع وغيرها وسلط الانس عليهم والمحبة اذ لو تفرقت اراؤهم
وتنافرت طباعهم تنافر طباع الوحوش لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع
بعضهم ببعض بل كانوا كالوحوش لا يحويهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض
واحد ولاجل الالف وتعارف الارواح اجتمعوا وائتلفوا وبنوا المدن
والبلاد ورتبوا المساكن والدور متقاربة متجاورة ورتبوا الاسواق

الاسواق والخانات وساير اصناف البقاع مما يطول احصاؤه
ثم هذه المحبة تزول باغراض يتزاحمون عليها ويتنافسون فيها ففى
جبلة الانسان الغيظ والحسد والمنافسة وذلك يؤدى الى التنافر
والتقاتل فانظر كيف سلط الله تع السلاطين وامدهم بالقوة
والعدة والاسباب والقى رعبهم فى قلوب الرعايا وانظر كيف
بعث الانبياء حتى اصلحوا السلاطين المصلحون للرعايا وعرفوهم قوانين
الشرع فى حفظ العدل بين الخلق فاذا عرفت هذا فاعتبر واعترف
بان نعم الله تع كثيرة لا تحصى واشكر كما شكر اهل الجنة قال تعالى وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وحسبنا الله وهو ولى التوفيق **الباب الخامس**

الباب الخامس فى الاخلاص فى جميع الامور

فى الاخلاص فى جميع الامور اعلم ان كل مؤمن يجب عليه الاخلاص وقبول كل
عمل موقوف على الاخلاص قال الله تع وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين
له الدين الا لله الدين الخالص عن معاذ بن جبل رضى الله قال حين بعث
الى اليمن يا رسول الله اوصنى قال اخلص دينك يكفيك العمل القليل
وعن ابى الدرداء رض عن النبى صلعم الدنيا ملعون ما فيها الا ما ابتغى
وجه الله تعالى وعن انس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
من فارق الدنيا على الاخلاص لله تع وحده لا شريك له واقام الصلوة
وآتى الزكوة فارقها والله تع عنه راض وعنه رضى الله عنه ايضا قال

قال صلعم لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله تع ومناصحة ولاة
الامر ولزوم جماعة المسلمين وعن ابى ذر رضى الله عنه انه قال قد افلح
من اخلص قلبه للايمان وجعل قلبه سليما ولسانه صادقا ونفسه
مطمئنة وخليقته مستقيمة وجعل اذنه مستمعة وعينه ناظرة وقد ورد
خبر مسند ان النبى صلعم عن جبرئيل عن الله سبحانه وتع انه قال الاخلاص [أخبر ٢]
سر من سرى استودعته قلب من احببت من عبادى وسئل حذيفة
عن الاخلاص ما هو قال سألت النبى صلعم عن الاخلاص ما هو قال سألت
جبرئيل عم عن الاخلاص ما هو قال سألت رب العزة عز وعلا عن الاخلاص
ما هو قال سر من سرى استودعته قلب من احببته من عبادى قال سيد
الطائفة الجنيد روح الله روحه الاخلاص سر بين الله تع وبين العبد
لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده ولا هوى فيميله وقيل
الاخلاص تصفية العقل عن ملاحظة المخلوقين والصدق التنقى عن مطالعة
النفس فالمخلص من لا رياء له ومن لا اعجاب له وقال ذو النون المصرى [والصادق ٢]
الاخلاص لا يتم الا بالصدق فيه والصبر عليه والصدق لا يتم الا بالاخلاص
فيه والمداومة عليه وقيل نقصان كل مخلص فى اخلاصه فاذا اراد الله تع [رؤية اخلاص ٢]
ان يخلص اخلاصه اسقط عن رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا
وقال سهل لا يعرف الرياء الا المخلص قال ابو سعيد رياء العارفين افضل

افضل من اخلاص المريدين وقال ذو النون الاخلاص ما حفظ
من العدو ان يفسده فاذا عرفت هذا فاعلم ان التحلية بعد التخلية
فخل قلبك عن الرياء حتى يحصل تحلية القلب بالاخلاص والان
صاحب النفس سلط عليه الشيطان ابتلاء من الله تع ليرى صدق
مجاهدته وقوته كما ان الله تع سلط علينا الكفار مع قدرته على
كفاية امرهم وشرهم ليكون لنا حظ من الجهاد والصبر قال الله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين وايضا قد يشتبه علينا خاطر لا ندرى انه من الشيطان
او غيره فعلينا المحاربة والقهر والدوام على ذكر الله تعالى ومعرفة
وساوسه ومكائده فلا بد اولا من معرفة منشأ الخواطر وتمييز
خيرها من شرها فهى اثار يجدها الله تعالى فى قلب العبد تبعثه على الافعال
والتروك اما ابتداء فيقال له الخاطر فقط وعلامته كونه قويا مصمما
وفى الاصول والاعمال الباطنة وان يكون خيرا عقيب اجتهاد
وطاعة اكراما فيسمى توفيقا وهداية ولطفا وعناية قال الله [ای العقاید] [ای الاخلاق]
تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا والذين اهتدوا
زادهم هدى او شرا عقيب ذنب اهانة وعقوبة فيسمى خذلانا
واضلالا واما بواسطة ملك موكل من الله تع على ابن ادم يقال له

الملهم ولدعوته الالهام ولا يكون الا الى خير وعلامته كونه مترددا
بين الفعل والترك وفي الفروع والاعمال الظاهرة ويكون بلا سبق
طاعة او معصية في الاغلب او بواسطة طبيعة مائل الى الشهوات
يقال له النفس ولدعوتها هوى ولا يكون الا الى شر وعلامته كونه مصمما
راتبا على حالة واحدة وان لا يضعف ولا يقل بذكر الله تع او بواسطة
شيطان مسلط على ابن آدم يقال له الوسواس الخناس ولدعوته
الوسوسة وعلامته كونه مترددا او مضطربا وبلا سبق ذنب في الاكثر
وان يضعف بذكر الله تع ويكون شرا في الاغلب وقد يكون خيرا مفضولا
ليمنعه عن الفاضل او يجره الى ذنب عظيم وعلامته ان يكون قلبك فيه
مع نشاط لا مع خشية ومع عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع خوف
ومع عمى العاقبة لا مع بصيرة وعن انس رضي الله عنه انه صلعم قال ان
الشيطان واضع خرطومه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وان
نسي الله التقم قلبه وعن ابن مسعود رض عن النبي صلعم انه قال في
القلب لمتان لمة من الملك بايعاد بالخير وتصديق بالحق ولمة
من العدو بايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير اعلم ان لمعرفة
الخواطر اربعة موازين على الترتيب المذكور الاول عرضه على الشرع
فان وافق جنسه فخير وان ضده فشر والثاني عرضه على عالم عامل

قال المحققون اذا اجتمع الانسان في نفسه على اقامة دين الله لم يطمع به شيطان من الانس ولا من الجن بان يوسوس اليه مع ما عدة الايمان والملك يلهمه كما ان القائمين بالدين اذا اجتمعوا على اقامة الدين ولم يتفرقوا فيه لم يقدر عليهم عدو منه

عامل ومرشد كامل ان وجد فان قال خير فخير وان شر فشر
والثالث عرضه على الصالحين فان كان في فعله اقتدا بهم
فخير وان بالطالحين فشر والرابع عرضه على النفس والهوى فان تنفر
نفرة طبع فخير وان مالت اليه ميل طبع فشر اذ النفس اذا خليت وطبعها
لامارة بالسوء واما حيل الشيطان ومخادعته في الطاعة لاصحابها
فمن سبعة اوجه الاول النهي من الطاعة فان عصمه الله تعالى رده
حسب التوفيق ففعل الطاعة والثاني الامر بالتسويف فان عصمه الله تعالى
رده بالعمل في وقته فان لكل وقت عملا والثالث الامر بالعجلة
لتفرغ لكذا وكذا فان عصمه الله تعالى رده واتمه فان قليل العمل خير
من كثيره مع النقصان والرابع الامر باتمام العمل مع مراياة الخلق
فان عصمه الله رده وعلم ان الناس لا يقدرون على نفع وضر
والخامس الايقاع في العجب فيعجب بالاغترار بذلك ان لم يعصمه الله
فان عصمه الله تعالى رده وعرف ان المنة لله تعالى وهذا التوفيق
منه تعالى نعمة وفضل والسادس قوله اجتهد انت في السر فان الله تعالى
سيظهره ويجعلك شريفا خطيرا بين الناس واراد بذلك نوعا
من الريا الخفي فان عصمه الله تعالى رده وعرف انه عبد وان التصرف له
يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد والسابع قوله في آخر خدعه لا حاجة لك

الى هذا العمل لانك ان خلقت سعيدا لم يضرك ترك العمل وان خلقت
شقيا لم ينفعك العمل ففي اى شئ تجتهد و تترك راحتك وتضر نفسك
فان عصمه الله تعالى رده و عرف انه عبد و على العبد امتثال امر سيده وان
اعلم بربوبيته يحكم ما يشاء و يفعل ما يريد وان العمل ينفعه كيف ما كان ان كان
سعيداً احتاج اليه لزيادة الثواب وان كان شقيا فكذلك لئلا يلوم نفسه
على ان الله تعالى لا يعاقب على الطاعة بكل حال ولا تضره على انه ان دخل النار
وهو مطيع احب اليه من ان يدخلها وهو عاص فكيف و وعده حق و قوله صدق
وقد وعد على اهل الطاعات المخلصين بالثواب فمن لقى الله تعالى على الايمان والطاعة
الخالصة دخل الجنة بفضله لوعده الصادق قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذى
صدقنا وعده فاذا عرفت هذا فاعلم ان من الناس من يتردد بين الرياء
والاخلاص كالرجل الذى يبيت مع قوم فيقومون للتهجد جوف الليل او
ممن لا يقوم اصلا او يقوم قليلا من قيامهم فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة
حتى يزيد على معتاده وكذلك قد يقع فى موضع يصوم اهله تطوعاً
فينبعث له نشاط فى الصوم فربما يظن انه رياء وان الواجب ترك
الموافقة وليس كذلك على الاطلاق بل له تفصيل فان كان نشاطه لزوال
الغفلة بمشاهدة الغير وقد اقبلوا على الله تعالى واعرضوا عن النوم والاكل
واندفاع العوائق والاشغال مثل تمكنه على الفراش و تمكنه من التمتع

اعلم ان من الناس من يتردد بين الرياء والاخلاص

التمتع بزوجته او امته او المحادثة باهله واقاربه او عدم النوم لاستنكاره
الموضع او بسبب آخر فيغتنم زوال النوم وفى منزله ربما يغلبه النوم
وقد يعسر عليه الصوم فى منزله فهذه وامثالها ليست برياء فعليه الموافقة
والعمل وان كان نشاطه طلبا لمحمدتهم او خوفا من قدحهم ونسبتهم اياه
الى الكسل خصوصا اذا كانوا يظنون انه يقوم بالليل او يصوم تطوعا
فلا يسمح نفسه بان يسقط من اعينهم فيريد ان يحفظ منزلته فى قلوبهم
فلا يجوز له ان يزيد على معتاده لانه يعصى الله تعالى بطلب محمدة الناس
او دفع ذمهم و سقوط منزلته عندهم بهذه الطاعة فلا يكون مخلصا لانه
رياء محظور فالعارف يفرق بينهما و يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء
يصلون و يصومون من حيث لا يرونه انبعث له هذا النشاط
للموافقة فيوافقهم والا فرياء لا يزيد على المعتاد اذ لا يكون مخلصا حينئذ
ومن ذلك ذكر الله تعالى والاستغفار والاستعاذة من العامة
عند الناس فقد يكون لخاطر خوف و تذكر ذنب و تندم عليه وقد يكون
للمراياة فراقب قلبك واحفظه و ميز بينهما فان كان لله تعالى فامض عليه
والا فكن على بصيرة ومن ذلك اظهار الطاعة فان الباعث عليه
قد يكون قصد الاقتداء فيكون افضل من الاخفاء والله تعالى اعلم
بحقيقة الحال عن ابن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم

[illegible]

واتما قال من العامة لان اولياء الله تعالى
يذكرون الله تعالى فى كل وقت و يحاسبون
انفاسهم قال الله تعالى الا ان اولياء الله
لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله الآية
نفعنا الله ببركاتهم
منه

قال عمل السر افضل من عمل العلانية والعلانية افضل لمن اراد الاقتداء
وهذا لا يكون الا في المقتدى به وقد يكون الباعث في اظهار العمل الرياء
فان اشتبه عليك فعليك الاخفاء الا ان يكون الاظهار واجباً
او سنة مثل الجماعة ومن الحال المترددة بين الرياء والاخلاص ايضاً
التحديث بما فعله من الطاعات بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار عمله الا انه
اذا تطرق اليه الرياء لم يؤثر في فساد العبادة الماضية ولم يحبط
ثوابها بل يكون تحديثه معصية جديدة وهي الرياء وبالجملة الاخفاء في
العبادات التي لا يلزم اظهارها افضل من الاظهار الا عند التيقن بقصد
التعليم والاقتداء فالاظهار ح افضل وقس على هذا امثالها اعلم ان
كثيرا من الناس يغلطون في بعض العمل ويظنون انه رياء كمن يكون له
ورد معين كصلوة الضحى والتهجد فيقع في قوم لا يفعلونهما فيتركهما
خوفا من الرياء ولا رياء فيهما اذ مداومته السابقة دليل على الاخلاص
فمجرد وقوع خاطرة الرياء في القلب بلا اختيار وقبول لا يضر
في صحة عمله ولا رياء لانه لم يعمل الا لوجه الله تعالى فيكون مخلصا نعم يجب
ان لا يزيد على المعتاد ان لم يجد للزيادة باعثا دينيا وقد يتركهما
لا خوفا من الرياء بل خوفا ان ينسب الى الرياء فهذا الترك عين
الرياء لان الترك خوفا من النسبة الى الرياء خوف من سقوط منزلته عندهم

عندهم فلا يكون مخلصا وفيه ايضا سوء الظن بالمسلمين وقد يقع في خاطره
ان تركه لاجل صيانتهم عن معصية الغيبة لا للفرار عن ذمهم وسقوط
منزلته عندهم وهذا ايضاً سوء الظن بهم وصيانة الغير عن المعصية
انما تحسن في ترك المباحات لا المستحبات والسنن فعلى هذا يكون قول من قال
انما تركت السواك والطيلسان والمشي حافيا ونحوها صيانة للسان الناس
عن الغيبة سوء الظن بهم نعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات
اعمالنا فان كنت طالبا للاخلاص وكيف لا وهو درجة عظيمة فكن
على بصيرة في اعمالك روي عن ابي سليمان انه يقول اذا اخلص
العبد انقطع عنه كثرة الوسواس والرياء وعن مكحول قال ما اخلص عبد
قط اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وروي
عن سهل بن عبد الله قال اهل لا اله الا الله كثير والمخلصون منهم قليل
وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة والسلام قال من احسن الصلوة
حيث يراه الناس واساءها حين يخلو فتلك استهانة استهان بها
ربه تبارك وتعالى وعن محمود بن لبيد رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر
قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل
اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظر

هل يجدون عندهم جزاء والآيات والاحاديث كثيرة في ذم
الرياء وانت طالب الاخلاص وهو لا يجتمع به فالعاقل يعرف
ويهتدي الى كون الرياء مذموما بقليل التفات اذ معنى الرياء جعل
عبادة الله تعالى التي هي موضوعة للتقرب اليه وسيلة الى مدح الغير
وفيه قلب الموضوع وعكس المشروع وعلاج الاخلاص بقطع عروقه واستيصال
اصوله وذلك بازالة اسبابه وتحصيل ضده فعليك في اول كل عبادة
ان تفتش قلبك وتخرج عنه خواطر الرياء واطلاع الخلق عليه ورجاءه
ثم الرغبة في حمدهم وحصول المنزلة عندهم وتوره على الاخلاص وتعزم
عليه الى ان تتم هذه العبادة عارفا بان الله تعالى رقيب عالم على كل شيء
وهو النافع الضار لا حاجة الى سواه من الخلق اطلعوا او لم يطلعوا
وقد يشرع العبد في العبادة على عزم الاخلاص وقطع النظر عما سوى الله
ثم يرد خاطر الرياء فيقبله بغتة ولا يحضره ولا يرى له واحد من وجوه
الرد بسبب عدم التخلية واستيلاء الحرص وحب المدح وخوف الذم
فيغيب عن مرآة قلبه معرفة الله تعالى ويكدره آفات الرياء فينساها
فلم يظهر الاخلاص لانه ثمرة المعرفة وقد يتذكر فيعرف بجلاء التذكر الذي
خطر له خاطر الرياء وانه يعرضه لسخط الله تعالى ولكن لا ينتهي لشدة كدورة
شهوته فيغلب هواه عقله ولا يقدر على ترك لذة الحال فيستلذ

فيتلذذ بالشهوة ويسوف بصيقل التوبة او يشتغل عن الفكر في ذلك
لشدة الشهوة واذا لم يكن منه قبول وركون بالاختيار فلا يضر
مجرد خطور الرياء وميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه اذ ليس
في وسع العبد دفع النزعات دائما ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات
وقصارى امره ان يقابل شهوته بكراهة واباء وعدم اجابة باستفاد
من علم الدين بتوفيق الله تعالى ويكون مع ذلك وجلا من عمله خائفا
ان يدخله من الرياء الخفي ما لم يقف عليه فيكون مردودا ممقوتا لله
ويكون هذا الخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتداء العمل بل ينبغي
ان يكون متيقنا في الابتداء انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى حتى
يوجد النية اذ هي المصمم الباعث فلا تجتمع مع الشك والاحتمال
فاذا شرع على اليقين والاخلاص ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة
والنسيان جاء الخوف من شائبة خفية من رياء او عجب
فاذا فعل ذلك فهو الغاية في اداء ما كلف واما غلبة الخوف
على الرجاء او العكس فقد اختلف اقوال المشايخ فيها قال بعضهم ينبغي
ان يغلب الرجاء لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في زواله
فمن قواعد الشرع ان اليقين لا يزول بالشك فيغلبه رجاء الاخلاص
يعظم لذته في المناجات والطاعات لربه تعالى وتقدس وخوفه لاجل ذلك

الشك جدير بان يكون ممقوتاً لخاطر الرياء ان كان قد سبق عنه
وهو غافل عنه والمنقول عن اكثر المشايخ غلبة الخوف على الرجاء والمتاخرون
قالوا باختلاف الاحوال والاشخاص ففي وقت من الاوقات او حال
من الاحوال للبعض ينبغي ان يكون الغلبة للخوف وفي آخر ان يكون الغلبة
للرجاء ولبعض آخر ان يكون الغلبة للرجاء او المساواة والعلم عند الله
فاذا عرفت هذا عرفت لزوم الاخلاص وعرفت الفرق بين مخلص
في جميع اعماله ومخلص في بعض اعماله ومخلص عند الشروع الى الاعمال وكلهم
مخلصون وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين المقصد الثاني
في النصيحة لكتابه وهي الايمان بانه كلام الله تعالى وتنزيهه بانه لا يشبهه شيء
من كلام الخلق ولا يقدر على مثله احد من المخلوقات ثم تعظيمه وتلاوته
حق تلاوته واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه
والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه وعمومه
وخصوصه وسائر وجوهه وفنون علومه وحقيقة هذه ايضا راجعة
الى نصيحة نفسه وهو على خمسة ابواب ايضا الباب الاول في الايمان
بانه كلام الله تعالى لا يشبهه شيء من كلام الخلق ولا يقدر عليه احد
من المخلوقات وفيه فصلان الاول في الايمان بانه كلام الله تعالى اعلم ان القرآن
كتاب الله المنزل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل

المقصد الثاني في النصيحة لكتابه

تنزيل من حكيم حميد حتى اتسعت على اهل الايمان طرق الاعتبار بما فيه
من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم وهدى الصراط المستقيم
بما فصل فيه من الاحكام وفرق به بين الحلال والحرام فهو الضياء
والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من عانده
من الجبابرة اذله الله ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله هو حبل الله المتين
من تمسك به نجا ومن تركه ضل وغوى فهو المحيط بالقليل والكثير
والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده
عند ارباب البصائر تحديد ولا يخلقه عند اهل التلاوة كثرة الترديد
وهو الذي ارشد الاولين والآخرين ولما سمعته الجن لم يلبثوا
ان ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد
فآمنا به ولن نشرك بربنا احدا فكل من آمن به فقد وفق ومن
قال به فقد صدق قال عز وجل الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
هدى للمتقين واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا قد جاءكم من الله
نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم
وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون
يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور

وهدى ورحمة للمؤمنين ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء
وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك
لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا
آياته وليتذكر اولوا الالباب الله نزل احسن الحديث كتابا
متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن
يضلل الله فما له من هاد وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد روي عن جابر رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن شافع مشفع
وماحل مصدق من جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلف ظهره
ساقه الى النار وعنه صلى الله عليه وسلم قال ما من شفيع افضل منزلة
عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وعن علي
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن
واستظهره فاحل حلاله وحرم حرامه ادخله الله تعالى به الجنة وشفعه
في عشرة من اهل بيته كلهم قد وجبت له النار والاحاديث والاخبار فيه كثيرة

كثيرة لا تحصى قال ابن مسعود رض اذا اردتم العلم فاثروا القرآن
فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان البيت
الذي يتلى فيه كتاب الله عز وجل اتسع باهله وكثر خيره وحضرته الملائكة
وخرجت منه الشياطين وان البيت الذي لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل
ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين
وقال الفضيل بن عياض حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغي
ان يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما
لحق القرآن ويروى ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اقرأ علي فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر الآية فقال له اعد فاعاد فقال والله ان له
لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
وما يقول هذا بشر واما ما ورد في ذم تلاوة الغافلين فروي عن انس
ابن مالك رض انه قال رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال
بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقرأ
الا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه الا لعنة الله على الكاذبين
وهو منهم وفي حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا
برهة من الدهر وان احدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة

على محمد صلى الله عليه وسلم فتتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها
وما ينبغي ان يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى احدهم
القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة القرآن الى خاتمته لا يدري
ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي ان يقف عنده ينثره نثر الدقل
ونقل انه قد ورد في التورية يا عبدي اما تستحيي مني يأتيك كتاب
بعض اخوانك وانت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق فتقعد
لاجله فتقرؤه وتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك منه شيء وهذا كتابي
انزلته اليك انظر كم وصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه
لتتأمل طوله وعرضه ثم انت معرض عنه افكنت اهون عليك
من بعض اخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض اخوانك فتقبل عليه
بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم او شغلك
شاغل عن حديثه اومأت اليه ان كف وها انا مقبل عليك
ومحدث لك وانت معرض بقلبك عني افجعلتني اهون عليك
من بعض اخوانك اللهم اجعلنا من الذين يتلون كتاب الله
حق تلاوته فكم من تال لكتاب الله منسلخ من آيات الله فاذا عرفت هذا
عرفت ان الايمان به يستلزم تصديق الكتب المنزلة وكيفما وقد
قال الله تعالى آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله

الدقل محركة اردأ التمر

وملائكته

وملائكته وكتبه ورسله الآية وقال الله تعالى نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التورية والانجيل من قبل هدى للناس
وانزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد الآية
وقال الله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون
بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون
الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما
انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا
الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب
ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما
رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة
يشهدون وكفى بالله شهيدا اعلم ان اهل السنة والجماعة اتفقوا
على ان كلام الله تعالى منزل واختلفوا في معنى الانزال قال الاصفهاني
في اوائل تفسيره قال بعضهم معنى الانزال اظهار القراءة وقال بعضهم
ان الله تعالى الهم كلامه جبرئيل وهو في السماء وهو عال من المكان
وعلمه قراءته ثم جبرئيل اداه في الارض وهو يهبط في المكان وفي

اعلم ان اهل السنة والجماعة اتفقوا على ان كلام الله منزل واختلفوا في معنى الانزال

التنزيل طريقان احدهما ان النبي صلى الله عليه وسلم انخلع من صورة
البشرية الى الصورة الملكية واخذه من جبريل والثاني ان الملك
انخلع الى البشرية حتى ياخذه الرسول منه والاول اصعب الحالين
انتهى وقال الطيبي لعل نزول القرآن على الرسول صلى الله عليه وسلم
ان يتلقفه الملك من الله تعالى تلقفا روحانيا او يحفظه من اللوح
المحفوظ فينزل به الى الرسول ويلقنه عليه واختلف في اول ما نزل
من القرآن ايضا على اقوال الاول وهو الصحيح اقرا باسم ربك
القول الثاني يا ايها المدثر القول الثالث سورة الفاتحة القول الرابع
بسم الله الرحمن الرحيم واختلف ايضا في آخر ما نزل فروى عن البراء
ابن عازب قال آخر آية نزلت يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة
وآخر سورة نزلت براءة واخرج البخاري عن ابن عباس رضه
قال آخر آية نزلت آية الربوا واخرج النسائي من طريق عكرمة عن ابن عباس
قال آخر ما نزل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله وروي عن ابي بن كعب
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأني آيتين لقد جاءكم رسول
من انفسكم الى قوله تعالى رب العرش العظيم قال هذا آخر ما نزل
من القرآن واخرج مسلم عن ابن عباس رضه قال آخر آية نزلت
اذا جاء نصر الله والفتح واخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

قالت

[stamp]

قالت آخر سورة نزلت المائدة وروي ان آخر آية نزلت من القرآن
فمن كان يرجو لقاء ربه الآية وروي ايضا ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم آخر ما نزلت واخرج ابن مردويه من طريق مجاهد
عن ام سلمة قالت آخر آية نزلت هذه الآية فاستجاب لهم ربهم
اني لا اضيع عمل عامل الى آخرها وفي البرهان لامام الحرمين ان قوله تعالى
قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم الآية من آخر ما نزل هذا واشهر الاقوال
ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها سواء نزل بالمدينة
ام بمكة عام الفتح او عام حجة الوداع ام بسفر من الاسفار وقيل
المكي ما نزل بمكة ولو بعد الهجرة والمدني ما نزل بالمدينة وعلى هذا
تثبت الواسطة فما نزل بالاسفار لا يطلق عليه مكي ولا مدني الثالث
ان المكي ما وقع خطابا لاهل مكة والمدني ما وقع خطابا لاهل المدينة
وفي الاتقان وقد كان القرآن كله كتب في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور وقال الحاكم في
المستدرك جمع القرآن ثلث مرات احديها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم
الثانية بحضرة ابي بكر رضي الله عنه والجمع الثالث هو ترتيب السور
في زمن عثمان رضي الله عنه قيل فكتب سبعة مصاحف فارسل
الى مكة والى الشام والى اليمن والى البحرين والى البصرة والى الكوفة

مطلب في ان المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعدها

قال في البرهان سمى الله تعالى القرآن بخمسة وخمسين اسما

وحبس بالمدينة واحدا قال في البرهان سمى الله تعالى القرآن بخمسة
وخمسين اسما كتابا ومبينا وكريما وكلاما ونورا وهدى ورحمة
وفرقانا وشفاء وذكرا ومباركا وعليا وحكمة وحكيما ومهيمنا
وحبلا وصراطا مستقيما وقيما وقولا وفصلا ونبأ عظيما واحسن الحديث
ومثاني ومتشابها وتنزيلا وروحا ووحيا وعربيا وبصائر
وبيانا وعلما وحقا وهاديا وعجبا وتذكرة والعروة الوثقى
وصدقا وعدلا وامرا ومناديا وبشرى ومجيدا وزبورا وبشيرا
ونذيرا وعزيزا وبلاغا وقصصا وسماه اربعة اسماء في آية واحدة
في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة قال ابو امامة الباهلي اقرؤا القرآن
ولا يغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب وعاء القرآن ٢ قلبا ح
قابل القرآن اهل الله وخاصته آمنوا به واخلصوا دينهم في العمل
بمقتضاه فروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم ما آمن
بالقرآن من استحل محارمه **الفصل الثاني** في تنزيهه بانه لا يشبهه
شيء من كلام الخلق ولا يقدر على مثله احد من المخلوقات اعلم ايدك الله
وايانا بفضله العظيم ان هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر
الى يوم القيمة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذووا البصائر
كما قال صلى الله عليه وسلم ما من الانبياء نبي الا اعطى من الآيات

ما مثله

ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي
فارجو ان اكون اكثرهم تابعا اخرجه البخاري قيل معناه ان معجزات
الانبياء انقرضت بانقراض اعصارهم فلم يشاهدها الا من حضرها
ومعجزة القرآن مستمرة الى يوم القيمة وخرقه العادة في اسلوبه
وبلاغته واخباره بالمغيبات فلا يمر عصر من الاعصار الا ويظهر فيه
شيء مما اخبر انه سيكون يدل على صحة دعواه وقيل المعنى ان المعجزات
الماضية كانت حسية تشاهد بالابصار كناقة صالح وعصى موسى
ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة فيكون من يتبعه لاجلها اكثر لان الذي
يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده والذي يشاهد بعين العقل
باق يشاهده كل من جاء بعد الاول مستمرا على انه لا خلاف بين العقلاء
ان كتاب الله تعالى معجز لم يقدر احد على معارضته بعد تحديهم بذلك
قال تعالى وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله
فلولا ان سماعه حجة عليه لم يقف امره على سماعه ولا يكون حجة الا وهو
معجزة وقال تعالى وقالوا لولا انزل عليه آية من ربه قل انما الايات
عند الله وانما انا نذير مبين اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى
عليهم فاخبر ان الكتاب آية من اياته كاف في الدلالة قائم مقام
معجزات غيره وآيات من سواه من الانبياء ولما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم

اليهم وكانوا افصح الفصحاء ومصاقع الخطباء وتحداهم على ان يأتوا بمثله
وامهلهم طول السنين فلم يقدروا كما قال تعالى فليأتوا بحديث مثله
ان كانوا صادقين ثم تحداهم بعشر سور منه في قوله تعالى ام يقولون افتراه
قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله
ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله ثم
تحداهم بسورة في قوله تعالى ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله الآية
ثم كرره في قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلناه على عبدنا فأتوا
بسورة من مثله الآية فلما عجزوا عن معارضته والاتيان بسورة تشبهه
مع كثرة الخطباء فيهم والبلغاء ونادى عليهم باظهار العجز واعجاز
القرآن فقال قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولم ينقل عن احد
منهم انه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه بل عدلوا الى العناد
تارة والى الاستهزاء اخرى فتارة قالوا سحر وتارة قالوا شعر
وتارة قالوا اساطير الاولين كل ذلك من التحير والانقطاع فلو علموا
ان الاتيان بمثله في قدرتهم لبادروا اليه لانه كان اهون عليهم
من تحكم السيف في اعناقهم واستباحة اموالهم واملاكهم وقوله تعالى
قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية يرد ان يكون اعجازه بالصرفة

كما

كما زعم النظام المعتزلي يعني ان الله تعالى صرف العرب عن معارضته
وسلب عقولهم وكان مقدورا لهم لكن عاقهم امر خارجي فصار
كسائر المعجزات فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ولو سلبوا
القدرة لم تبق فائدة لاجتماعهم على انه الاجماع منعقد على اضافة الاعجاز
الى القرآن فكيف يكون معجزا وليس فيه صفة اعجاز بل المعجز هو الله تعالى
حيث اعجزهم عن الاتيان بمثله وايضا فيلزم من القول بالصرفة
زوال الاعجاز بزوال زمان التحدي وخلو القرآن من الاعجاز والفضل
من حيث انه كلام على غيره وفي ذلك خرق لاجماع الامة ان المعجزة
العظمى باقية قيل الحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر الموزون مع ان
الموزون من الكلام رتبته فوق رتبة غيره ان القرآن منبع الحق
ومجمع الصدق وقصارى امر الشاعر التخييل والتصور بالاطراء
والافراط والمبالغة في المدح او الذم او الايذاء دون اظهار
الحق واثبات الصدق فلاجل شهرة الشعر بالكذب سمى اصحاب
البرهان القياسات المؤدية في اكثر الامر الى الكذب شعرية وما وجد
في القرآن مما صورته صورة الموزون مثل فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر واصنع الفلك باعيننا ليقضي الله امرا كان مفعولا ويخزهم
وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين والله يهدي من يشاء

الى صراط مستقيم الى غير ذلك فلا يسمى شعرا لانه شرط الشعر القصد
وقيل البيت الواحد وما كان على وزنه لا يسمى شعرا واقل الشعر بيتان
قيل وذكر الجن في الآية مع انهم ليسوا من اهل اللسان العربي الذي
جاء القران على اساليبه تعظيما لاعجاز القرآن لان للهيئة الاجتماعية
من القوة ما ليس للافراد فاذا فرض اجتماع الثقلين فيه وظاهر بعضهم
بعضا وعجزوا عن المعارضة كان الفريق الواحد اعجز وكيف لا
وهو منزه عن مشابهة كلام الخلق فلا يقدر على مثله احد من المخلوقات

الباب الثاني في تعظيم القرآن وتلاوته حق تلاوته واقامة حروفه

الباب الثاني في تعظيم القران وتلاوته

في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وفيه فصلان ايضا الاول
في تعظيمه وتلاوته حق تلاوته واقامة حروفه في التلاوة والتصديق
بما فيه اعلم ان تعظيم القران لا يكون الا بالايمان والتصديق به والعمل بموجبه
ومراعاته حق رعايته قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا ويلزمه
التجويد وهو فرض كفاية والعمل به فرض عين في الجملة على صاحب
كل قراءة ورواية فتعليمه فرض كفاية وتعلمه فرض عين وهو اعطاء
كل ذي حق حقه قال البخاري في صحيحه انزل القران على سبعة احرف
وروى فيه انه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اقرأني جبريل
على حرف فراجعته فلم ازل استزيده ويزيدني حتى انتهى الى سبعة احرف

وروى

وروى البخاري ايضا عن عمر بن الخطاب رضه قال سمعت هشام
ابن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستمعت لقرائته فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكدت اساوره في الصلوة فتصبرت حتى سلم
فلببته بردائه فقلت من اقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ
فقال اقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت كذبت فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به
اقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت انه هذا يقرأ سورة
الفرقان على حروف لم تقرئنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسله اقرأ يا هشام فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأها فقال
كذلك انزلت ثم قال اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي اقرأني فقال
صلى الله عليه وسلم كذلك انزلت ان هذا القرآن انزل على سبعة
احرف فاقرؤا ما تيسر منه قال ابن حيان اختلف في معنى الاحرف
السبعة على خمسة وثلثين قولا وهي اقاويل يشبه بعضها
بعضا وكلها محتملة ويحتمل غيرها الاول قول انه قال هي زاجر وآمر
وحلال وحرام ومحكم ومتشابه وامثال الثاني حلال وحرام
وامر ونهي وزجر وخبر ما هو كائن وامثال الثالث وعد ووعيد

وحلال وحرام ومواعظ وامثال واحتجاج الرابع امر ونهي وبشارة
ونذارة واخبار وامثال الخامس محكم ومتشابه وناسخ ومنسوخ
وخصوص وعموم وقصص السادس امر وزجر وترغيب وترهيب
وجدل وقصص ومثل وان شئت سائر الاقوال فعليك بالاتقان
قال المرسي هذه الوجوه اكثرها متداخلة ولا ادري مستندها
ولا عمن نقلت ولا ادري لم خص كل واحد منهم هذه الاحرف
السبعة بما ذكر مع انها كلها موجود في القرآن فلا ادري معنى
التخصيص وفيها اشياء لا افهم معناها على الحقيقة واكثرها معارضة
لحديث عمر رضي الله عنه مع هشام بن حكيم الذي في صحيح البخاري
فانهما لم يختلفا في تفسيره ولا احكامه وانما اختلفا في قراءة حروفه
وقد حكى كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبع وفي الاتقان
نقلا عن البلقيني قال القراءة تنقسم الى متواتر واحاد وشاذ
فالمتواتر القراءات السبع المشهورة والاحاد قراءات الثلثة
التي هي تمام العشر ويلحق بها قراءات الصحابة والشاذ قراءات
التابعين كالاعمش ويحيى ابن وثاب وابن جبير ونحوهم وهذا
الكلام فيه نظر واحسن من تكلم في هذا النوع ابو الخير بن الجزري قال
في اول كتابه النشر كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت

احدى

احدى المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة
التي لا يجوز ردها ولا يحل انكارها ووجب على الناس قبولها سواء كانت
عن السبعة او عن العشرة او عن غيرهم من الائمة المقبولين ولهذا
قيل اصوب محمل يحمل عليه هو ان المراد بسبعة احرف سبعة انحاء
من الاعتبار متفرقة في القرآن راجعة الى اللفظ والمعنى دون
صورة الكتابة واعلم ان الآداب الظاهرة في التلاوة عشرة
الاول انه لا يكون هيئة القارئ على هيئة التكبر بل يكون على هيئة الادب
والسكون قائما او قاعدا وانه يكون على وضوء وان قراه على غير وضوء
وكان مضطجعا في فراشه ففضله دون الاول قال الله تبارك وتعالى
الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاثنى على الكل
ولكن قدم القيام والثاني تحسين القراءة بترديد الصوت من غير
تمطيط مفرط يغير النظم فذلك هو السنة اذ روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال ما اذن الله تعالى لشيء اذنه لحسن الصوت
بالقرآن وقال صلى الله عليه وسلم لابن مسعود اقرأ علي فقال
يا رسول الله اقرأ وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري
وكان يقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يفيضان وفي
الاثار رخصة في التغني في القرآن والالحان هذا الفصل على وجهين

بيان تمطيط الكلام اي تطويل فيه

ان كانت الالحان لا تغير الكلمة عن وضعها يؤدي الغناء بها الى تطويل
الحروف التي حصل التغني بها حتى لا يصير الحرف حرفين بل لمجرد
تحسين الصوت وترتيب القراءة لا يوجب ذلك فساد الصلوة
وذلك مستحب عندنا في الصلوة وخارج الصلوة وان كان يغير
الكلمة عن وضعها يوجب فساد الصلوة لان ذلك منهي عنه وفي الذخيرة
وانما يجوز ادخال المد في حروف المد واللين والهوائية والمعتل نحو الالف
والواو والياء وفي الحانية والالحاق في حروف المد واللين لا يغير
الا ان يفحش وان قرا بالالحان في غير الصلوة اختلفوا فيه وعامة المشايخ
كرهوا الاستماع ايضا لانه تشبه بالفسقة بما فعلوه في فسقهم
وكذا الترجيع في الاذان ومراد قوله عليه السلام زينوا القرآن
باصواتكم القراءة بنغمة العرب انتهى والثالث الجهر بالقراءة
افضل عند عدم الخوف على نفسه من الرياء والتصنع ولم يكن
في الجهر تشويش الوقت على مصل آخر لان العمل فيه اكثر وان فائدته
ايضا يتعلق بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم وان الجهر
يوقظ قلب القاري ويجمع همه الى الفكر فيه ويطرد النوم والكسل
ويزيد في نشاطه ويرجو بجهره تيقظ نائم وغير ذلك وغاية الامر
انه راجع الى عمل القلب وهو النية فبكثرة النيات تزكو وتتضاعف

اجور

اجور اعمال الابرار والرابع الاستعاذة في ابتداء القراءة
وليقل بعد فراغه صدق الله وبلغ رسول الله اللهم انفعنا به وبارك
لنا فيه واستغفر الله الحي القيوم وفي اثناء القراءة اذا قرا باية تسبيح
سبح وكبر واذا قرا باية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان
مر بمرجو سال وان قرا باية تخويف استعاذ يفعل ذلك بلسانه
او بقلبه فيقول سبحان الله اعوذ بالله والخامس مراعاة حق
الآيات فاذا قرا باية سجود سجد والسادس البكاء مستحب
مع القراءة قال صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فان
لم تبكوا فتباكوا والسابع الترتيل هو المستحب في هيئة القرآن
قال ابن عباس رضي الله عنهما لان اقرا البقرة وآل عمران
ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرا القرآن كله هذرمة
يعني استعجالا والثامن يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه
والتاسع مقدار القرآن كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن
في كل جمعة وقد كره جماعة الختم في كل يوم وليلة وانه كان نافذ
الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر مرة والعاشر وجه القسمة
اما من يختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن سبعة احزاب فقد حزب
الصحابة القرآن احزابا فقيل احزاب القرآن سبعة فالحزب الاول

ثلث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور
والرابع تسع سور والخامس احدى عشرة سورة والسادس
ثلث عشرة سورة والسابع المفصل من قاف فهكذا حزبه
الصحابة وكانوا يقرؤنه كذلك وفيه خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وما سواه محدث واما المعارضة بما نقل من السلف من التشديد
في العبادة بالختم في كل ليلة ويوم مرة او مرتين بل مرات وكذا
القيام في كل الليالي وصيام الدهر والوصال والاجتناب عن
المشتهيات والطيبات وشدة الرياضات بكثرة المجاهدات والاجتهاد
في العبادات فمدفوعة بان نبينا صلى الله عليه وسلم ارسل رحمة للعالمين
ومؤيد من عند الله تعالى فيقوى على ما لا يقوى عليه احاد عامة الامة
وانه اخشى الناس من الله تعالى واتقاهم واعلمهم بالله تعالى فلا يتصور
منه البخل وترك النصح فلو كان في العبادة طريق افضل وانفع
غير ما هو فيه لفعله او بينه وحث عليه او نقول في الدفع بان التشديد
في العبادة غالبا اما مفض الى اهلاك النفس او اضاعة الحق الواجب
للغير او ترك العبادة او ترك مداومتها فيحمل ما روي عن السلف
على انهم انما فعلوا ذلك التشديد مداواة لامراض القلوب ولكون
العبادة عادة لهم وطبعا كالغذاء الصحيح فيتلذذون بها بلا اضاعة حق

ولا ترك

ولا ترك مداومة ولا اعتقاد انه افضل مما كان عليه او كان له افضل
المخلوقات صلى الله عليه وسلم ٢ فقد بلغ الدرجة العليا من الكمال ٢ واما هو صلى الله عليه وسلم صح
وهي ان لا يمنع عن توجه القلب شيء حتى النوم فالملاحظة والغفلة
سواء فاقتصاره عليه الصلوة والسلام على بعض العبادات الظاهرة
لكونها افضل له ولامته وتلذذه لا يختص بالعبادات الظاهرة بل دائم
هذا فطوبى لمن عظم القرآن وتلا حق تلاوته وصدقه وعمل بموجبه
الفصل الثاني من تفهم علومه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه اعلم ان
التفهم بعد التدبر بحضور القلب والتعظيم يحتاج الى التخلي عن موانع
الفهم بفضله تعالى ولطفه من ايصال معاني كلامه تعالى الى الفهم اذ لولا استتار
كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى
ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولا يمكن تفهم عظمة الكلام
الا بامثلة على حد فهم الخلق وفي احياء العلوم ولقد تأنق بعض
الحكماء من التعبير عن وجه اللطف من ايصال معاني الكلام مع
علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب لذلك
مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعى بعض الملوك الى شريعة الانبياء
فسأله الملك عن امور فاجاب بما يحتمله فهمه فقال الملك ارأيت
ما يأتي به الانبياء اذا ادعيت انه ليس بكلام الناس وانه كلام الله

فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم انا رأينا الناس لما ارادوا ان يُفهموا
بعضَ الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها واقبالها
وادبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر
عن انوار عقولهم مع حسنه وترتيبه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة
تمييز البهائم واوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهايم باصوات
يضعونها لايقة بها من النقر والصفير والاصوات القريبة من
اصوات البهايم التي تطيق حملها وكذا الناس يعجزون عن حمل
كلام الله سبحانه بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما يتراجعون به بينهم
من الاصوات التي يسمعون بها الحكمة كصوت النقر والصفير
الذي به سمعت الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة
المخبوة في تلك الصفات من ان يشرف الكلام فشرفت الاصوات
لشرفها وعظمت لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا والحكمة
للصوت نفسا وروحا وكما ان اجساد البشر تكرّم وتعز لمكان
الروح فكذلك اصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام
على المنزلة رفيع الدرجة باهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل
وهو القاضي العدل الشاهد المرتضى يأمر وينهى لا طاقة للباطل
ان يقوم قدام الحكمة كما لا يستطيع الظل ان يقوم قدام شعاع الشمس

ولا طاقة

ولا طاقة للبشر ان ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم ان ينفذوا بابصارهم
ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من عين الشمس ما يحيى به ابصارهم
ويستدلون به على حوايجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب
وجهه الشاهد امره وكالشمس العزيزة الظاهرة وعنصرها مكنون
وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح
الخزائن النفيسة وشراب الحيوة الذي من شرب منه لم يمت
ودواء الاسقام الذي من سقى منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم
نبذة من تفهيم معاني الكلام انتهى قال الامام في التفسير الكبير ومن النكت
المستنبطة من قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم انه مرض موسى عليه السلام
واشتد وجع بطنه فشكى اليه تعالى فدله على عشب بالمفازة فاكله
فعوفي باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في وقت آخر فاكل
من ذلك العشب فاشتد مرضه فقال يارب اكلته اولا فانتفعت به
واكلته ثانيا فضرني فقال تعالى لانك في المرة الاولى ذهبت مني
الى الكلاء فحصلت فيه الشفاء وفي الثانية ذهبت منك الى الكلاء
فازداد مرضك اما علمت ان الدنيا كلها سم قاتل وترياقها اسمي
باتت رابعة ليلة في التهجد والصلوة فلما انفجر الصبح نامت فدخل
السارق دارها واخذ ثيابها وقصد الباب فلم يهتد الى الباب

مرض موسى عليه السلام
واشتد وجع بطنه
فشكى اليه فدله
عشب بالمفازة

باتت رابعة ليلة في
التهجد

فوضعها فوجد الباب ففعل ذلك ثلث مرات فنودي من زاوية
البيت ضع الثياب واخرج فان نام الحبيب فالسلطان يقظان
وروي ان فرعون قبل ان ادعى الالهية بنى قصرا وامر ان يكتب
على بابه الخارج باسم الله فلما ادعى الالهية وارسل اليه موسى
ودعاه فلم ير فيه اثر الرسل قال الهي كم ادعوه ولا ارى به خيرا فقال الله تعالى
يا موسى لعلك تريد اهلاكه انت تنظر الى كفره وانا انظر الى ما كتبه
على باب داره والنكتة ان من كتب هذه الكلمة على باب داره
الخارج صار آمنا من الهلاك وان كان كافرا فالذي كتب
على سويداء قلبه من اول عمره الى آخره كيف يكون حاله انتهى
وكان بعض السلف اذا قراء السورة ولم يكن قلبه فيها اعادها
ثانية والحضور متولد من التعظيم فان المعظم للذي يتلوه يستبشر به
ويستأنس به ولا يغفل عنه ففي القرآن العظيم ما يستأنس به القلب
ان كان التالي اهلا لذلك وكيف يطلب الانس بالفكر في غيره
وهو متنزه ومتفرج والمتفرج في النزاهات لا يتفكر في غيرها ٥
فقد قيل ان في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرايس
ودبابيج ورياضات وخانات فالميمات ميادين القرآن
والراءات بساتين القرآن والحامدات مقاصيره والمسبحات

عرايس القرآن والحواميم ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات
ما سوى ذلك فاذا دخل القارئ في الميادين وقطف من البساتين
ودخل المقاصير وشهد العرايس ولبس الديباج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب
قلبه ولم يفرغ فكره وهذا لا يكون الا بعد التخلي عن موانع الفهم حسبما
تيسر فكل متيسر لما خلق له وهو ان يستوضح من كل آية ما يليق بها
اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر افعاله وذكر
احوال انبيائه وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف اهلكوا وذكر
اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار واذا عرفت هذا فاعرف
ان الغرض ذكر طرف طريق التفهم لينفتح بابه حتى لا يكون من جملة
الداخلين في قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك
قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفا اولئك الذين طبع الله على قلوبهم
والطبع هو من الموانع فكلما كانت الشهوات اشد تراكما كانت
معاني الكلام اشد احتجابا وكلما خفت عن القلب اثقال الدنيا قرب
تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوات مثل الصداء ومعاني
القرآن مثل الصور التي تتراءا في المرآة والرياضة للقلب باماطة الشهوات
مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا عظمت

امتى الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر
بالمعروف حرموا بركة الوحى قال فضيل يعنى حرموا فهم القرآن وقد شرط الله
الانابة فى الفهم والتذكر فقال تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب
وقال تعالى وما يتذكر الا من ينيب وقال عز وجل انما يتذكر اولوا الالباب
والذى آثر غرور الدنيا على نعيم الاخرى فليس من ذوى الالباب فلذلك
لا ينكشف له اسرار الكتاب قال قتادة لم يجالس احد هذا القرآن
الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو
شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا وكان مالك بن
دينار يقول ما زرع القرآن فى قلوبكم يا اهل القرآن ان القرآن ربيع فى
المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وفى الاحياء ولقد كان شغل
الصحابة رضى الله عنهم فى الاحوال والاعمال فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عشرين الفا من الصحابة لم يحفظ القران منهم الا ستة اختلف منهم
فى اثنين وكان اكثرهم يحفظ السورة او السورتين وكان الذى
يحفظ البقرة وآل عمران من علمائهم ولما جاء رجل من الصدر الاول
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلم العلم فلما كان عند باب المسجد
سمع النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره
ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فقال يكفينى هذا وانصرف فقال النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعا لابن عباس فقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التاويل وبالجملة ان من
بادر الى استنباط المعنى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى جملة من
يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير اولا ليتقى به
مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع الفهم والله تعالى ولى التوفيق ـه

الباب الثالث فى المحكم والمتشابه

الباب الثالث فى المحكم والمتشابه قال تعالى هو الذى انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الآية
واعلم ان فى الم وما يجرى مجراه من فواتح السور قولان الاول
ان هذا علم مستور وسر محجوب استاثر الله به والتخاطب
بالحروف المفردة سنة الاحباب فى سنن المحاب فهو سر الحبيب
مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه
فى كل كتاب سر وسره فى القرآن اوائل السور وعن على كرم الله وجهه
ان لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى وسئل
الشعبى عن هذه الحروف فقال سر الله فلا تطلبوه وعن ابن عباس
رضى الله عنه انه قال عجزت العلماء عن ادراكها وقيل هى من المتشابه
القول الثانى ان المراد من هذه الفواتح معلوم ثم اختلفوا على وجوه
الاول انها اسماء للسور وهو قول اكثر المتكلمين واختيار الخليل

وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة بن لام الطائي وكقولهم
للنحاس صاد وللسحاب عين وللجبل قاف وللحوت نون الثاني
انها اسماء الله تعالى روي عن علي رضي الله عنه انه كان يقول
يا كهيعص يا حم عسق الثالث انها اسماء القرآن وهو قول الكلبي
والسدي وقتادة الرابع كل واحد من الحروف دال على اسم
من اسماء الله تعالى او صفة من صفاته الخامس انها صفات الافعال
السادس ان ورودها مسرودة هكذا على نمط التعديد ليكون كالايقاظ
وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن اي ان هذا منظوم من جنس ما ينظمون منه
كلامهم السابع قول الاخفش ان الله تعالى اقسم بهذه الحروف المعجمة
لشرفها من حيث انها اصول اللغات بها والاقوال فيها كثيرة
والمختار منها عند الاكثرين القول بانها اسماء السور وفي الاتقان
وقد حكى ابن حبيب النيسابوري في المسألة ثلثة اقوال احدها
ان القرآن كله محكم لقوله تعالى كتاب احكمت آياته الثاني كله متشابه
لقوله تعالى كتابا متشابها مثاني الثالث وهو الصحيح انقسامه
الى محكم ومتشابه للآية المصدر بها والجواب عن الآيتين ان
المراد باحكامه اتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف اليه وبمتشابهه
كونه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز وقال بعضهم

الآية

الآية لا تدل على الحصر في الشيئين اذ ليس فيها شيء من طرقه وقد قال تعالى
لتبين للناس ما نزل اليهم والمحكم لا يتوقف معرفته على البيان والمتشابه
لا يرجى بيانه وقد اختلف في تعيين المحكم والمتشابه على اقوال فقيل
المحكم ما عرف المراد منه اما بالظهور واما بالتأويل والمتشابه ما استأثر الله
بعلمه كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطعة من اوائل السور وقيل
المحكم ما لا يحتمل من التأويل الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل اوجها
وقيل المحكم ما كان معقول المعنى والمتشابه بخلافه كاعداد الصلوات
واختصاص الصيام برمضان دون شعبان قاله الماوردي وقيل
المحكم ما تأويله تنزيله والمتشابه ما لا يدرك الا بالتأويل وقيل المحكم
ما لم يتكرر الفاظه ومقابله المتشابه وقيل المحكم الفرائض والوعد والوعيد
والمتشابه القصص والامثال اخرج ابن ابي حاتم من طريق علي بن
ابي طلحة عن ابن عباس قال المحكمات ناسخه وحلاله وحرامه
وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه
ومؤخره وامثاله واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به قال ابن ابي حاتم
وقد روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما ان المحكم يعمل به والمتشابه
الذي يؤمن به ولا يعمل به واخرج الفريابي عن مجاهد قال المحكمات
ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك منه متشابه يصدق بعضه بعضا

واخرج عبد بن حميد عن الضحاك قال المحكمات ما لم ينسخ منه والمتشابهات
ما قد نسخ واخرج ابن ابي حاتم عن مقاتل بن حيان قال المتشابهات
فيما بلغنا الم والمص والمر والر واخرج الدارمي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه قال انه سيأتيكم ناس يجادلونكم بشبهات القرآن
فخذوهم بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله قال الطيبي
المراد بالمحكم ما اتضح معناه والمتشابه بخلافه لان اللفظ الذي يقبل معنى
اما ان يحتمل غيره اولا والثاني النص والاول اما ان يكون دلالته
على ذلك الغير ارجح اولا والاول هو الظاهر والثاني اما ان يكون
يساويه اولا والاول هو المجمل والثاني المؤول فالمشترك بين النص
والظاهر هو المحكم والمشترك بين المجمل والمؤول هو المتشابه ويؤيد
هذا التقسيم انه تعالى اوقع المحكم مقابلا للمتشابه قالوا الواجب ان يفسر
المحكم بما يقابله ويعضد ذلك اسلوب الآية وهو الجمع مع التقسيم
لانه فرق ما جمع في معنى الكتاب بان قال منه ايات محكمات
واخر متشابهات واراد ان يضيف الى كل منهما ما شاء الله فقال
اولا فاما الذين في قلوبهم زيغ الى ان قال والراسخون في العلم
يقولون آمنا به وكان يمكن ان يقال واما الذين في قلوبهم
استقامة فيتبعون المحكم لكنه وضع موضع ذلك الراسخون

في

في العلم لان الرسوخ لا يحصل الا بعد التثبت التام والاجتهاد البليغ فاذا استقام
القلب على طرق الرشاد ورسخ القدم في العلم افصح صاحبه النطق
بالقول الحق وكفى بدعاء الراسخين في العلم ربنا لا تزغ قلوبنا الى آخره
شاهدا على ان الراسخون في العلم مقابل لقوله واما الذين في قلوبهم
زيغ وفيه اشارة الى ان الوقف على قوله الا الله تام والى
ان علم بعض المتشابه مختص بالله تعالى وقال الراغب في مفردات
القرآن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة اضرب محكم
على الاطلاق ومتشابه على الاطلاق ومحكم من وجه متشابه
من وجه فالمتشابه بالجملة ثلثة اضرب متشابه من جهة اللفظ فقط
ومن جهة المعنى فقط ومن جهتهما فالاول ضربان احدهما يرجع
الى الالفاظ المفردة اما من جهة الغرابة نحو الاب ويزفون
او الاشتراك كاليد واليمين وثانيهما يرجع الى جملة الكلام المركب
وذلك ثلثة اضرب ضرب لاختصار الكلام نحو وان خفتم
الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم وضرب لبسطه نحو ليس
كمثله شيء لانه لو قيل ليس مثله كان اظهر للسامع وضرب لنظم الكلام
نحو انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما تقديره انزل
على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا والمتشابه من جهة المعنى

اوصاف الله تعالى واوصاف القيمة فان تلك الصفات لا تتصور لنا
اذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه او ليس من جنسه والمتشابه
من جهتهما خمسة اضرب الاول من جهة الكمية كالعموم والخصوص
نحو اقتلوا المشركين والثاني من جهة الكيفية كالوجوب والندب
نحو فانكحوا ما طاب لكم من النساء والثالث من جهة الزمان
كالناسخ والمنسوخ نحو اتقوا الله حق تقاته والرابع من جهة المكان
والامور التي نزلت فيها نحو وليس البر بان تأتوا البيوت من ظهورها
انما النسيء زيادة في الكفر فان من لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذر
عليه تفسير هذه الآية والخامس من جهة الشروط التي يصح بها الفعل
ويفسد كشرط الصلوة والنكاح قال وهذه الجملة اذا تصورت
علم ان كل ما ذكره المفسرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه
التقاسيم فكن على بصيرة الباب الرابع في البحث عن الناسخ
والمنسوخ قال في البزدوي وتقريره دليلنا على جواز النسخ ووجوده
المستلزم لجوازه عقلا من جهة السمع والتوقف ان احدا لا ينكر
استحلال نكاح الاخوات في شريعة آدم عليه السلام وقد ورد
في التورية ان الله تعالى امر آدم بتزويج بناته من بنيه وان احدا
لا ينكر الاستمتاع بحوا لآدم عليه السلام وهي خلقت منه فان ذلك

مطلب
الباب الرابع في البحث عن الناسخ والمنسوخ

نسخ

نسخ بغيره من الشرائع وكذلك الجمع بين الاختين كان مشروعا في شريعة
يعقوب عليه السلام فانه ذكر في التورية ان يعقوب عليه السلام خطب
الصغرى فقال ابوها ليس من سنة بلدنا ان تزوج الصغرى قبل الكبرى
فتزوجهما معا ثم حرم الجمع بين الاختين في حكم التورية واما الدليل
المعقول فهو ان النسخ بيان مدة الحكم للعباد فالامر المطلق في حيوته
صلى الله عليه وسلم للايجاب لا للبقاء فيقتضي انه يكون المامور به واجبا
والبقاء بعد الثبوت باستصحاب الحال على احتمال العدم بدليل
يوجب العدم فالناسخ الدال على عدم البقاء لا يكون متعرضا لحكم
الدليل الاول انتهى مختصرا اعلم ان النسخ مما خص الله به هذه الامة
لحكم ويرد بمعنى الازالة ومنه قوله تعالى فينسخ الله ما يلقي الشيطان
ثم يحكم الله آياته وبمعنى التبديل ومنه يؤيده واذا بدلنا آية مكان آية
وبمعنى التحويل كتناسخ المواريث بمعنى تحويل الميراث من واحد
الى آخر وسيجيء بيانه في جواز نسخ الكتاب بالسنة وبمعنى النقل
من موضع الى موضع ومنه نسخت الكتاب اذا نقلت ما فيه ثم قيل
اطلاقه على المعنيين بالاشتراك كان الاصل في الاطلاق الحقيقة
وقيل حقيقة في الازالة مجاز في الآخر لانه لم يستعمل الا فيهما وليس حقيقة
في النقل لان في نسخ الكتاب لم يوجد النقل فتعين انه يكون حقيقة في الآخر

وقيل بالعكس والاول اولى لانه نقل المنسوخ الى ناسخه لا يتصور واما الازالة
فمتصورة ومن جملة حكمة النسخ التيسير وقد اجمع المسلمون على جوازه
وانكره اليهود لانه بيان مدة الحكم كالاحياء بعد الاماتة وعكسه
والمرض بعد الصحة وعكسه والفقر بعد الغناء وعكسه فكذلك الامر
والنهي قيل لا ينسخ القرآن الا بالقرآن كقوله تعالى ما ننسخ من آية
او ننسها نأت بخير منها او مثلها وقيل بل ينسخ القرآن بالسنة
ايضا لانها ايضا من عند الله تعالى قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو
الا وحي يوحى وفي البزدوي وتقريره احتج بعض اصحابنا منهم
الشيخ ابو منصور الماتريدي رحمه الله في جواز نسخ الكتاب بالسنة
بقوله تعالى اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين
والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ووجه الاحتجاج ان هذه
الوصية فرضت بموجب هذه الآية ثم نسخت بقول النبي صلى الله عليه وسلم
لا وصية لوارث وهذا الحديث في قوة المتواتر اذ المتواتر نوعان
متواتر من حيث الرواية ومتواتر من حيث ظهور العمل من غير نكير
فان ظهوره يغني الناس عن روايته وهو بهذه المثابة لا يقال
ثبت النسخ بآية المواريث لانه فيها ايجاب حق بطريق الارث
فلا يكون منافيا فلا يثبت به النسخ ولا يجوز ان يقال لعل ناسخه انزل

في

في القرآن لكن لم يبلغنا لانتساخ تلاوته مع بقاء حكمه لان فتح هذا الباب
يؤدي الى الوقف في جميع احكام الشرع اذ ما من حكم الا ويتوهم فيه
ان ناسخه انزل ولم يبلغنا لانتساخ تلاوته وفيه خرق الاجماع لانعقاده
على ان ما وجد صالحا لاثبات الحكم هو المثبت وما وجد صالحا للنسخ
فهو الناسخ وان احتمل اضافة الحكم والنسخ الى غير ما ظهر مع عدم الظفر به
بعد البحث التام انتهى قال الشافعي رحمه الله حيث وقع نسخ القرآن
بالسنة فمعها قرآن عاضد لها وحيث وقع نسخ السنة بالقرآن فمعه
سنة عاضدة له ليتبين توافق القرآن والسنة والنسخ لا يقع
النسخ اقسام — الا في الامر والنهي ولو بلفظ الخبر فالنسخ اقسام احدها نسخ المامور منه
قبل امتثاله وهو النسخ على الحقيقة كآية النجوى الثاني ما نسخ مما كان
شرعا لمن قبلنا كآية شرع القصاص والدية او كان امر به امرا جليا
كنسخ التوجه الى بيت المقدس بالكعبة وصوم عاشوراء برمضان وانما يسمى
هذا نسخا تجوزا الثالث ما امر به لسبب ثم يزول السبب كالامر حين
الضعف والقلة بالصبر والصفح ثم نسخ بايجاب القتال وهذا في الحقيقة
ليس نسخا بل هو من قسم المنسأ كما قال تعالى او ننسأها فالمنسأ هو الامر
بالقتال الى ان تقوى المسلمون وفي حال الضعف يكون الحكم وجوب
الصبر على الاذى قيل سور القرآن باعتبار الناسخ والمنسوخ اقسام

قسم ليس فيه ناسخ ولا منسوخ وهو ثلث واربعون سورة الفاتحة
ويوسف ويس والحجرات والرحمن والحديد والصف والجمعة
والتحريم والملك والحاقة ونوح والجن والمرسلات وعم والنازعات
والانفطار وثلث بعدها والفجر وما بعدها الى آخر القرآن الا التين
والعصر والكافرون وقسم فيه الناسخ والمنسوخ وهو خمس وعشرون
البقرة وثلاث بعدها والحج والنور وتاليها والاحزاب وسبا
والمؤمن وشورى والذاريات والطور والواقعة والمجادلة
والمزمل والمدثر وكورت والعصر وقسم فيه الناسخ فقط وهو ستة
الفتح والحشر والمنافقون والتغابن والطلاق والاعلى وقسم
فيه المنسوخ فقط وهو الاربعون الباقية والنسخ في القرآن على ثلثة
اضرب احدها ما نسخ تلاوته وحكمه معا والثاني ما نسخ حكمه دون تلاوته
والثالث ما نسخ تلاوته دون حكمه واورد بعضهم فيه سؤالا
وهو ما الحكمة في رفع التلاوة مع بقاء الحكم واجيب بانه ذلك
ليظهر به مقدار طاعة هذه الامة فيسرعون باليسر شئ كما سارع
الخليل الى ذبح ولده بمنام والمنام ادنى طريق الوحي وفي الاتقان
قال ابو عبيد حدثنا اسمعيل بن ابرهيم عن ايوب عن نافع عن ابن عمر
رض قال لا يقولن احدكم قد اخذت القرآن كله وما يدريه ما كله

قد ذهب منه قران كثير ولكن ليقل قد اخذت منه ما ظهر وقال حدثنا
ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة بن الزبير
عن عائشة رضي الله عنها قالت كانت سورة الاحزاب تقرأ
في زمان النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية فلما كتب عثمان المصاحف
من عجيب المنسوخ
لم يقدر منها الا على ما هو الآن قيل من عجيب المنسوخ قوله تعالى خذ العفو
وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين فان اولها وآخرها منسوخ
ووسطها محكم وهو وأمر بالعرف وايضا من عجيبه آية اولها
منسوخ وآخرها ناسخ ولا نظير لها وهو قوله تعالى عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم يعني بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا
ناسخ لقوله عليكم انفسكم وفي البرهان يجوز نسخ الناسخ فيصير منسوخا
كقوله تعالى لكم دينكم ولي دين نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين ثم نسخ هذه
بقوله تعالى حتى يعطوا الجزية قيل فيه ان قوله حتى يعطوا الجزية مخصص
اول الناسخ من القرآن
لا ناسخ اخرج ابو عبيد وغيره عن ابن عباس قال اول ما نسخ من القرآن
شان القبلة قيل ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد
المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لان النسخ يتضمن رفع
حكم واثبات حكم تقرر في عهده صلى الله عليه وسلم فالمعتمد فيه
النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد والناس في هذا بين طرفي

نقيض فمن قائل لا يقبل في النسخ اخبار الآحاد العدول ومن متساهل
يكتفي فيه بقول مفسر او مجتهد والصوا خلاف قولهما انتهى قيل
ومما رفع رسمه من القرآن ولم يرفع من القلوب حفظه سورتا
القنوت في الوتر وتسمى سورتي الخلع والحفد وحكى القاضي ابو بكر
في الانتصار عن قوم انكار هذا الضرب لان الاخبار فيه اخبار آحاد
ولا يجوز القطع على انزال قرآن ونسخه باخبار آحاد لا حجة فيها ومنه
ما روي عن عمر رضي الله عنه من قوله لولا ان يقول الناس زاد عمر
في كتاب الله لكتبتها يعني آية الرجم قال ابن الحصار ان قيل كيف يقع
النسخ الى غير بدل وقد قال تعالى ما ننسخ من آية او ننسها نأت بخير
منها او مثلها وهذا اخبار لا يدخله خلف فالجواب ان نقول كل ما ثبت
الآن في القرآن ولم ينسخ فهو بدل مما قد نسخت تلاوته فكل ما نسخه الله
من القرآن مما لا نعلمه الآن فقد ابدله ما علمناه وتواتر الينا لفظه
ومعناه فاذا عرفت هذا فاعلم انه مما يجب الايمان به الايمان بالكتب والمراد
من الايمان بها العلم بكونها كلام الله تعالى انزلها على انبيائه وجملتها مائة
واربعة كتب انزل منها على آدم على نبينا وعليه السلام عشر صحايف
وعلى شيث عليه السلام خمسين صحيفة وعلى ادريس عليه السلام ثلثين صحيفة
وعلى ابرهيم عليه السلام عشر صحايف وعلى موسى عليه السلام التورية

وعلى

وعلى عيسى عليه السلام الانجيل وعلى داود عليه السلام الزبور وعلى محمد
صلى الله عليه وسلم القرآن فما ثبت تعيينه باسمه يجب الايمان به
تفصيلا وما لم يعرف اسمه يجب الايمان به اجمالا والله تعالى يقول الحق
وهو يهدي السبيل **الباب الخامس** في البحث عن عمومه وخصوصه

الباب الخامس في البحث عن عمومه وخصوصه وسائر وجوهه

وسائر وجوهه وفنون علومه اعلم ان العام لفظ يستغرق الصالح له
من غير حصر نحو كل من عليها فان فسجد الملائكة كلهم اجمعون للذين
احسنوا الحسنى وزيادة للذين اتقوا عند ربهم جنات وايا ما
تدعوا فله الاسماء الحسنى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره
وقد افلح المؤمنون فاقتلوا المشركين ان الانسان لفي خسر الا الذين
آمنوا فلا تقل لهما اف وان من شيء الا عندنا خزائنه ذلك الكتاب
لا ريب فيه وهو على ثلاثة اقسام الاول الباقي على عمومه نحو
والله بكل شيء عليم ولا يظلم ربك احدا والثاني العام المراد به
الخصوص والثالث العام المخصوص والفرق بينهما ان الاول
لم يرد شموله لجميع الافراد لا من جهة تناول اللفظ ولا من جهة
الحكم بل هو ذو افراد استعمل في فرد منها والثاني اريد عمومه
وشموله لجميع الافراد من جهة تناول اللفظ لها لا من جهة الحكم

وايضا ان الاول مجاز قطعا لنقل اللفظ عن موضوعه الاصلي بخلاف
الثاني فان فيه مذاهب اصحها انه حقيقة وعليه كثير من الحنفية والشافعية
وجميع الحنابلة ونقله امام الحرمين عن جميع الفقهاء وايضا ان الاول
يصح ان يراد به واحد اتفاقا وفي الثاني خلاف قال تعالى الذين
قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم المراد به الخصوص
لان القائل واحد نعيم بن مسعود الاشجعي او اعرابي من خزاعة كما
اخرجه ابن مردويه من حديث ابي رافع لقيامه مقام كثير
في تثبيط المؤمنين عن ملاقات ابي سفيان قال الفارسي
ومما يقوي ان المراد به واحد قوله انما ذلكم الشيطان فوقعت
الاشارة بقوله ذلكم الى واحد بعينه ولو كان المعني به جمعا لقال
انما اولئكم الشياطين وقال تعالى ام يحسدون الناس اي رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجمعه ما في الناس من الخصال الحميدة اخرج
ابن جرير من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى
من حيث افاض الناس قال ابرهيم ومن الغريب قراءة
سعيد بن جبير من حيث افاض الناسي واما المخصوص فامثلته
في القرآن كثيرة وهي اكثر من المنسوخ اذ ما من عام فيه الا وقد خص
ثم المخصص له اما متصل واما منفصل فالمتصل خمسة وقعت

في

في القرآن الاول الاستثناء نحو والشعراء يتبعهم الغاوون الا الذين
آمنوا كل شيء هالك الا وجهه الثاني الوصف نحو وربائبكم اللاتي
في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن الثالث الشرط نحو والذين
يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
الرابع الغاية نحو قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر
الى قوله حتى يعطوا الجزية الخامس بدل البعض من الكل نحو ولله على الناس
حج البيت من استطاع اليه سبيلا واما المنفصل فآية اخرى
في محل آخر او حديث او اجماع او قياس فان اردت الاتقان
فعليك بالاتقان واختلف في الخطاب الخاص به صلى الله عليه وسلم
نحو يا ايها الرسول يا ايها النبي هل يشمل الامة فقيل نعم لان امر القدوة
امر لاتباعه معنى عرفا والاصح في الاصول المنع لاختصاص الصيغة به
واختلف ايضا في الخطاب بيا ايها الناس هل يشمل الرسول
صلى الله عليه وسلم على مذاهب اصحها يعم لعموم الصيغة له
اخرج ابن ابي حاتم عن الزهري قال اذا قال الله يا ايها الذين
آمنوا فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم وقيل لا يعم لانه ورد على لسانه
لتبليغ غيره ولما له من الخصايص وقيل ان اقترن بقل لم يشمله
لظهوره في التبليغ وذلك قرينة عدم شموله والا فيشمله والاصح

مطلب

في الاصول ان الخطاب بيا ايها الناس يشمل الكافر والعبد لعموم اللفظ وقيل
لا يعم الكافر بناء على عدم تكليفه بالفروع ولا العبد لصرف منافعه الى سيده
شرعا واختلف في الخطاب بيا اهل الكتاب هل يشمل المؤمنين
فالاصح لا لان اللفظ قاصر واختلف في من هل يتناول الانثى فالاصح
عدم تناوله من غير قرينة فلا يعم خلافا للشافعية فالاصح عندهم
شمولها واستدلوا بقوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى
واختلف في جمع الذكور السالم هل يتناولها فالاصح لا وانما يدخلن فيه
بقرينة واما المكسر فلا خلاف في دخولهن فيه اعلم ان من سائر وجوه
وجوه مخاطبات القرآن فقد قيل ان الخطاب في القرآن على خمسة عشر
وجها وقيل على اكثر من ثلثين وجها خطاب العام والمراد به
العموم مثل الله الذي خلقكم وخطاب الخاص والمراد به الخصوص
كقوله تعالى يا ايها الرسول بلغ وخطاب العام والمراد الخصوص
كقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم لم يدخل فيه الاطفال والمجانين
وخطاب الخاص والمراد العموم كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم
النساء افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم والمراد سائر
من يملك الطلاق وخطاب الجنس والنوع كقوله تعالى يا ايها الناس
يا بني آدم وخطاب العين نحو يا آدم اسكن يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا

وخطاب

وخطاب المدح نحو يا ايها الذين آمنوا وخطاب الذم نحو يا ايها الذين
كفروا لا تعتذروا قل يا ايها الكافرون ولتضمنه الاهانة لم يقع في القرآن
في غير هذين الموضعين وخطاب الاهانة نحو فانك رجيم وخطاب
التهكم نحو ذق انك انت العزيز الحكيم وخطاب الجمع بلفظ الواحد يا ايها
الانسان ما غرك بربك الكريم وخطاب الواحد بلفظ الجمع نحو يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات الى قوله فذرهم في غمرتهم فهو خطاب له
صلى الله عليه وسلم وحده اذ لا نبي بعده ولا معه وكذا قوله وان عاقبتم
فعاقبوا الآية خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده بدليل قوله واصبر
وما صبرك الا بالله الآية خطاب له صلى الله عليه وسلم وكذا قوله
فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا بدليل قوله قل فأتوا وخطاب الواحد
بلفظ الاثنين نحو القيا في جهنم والخطاب لمالك خازن النار وان كان
لخزنة النار فيكون خطاب الجمع بلفظ الاثنين وخطاب الاثنين
بلفظ الجمع نحو ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وقس عليه
خطاب الجمع بعد الواحد وخطاب الواحد بعد الجمع وخطاب الاثنين
بعد الواحد وعكسه وخطاب العين والمراد به الغير وخطاب الغير
والمراد به العين وغيرها ذكر من الخطابات قال بعضهم خطاب القرآن
ثلثة قسم لا يصلح الا للنبي صلى الله عليه وسلم وقسم لا يصلح الا لغيره

وقسم يصلح لهما قال العلماء متى وجد دليل على تقييد المطلق صير اليه
والا فلا بل يبقى المطلق على اطلاقه والمقيد على تقييده لان الله تعالى
خاطبنا بلغة العرب والضابط ان الله اذا حكم في شئ بصفة او شرط
ثم ورد حكم آخر مطلقا نظر فان لم يكن له اصل يرد اليه الا ذلك
الحكم المقيد وجب تقييده به وان كان له اصل غيره لم يكن رده
الى احدهما باولى من الآخر واعلم ان فنون علوم القرآن كثيرة
ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى فهم القرآن بل كلما اشكل على النظار
واختلف الناس فيه من النظريات والمعقولات ففي القرآن
رموز اليه ودلالات عليه يختص اهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك
ترجمة ظاهر تفسيره قال في الاحياء فاعلم ان من زعم ان لا معنى
للقرآن الا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه فهو مصيب
في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته
التي هي حده ومحطه فالاخبار والآثار تدل على ان في معاني القرآن
متسعا لارباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا ان يؤتي الله تعالى عبدا
فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم
وقال صلى الله عليه وسلم ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا وروى
ايضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن

والحد

والحد والمطلع وقال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا
من تفسير فاتحة الكتاب فما معنى ذلك وتفسير ظاهرها في غاية
الاختصار وقال ابو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها
وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون الف فهم وما بقي من فهمها
اكثر وقال بعضهم القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم اذ لكل
كلمة علم ثم يتضاعف ذلك اربعا لكل واحد ظاهر وباطن وحد
ومطلع وترديد رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم
عشرين مرة لا يكون الا لتدبره باطن معانيها والا فترجمتها
وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله صلى الله عليه وسلم الى تكريره وقول
ابن مسعود رضي الله عنه من اراد علم الاولين والآخرين فليتدبر
القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسير الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها
داخلة في افعال الله تعالى وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وصفاته
وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن اشارات الى مجامعها ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال
صلى الله عليه وسلم في حديث علي رضي الله عنه والذي بعثني بالحق
لتفترقن امتي عن اصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة
كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان كذلك فعليكم بكتاب الله

فانه فيه نبأ من كان قبلكم وبيان ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه
من الجبابرة قصمه الله تعالى ومن ابتغى العلم في غيره اضله الله وهو
حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به
ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقام ولا يزيغ فيستقيم لا تنقضي عجائبه
ولا يخلقه كثرة الرد الحديث وفي حديث حذيفة لما اخبره رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت يا رسول الله
فما تأمرني ان ادركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه
فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك فقال تعلم كتاب الله
واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال علي كرم الله وجهه من فهم القرآن
فسر جمل العلوم اشار به ان القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها
وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا يعني الفهم في القرآن وقال ايضا في الاحياء ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم دعا لابن عباس رضي الله عنهما فقال اللهم
فقهه في الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل
ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك وان الله عز وجل قال
لعلمه الذين يستنبطونه منهم فاثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم
ان الاستنباط وراء السماع انتهى ولا مطمع في الوصول الى اسرار

الباطن

الباطن قبل احكام الظاهر فمن ادعى فهم اسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر
فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب اذ البحث
عن عمومه وخصوصه وسائر وجوهه وفنون علومه بعد التوفيق من الله
الملك الوهاب المقصد الثالث في النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم
وهي التصديق على الرسالة والايمان بجميع ما جاء به وطاعته في اوامره
ونواهيه ونصرته باتباع سنته واعظام حقه واحياء سنته والتلطف
في تعلمها وتعليمها والتخلق باخلاقه والتأدب بآدابه ومحبته اكثر
من الاهل والولد والوالد والناس اجمعين ومحبة اهل بيته واصحابه
وهو على خمسة ابواب ايضا الباب الاول في تصديقه فيما اتى به
ووجوب الايمان به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور
الذي انزلنا وقال تعالى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا
بالله ورسوله وقال تعالى فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الآية
وقال تعالى ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله ويؤمنوا بي
وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وحسابهم على الله وكذا قال صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده

المقصد الثالث في النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم وهي التصديق على الرسالة والايمان بجميع ما جاء به

لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن
بما ارسلت به الا كان من اصحاب النار رواه ابو هريرة ايضا وليس
المراد بالامة هنا امة الاجابة بدليل كون اليهود والنصارى مذكورا فيه
بل المراد بها امة الدعوة فعلى هذا يدخل فيه جميع اهل الملل الباطلة وتخصيص
اليهود والنصارى بالذكر ليعلم انهما مع كونهما اهلي كتاب وصاحبي شريعة
اذا كانا من اهل النار بترك الايمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم
فغيرهما ممن لم يكن له كتاب ولا شريعة اولى بذلك فكانه عليه الصلوة
والسلام قال اقسم بالله الذي نفسي بقدرته ان كل من يسمع
بنبوتي ولا يؤمن بما جئت به من عند الله تعالى حتى يموت يكون من
اهل النار وبالجملة ان من اراد ان يكون مؤمنا وقال بلسانه لا اله الا الله
محمد رسول الله وصدق معناه بقلبه يكون مؤمنا وان لم يعرف
الفرائض والمحرمات ثم اذا قيل له الصلوات الخمس في كل يوم وليلة
فرض عليك والخمر حرام وكذا ما علم بالتواتر انه من دينه عليه الصلوة والسلام
فان صدقها وقبلها يكون ثابتا على ايمانه وان انكرها ولم يقبلها يكون
خارجا عن الايمان به فان اشكل عليه مسئلة من مسائل الايمان يجب عليه
في الحال ان يعتقد على الاجمال ما هو الصواب عند الله تعالى بان يقول اعتقدت
ما هو الصواب عند الله تعالى وهذا القدر يكفي الى ان يجد عالما يعلم مسائل الايمان

فيسأله

فيسأله عما اشكل عليه ولا يجوز له تأخير الطلب لقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر
ان كنتم لا تعلمون ولا يكون معذورا بالتوقف فيما اشكل عليه ان كان
ما اشكل عليه من ضروريات الدين لان التوقف في المؤمن به يمنع التصديق
قال القاضي ابو الفضل والايمان به صلى الله عليه وسلم هو تصديق نبوته
ورسالة الله تعالى له وتصديقه في جميع ما اتى به وما قاله ومطابقة
تصديق القلب بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق
بالقلب والنطق تم الايمان به والتصديق كما ورد في هذا الحديث نفسه
من رواية عبد الله بن عمر قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا
ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله
عن الايمان قال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد
قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام له مضطر الى النطق
باللسان فهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك
عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم يصدق ذلك
ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا عن اسم

الايمان ولم يكن لهم في الآخرة حكمه ولحقوا بالكافرين في الدرك الاسفل
من النار وبقي عليهم حكم الاسلام باظهار الشهادة بالالسن في احكام الدنيا
المتعلقة بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه
من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث
عنها بل نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال
هل شققت عن قلبه وللفرق بين القول والعقد ما جعل في حديث جبريل
الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان اخريان
بين هذين احدهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع وقت يخترم
الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام الايمان القول
والشهادة به وراه بعضهم مومنا مستوجبا للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم
يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى
ما في القلب وهذا هو مومن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره والثانية
ان يصدق بقلبه وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد
في عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مومن لانه مصدق
والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل ليس بمومن
حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد والتزام ايمان وهي
مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة الا بها فاذا عرفت هذا

فاعلم

فاعلم ان التصديق والايمان به صلى الله عليه وسلم قد ياكد مع اختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة
ودوام حالة وحضور قلب فكن على بصيرة

الباب الثاني في وجوب طاعته صلى الله عليه وسلم

الباب الثاني في وجوب
طاعته صلى الله عليه وسلم في اوامره ونواهيه ونصرته باتباع سنته
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله قل اطيعوا الله
والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين واطيعوا الله والرسول
لعلكم ترحمون لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل
لفي ضلال مبين يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم
تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير واحسن تاويلا ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما اي ينقادوا لحكمك من يطع الرسول فقد اطاع الله
وان تطيعوه تهتدوا وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا
ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين

نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم واتبعوه لعلكم تهتدون وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا يا ايها النبي انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن يطع الله
ورسوله فقد فاز فوزا عظيما فالله تعالى عز شانه وعظم برهانه جعل
طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك
بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال
امره واجتناب نهيه قال المفسرون طاعة الرسول في التزام
سنته والتسليم لما جاء به وقالوا ما ارسل الله من رسول الا
اوجب طاعته على من ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول
في سنته يطع الله في فرايضه وسئل سهل ابن عبد الله عن شرايع
الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه وقيل يقال اطيعوا الله
في فرايضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول
فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له
بالنبوة وعن الزهري انه قال اخبرني ابو سلمة ابن عبد الرحمن انه سمع

ابا هريرة

ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى
اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله تعالى اذ امر بطاعته
فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله تعالى عن الكفار
في دركات النار يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا
اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا اطاعته حيث لم ينفعهم التمني
وقال عليه الصلوة والسلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم
بامر فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة عنه عليه الصلوة والسلام
كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني
دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الآخر عنه صلى الله عليه وسلم
قال انما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء النجاء فاطاعه طايفة من قومه
فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة منهم فاصبحوا مكانهم
فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني فاتبع
ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث
الآخر هكذا مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا
فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي

الجائحة الشدة التي يجتاح من سنة او فتنة
يقال جاحتهم الجائحة واجتاحتهم وجاح الله
ماله واجاحه بمعنى اى اهلكه بالجائحة من الصحاح

لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم
فمن اطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله ومن عصى محمدا
صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس فاذا عرفت
هذا عرفت ان طاعته صلى الله عليه وسلم النصرة باتباع سنته قال
غير واحد من المفسرين ومحمد بن علي الترمذي في قوله تعالى لقد كان لكم
في رسول الله اسوة حسنة الآية الاسوة في الرسول الاقتداء به
والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول وفعل قال سهل في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك
ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق
ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم
محبته تعالى في الآية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم
وما تجنح اليه نفوسهم وروي عن الحسن رضي الله عنه ان اقواما
قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآية قال الزجاج معنى ان كنتم تحبون الله
ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد لله طاعته له
ورضاه بما امر ومحبة الله لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال
الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد طاعة ويقال محبة العبد

العبد لله تعظيمه له وهيبة منه ومحبة الله له رحمته له وارادته الجميل له وبالجملة
فاتباع السنة حتم لازم على كل حال وعن العرباض ابن سارية في حديثه
في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء
الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور
فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل
ضلالة في النار وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن
ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة امرت ان يأخذوا
بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن
وما آتاكم الرسول فخذوه الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اقتدى بي فهو
مني ومن رغب عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها وعن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احيى سنتي فقد احياني
ومن احياني كان معي وسأل رجل من آل خالد عبد الله بن عمر فقال
يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد

ان احسن الحديث كتاب الله
وخير الهدى هدي محمد
صلى الله عليه وسلم
وشر الامور محدثاتها

صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم
ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها
تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله
ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من اقتدى بها
فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل
المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وعن الحسن
ابن ابي الحسن عمل قليل من سنة خير من عمل كثير في بدعة قيل بلغنا
عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه بتعلم السنة والفرائض واللحن اي اللغة
وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم بالسنن فان
اصحاب السنن اعلم بكتاب الله تعالى وفي خبره حين صلى بذي
الحليفة ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصنع وعن علي كرم الله وجهه حين قرن فقال له عثمان رضي الله عنه
ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن ادع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه قال الا اني لست
بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم

ما استطعت

ما استطعت وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد
في البدعة وقال ابي ابن كعب عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض
من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه
فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله
في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس
ورقها فهي كذلك اذ اصابتها ريح شديدة فتحاتت عنها ورقها
الا حط الله عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة ورقها فان اقتصادا
في سبيل الله وسنة خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة وكتب
بعض عمال عمر بن عبد العزيز اليه بحال بلده وكثرة لصوصه هل يأخذهم
بالظنة او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم
بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء
في قوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى
كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الشافعي
رحمه الله ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر رضي الله عنه ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر
ولولا اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
ثم قبله قال ابو سليمان الخطابي من امر السنة على نفسه قولا وفعلا

نطق بالحكمة ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وجاء في تفسير
قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم
وحكى عن احمد بن حنبل رحمه الله قال كنت يوما مع جماعة تجردوا
ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا يقول لي
ابشر يا احمد فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة وجعلك
اماما يقتدى بك وروى انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من دخل في امرنا هذا
ما ليس منه فهو رد وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا
شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به
اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ قال الله تعالى
فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم عذاب اليم
وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من امة ابتدعت
بعد نبيها في دينها بدعة الا اضاعت مثلها من السنة فاذا
عرفت هذا تعرف انه ليس المراد من قول الفقهاء وهو ان البدعة
قد تكون مباحة كاستعمال المنخل والمواظبة على اكل لب الحنطة
والشبع منه وقد تكون مستحبة كبناء المنارة والمدارس

وتصنيف الكتب بل قد تكون واجبة كنظم الدلائل لدفع شبه الملاحدة
ونحوها من الفرق الا غير البدعة القبيحة لانهم قالوا بان البدعة في
الاعتقاد بعضها كفر وبعضها اكبر من كل كبيرة في العمل نعوذ بالله تعالى
فلا يمكن انه يكون مباحة فضلا عن انه تكون مستحبة او واجبة والبدعة
القبيحة ما تضمن مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم او اضاعة مثله
من السنة وكل ما تضمن مخالفة امر الرسول صلى الله عليه وسلم او اضاعة
مثله من السنة ضلالة ومنكر مستوعد من الله تعالى بالعذاب سواء
كان في الاعتقاد او في العبادة فيكون معنى كل بدعة ضلالة كل بدعة
قبيحة لتضمنه المخالفة او الاضاعة ضلالة كيف ولو لم يكن كذلك
لكانت البدعة تتناول ما كانت في العادات في الملابس والمآكل
والمشارب وغيرها من اللوازم الضرورية وغير الضرورية فيكون
ضلالة ولباس البلاد الحارة غير لباس البلاد الباردة مثلا وليس فيه
ما يتضمن المخالفة او الاضاعة فلم تتناول العادات اصلا بدليل
قوله عليه الصلوة والسلام انتم اعلم بامر دنياكم اذا امرتكم بشئ من دينكم
فخذوا به وقوله عليه السلام من احدث من امرنا هذا الحديث بل تقتصر
على بعض الاعتقادات وبعض صور العبادات الذين وجد فيهما ايا المخالفة
او الاضاعة ولو تتبعت كل ما قيل فيه بدعة حسنة من جنس العبادة وجدته

ما أذونا فيه من الشارع اشارة او دلالة وعدم الوقوع في الصدر الاول
اما لعدم الاحتياج او لعدم القدرة بعدم الاسباب او لعدم التفرغ له
بالاشتغال بالاهم او نحو ذلك قال عبد الله بن سهل التستري
اصول الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في ثلثة في الاخلاق والافعال
والاكل من الحلال واخلاص النية في جميع الاحوال واعلم ان من اراد
الخلاص من ظلمة الحجاب وكشف النقاب فعليه بالتزام ما جئته بينه ح
ظاهرا وباطنا واستحكام قواعد مهدتها بادبا وكاملا فلا يمكن الوصول
ولا يتيسر التقرب اليه تعالى الا بمتابعته صلى الله عليه وسلم واتباع شريعته
فلا يشم رائحة المحبة الا بمحبته واتباع طريقته فانه صلى الله عليه وسلم
بين كيفية طاعة العبد لربه وعين كمية العبادات والطاعات من
الفرائض والنوافل والمستحبات وبين كيفية معاملته مع بني نوعهم
في المصاحبات والمبايعات والمناجات وسائر ما يقع بينهم من انواع
المعاملات وبين ما يتصل به معاشه في ملاذه ومشاربه وما يجوز وما لا يجوز
منه التصرف فيه فما خلى شيئا مما يتصوره الا افصح بيانه ولا مما يكدره
الا سمح بتبيانه فمن اقتفاه في جميع ما يصدر عنه من الاقوال والافعال
عادة وعبادة فقد اطاعه ونصره باتباع سنته **الباب الثالث**
في اعظام حقه واحياء سنته والتلطف في تعلمها وتعليمها قال الله تعالى

الباب الثالث في اعظام حقه واحياء سنته

يا

يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله قلوبهم
للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله
غفور رحيم انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله
وتعزروه وتوقروه الاية وقال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا الاية فاوجب جل وعلا تعزيره وتوقيره والزم اكرامه
وتعظيمه قال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد وتعزروه تبالغوا
في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبري تعينونه وقرئ
من العز تعززوه بزائين ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء
الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وقال سهل بن
عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا
ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه فهذه الاقوال
في قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم قال الماوردي
اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع حرمته

انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته والجهر له
بالقول كما يجهر بعضكم لبعض برفع صوته وقيل اي لا تبدأوه بقوه
في الكلام ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم بعضا ولكن عظموه ووقروه
ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا
كقوله في الآية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا على احد التأويلين وروى صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم
في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا له
اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت فاذا عرفت
هذا فاعلم ان عادة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين كانت
يهتمون في تعظيمه وتوقيره واجلاله صلى الله عليه وسلم روى
الترمذي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر
وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة ابن شريك
اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على رؤسهم الطير
وفي حديث صفته عليه السلام اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم
الطير وعن انس رضي الله عنه لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

والحلاق

والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة
الا في يد رجل واعلم ان حرمة النبي وتعظيمه صلى الله عليه وسلم
بعد موته وتوقيره واجلاله لازم كما كان حال حياته وذلك
عند ذكره صلى الله عليه وسلم وذكر حديثه وسنته وسماع اسمه الشريف
وسيرته ومعاملة اهله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته وروى
غير واحد من الثقاة وقالوا انبأ ابن حميد قال ناظر ابو جعفر
امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له
مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المجلس فان الله ادب
قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآيه ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله الآيه وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآيه وان حرمته
ميتا كحرمته حيا فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله
استقبل القبلة وادعو ام استقبل رسول الله وادعو فقال لم تصرف
وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه وعلى نبينا
السلام الى الله يوم القيمة بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله
قال الله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم الآيه وكان عبد الرحمن
ابن مهدي اذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم بالسكوت

وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وبيّنا ول انه يجب له من الانصات
عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله وكان ابن سيرين اذا ذكر
عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال محمد بن عبد الله
كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
توضأ وتهيأ ويلبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن ذلك
فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف
كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم
الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم
وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا
جددا ولبس ساجة وتعمم ووضع على رأسه رداءه وتلقى له منصة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر بالعود حتى يفرغ من
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس
فقيل لمالك في ذلك فقال اني احب ان اعظم حديث رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على طهارة متمكنا وكانت
في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه الصلوة والسلام
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب القلنسوة

بل

بل لما تضمنته من شعره عليه الصلوة والسلام لئلا اسلب بركتها وتقع
في ايدي المشركين ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي انه وهب الشافعي كراعا
كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل
هذا الجواب وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية بضرب
ثلثين درة وامر بحبسه وقال ما احوجه الى ضرب عنقه تربة
دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة قال عبد الله
ابن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما
طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ حديث النبي
صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة
وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم ومن
توقيره صلى الله عليه وسلم توقير آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما سلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله تعالى
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا الآية
وقال تعالى وازواجه امهاتهم وعن زيد بن ارقم قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلثا قلنا لزيد من اهل بيته

والكراع مثل الكواب من البقر والغنم بمنزلة
الوظيف من الفرس والوظيف مستدق
الذراع والساق من الخيل والابل وغيرها
منه

قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس قال بعض العلماء
معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم
بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن عمر بن ابي سلمة
لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية وذلك
في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء وعلي
خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا **الباب الرابع** في محبته صلى الله عليه وسلم
اكثر من الاهل والولد والناس اجمعين قال الله تعالى قل ان كان
اباءكم وابناءكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله
ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله
لا يهدي القوم الفاسقين فكفى بهذا دلالة وحجة على الزام محبته
وعظم خطرها واستحقاقها له صلى الله عليه وسلم اذ قرع سبحانه وتعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم
انهم ممن ضل ولم يهده الله تعالى وعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه
انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي

(في الهامش: الباب الرابع في محبته صلى الله عليه وسلم)

التي

التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى
اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب
لانت احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر وعن انس رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين
وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لا يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن انس
رضي الله عنه عنه عليه السلام ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان
ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه
الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار
قال سهل من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الاحوال
ويرى نفسه في ملكه لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث وفي
صحيح البخاري عن انس بن مالك رضي الله عنهما ان رجلا اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة قال ما اعددت لها
قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني احب الله
ورسوله قال انت مع من احببت وروى صفوان بن قدامة

قال جئت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله
ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك
قال المرء مع من احب وروي هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن ابي ذر رضي الله عنهم بمعناه
وعن علي كرم الله وجهه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد حسن وحسين
رضي الله عنهما وقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان
معي في درجتي يوم القيمة وروي ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي واني لاذكرك
فما اصبر حتى اجئ فانظر اليك واني ذكرت موتي وموتك فعرفت
انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك
فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن
اولئك رفيقا فدعا به فقراها عليه وفي حديث آخر كان رجل
عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرق فقال ما بالك قال
بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله
بتفضله فانزل الله الآية وفي حديث انس من احبني كان معي في الجنة
وسئل علي بن ابي طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم

قال

قال كان والله احب الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا
ومن الماء البارد على الظماء فظهور صدق محبته صلى الله عليه وسلم
علامات فاولها الاقتداء به واستعمال سنته واتباع اقواله
وافعاله وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه
في عسره ويسره وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة
شهوته قال الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون
من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون
على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الآية وعن سعيد ابن المسيب قال
قال انس بن مالك قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني
ان قدرت ان تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لاحد فافعل
ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيى سنتي فقد احبني
ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل
المحبة لله ورسوله ومن خالفها في بعض الامور فهو ناقص
المحبة ولا يخرج عن اسمها حتى استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم
للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه
يحب الله ورسوله ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم
كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره ومنها كثرة شوقه الى لقائه

وكل حبيب يحب لقاء حبيبه وكان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك
كثير من التابعين ومنها محبة لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار
وعداوة من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فبالحقيقة
من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه سيرة السلف حتى في
المباحات وشهوات النفس وقد قال انس رضي الله عنه حين
رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي القصعة
فما زلت احب الدباء من يومئذ وكان ابن عمر يلبس النعال
السبتية ويصبغ بالصفرة اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم
يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله تعالى ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه
واستثقاله كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون
بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله الآية
وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم وقد قتلوا احباءهم وقاتلوا
آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن ابي لو شئت
لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي اتى به

عليه

عليه الصلوة والسلام وهدى به واهتدى وتخلق به اذ كان خلقه
صلى الله عليه وسلم القرآن وحبه للقرآن تلاوته مع العمل به وتفهمه
وان يحب سنته ويقف عند حدودها كما عرفت ومعنى المحبة
للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اختلاف فقال سفيان المحبة اتباع
الرسول صلى الله عليه وسلم كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني الآية وقال بعضهم محبة الرسول اعتقاد
نصرته وعدم الذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته
وقال بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب وقيل ايثار المحبوب وقيل
مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره وقيل
ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة
الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة في الظاهر الميل الى ما يوافق
الانسان ويكون موافقته له اما باستلذاذه بادراكه او باستلذاذه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة مما يمكن التكلم بها وما لم يمكن
او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه اذ قد جبلت
النفوس على حب من احسن اليها فاذا عرفت هذا عرفت ان النبي
صلى الله عليه وسلم جامع لهذه المعاني الثلثة الموجبة للمحبة اما جمال
الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فكلاهما في الظهور والشيوع

كالشمس في رابعة النهار وامّا احسانه وانعامه على امّته فكذلك
شايع ذايع ومعلوم حمّا وصف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم
وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذهم به من النار وانه
بالمؤمنين رؤوف رحيم رحمة للعالمين مبشرا ونذيرا وداعياً
الى الله باذنه يتلو عليهم اياته ويزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة
ويهديهم الى صراط مستقيم فكان صلى الله عليه وسلم ذريعتهم
الى الهداية وداعيهم الى الفلاح والعناية ووسيلتهم الى ربهم
وشفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم
والنعيم السرمد فانظر اىّ احسان اجلّ قدرا واعظم خطرا من احسانه
صلى الله عليه وسلم الى جميع المؤمنين واىّ افضال اعمّ منفعة
واكثر فائدة من انعامه صلى الله عليه وسلم على كافة المسلمين
على انّ مقام المحبّة اعلى ممّا وصفناه وارفع الدرجات ولهذا قيل
كما عرفت انّها هي مواطاة القلب لما يحبّ المحبوب ويكره
فلا يقول لم فعلت كذا لِمَ قلت كذا قال انس بن مالك رضى الله عنه
خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى لشيء
فعلتهُ لِمَ فعلته ولا لشيء لم افعلهُ لِمَ لم تفعله لانه كان صلى الله عليه وسلم
يرى تصريف محبوبه فيه وتصريف المحبوب في المحب لا يعلّل بل يستلذ

لان المحب مصطلم بنار تحرق كل شيء تجده في قلبه ما سوى محبوبه غيرةً وهذه
المحبة اكثر من محبة الناس اجمعين **الباب الخامس** في محبة اهل بيته
واصحابه صلى الله عليه وسلم قال تعالى محمد رسول الله والذين معه
اشداء على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة وقال تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتّبعوهم باحسان
رضى الله عنهم ورضوا عنه واعدّ لهم جنات تجرى تحتها الانهار
خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وقال تعالى لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الآية وقال تعالى رجال صدقوا
ما عاهدوا الله عليه وقال تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
ويطهّركم تطهيراً وقال تعالى وازواجه امّهاتهم الآية وعن سعد بن ابى وقاص
لما نزلت آية المباهلة دعا النبي صلى الله عليه وسلم علياً وحسناً وحسيناً
وفاطمة وقال اللهم هؤلاء اهلى وقال النبي صلى الله عليه وسلم في على
من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال
للعباس والذى نفسى بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله
ومن اذى عمّى فقد اذانى وقال للعباس اُغدُ علىّ يا عم مع وُلدِك
فجمعهم وجلّلهم بملائه وقال هذا عمّى وصنو ابى وهؤلاء اهل بيتى فاسترهم من النار

الباب الخامس في محبة اهل بيته واصحابه صلى الله عليه وسلم

كسرى اباهم فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين
وقال ابو بكر رضي الله عنه ارقبوا محمداً في اهل بيته وقال ايضا
والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي
ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم من اهان
قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها
وقال عليه الصلوة والسلام لام سلمة لا توذيني في عائشة
رضي الله عنها وروي عن عبد الله بن حسن قال اتيت
عمر بن عبد العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل
الي او اكتب فاني استحيي من الله تعالى ان يراك احد على بابي
وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت له
بغلته ليركبها فجاء ابن عباس رضي الله عنهما فاخذ بركابه فقال زيد
خل عنك يا ابن عم رسول الله فقال هكذا نفعل بالعلماء فقبل
زيد يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا
ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابنه عبد الله في ثلثة آلاف
ولاسامة بن زيد في ثلاثة الآف وخمسمائة قال عبد الله لابيه
رضي الله عنهما لم فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد فقال له
لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك

واسامة

واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وقيل لابن عباس رضي الله عنهما ماتت فلانة لبعض ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل له اتسجد في هذه الساعة فقال
اليس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم آية فاسجدوا لها
واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فاذا
عرفت هذا وعرفت فيما تقدم ان حسن الثناء عليهم راجع الى
توقير النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم ان الامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة
وضلال الشيعة والمبتدعين القادحة في احد منهم توقير النبي صلى الله عليه وسلم
ايضا منه فلو نقل منه مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن للزم ان يلتمس
لهم فيما نقل احسن التأويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم
اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك قال صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر اصحابي فامسكوا وعن حذيفة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال
اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وعن انس رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام

لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي
فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله تعالى ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل اُحُدٍ ذهباً ما بلغ مد احدهم
ولا نصيفه ومن سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس
اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وفي حديث جابر رضي الله عنه
ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين
واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعلي فجعلهم خير اصحابي
وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر
فقد ابغضني قال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم
فليس له في المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاؤا من بعدهم الاية
وقال من غاظ اصحاب محمد فهو كافر قال تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق
وحب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ايوب السختياني
من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل
ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله تعالى ومن احب عليا
فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم

فقد

فقد برئ من النفاق ومن انتقص احداً منهم فهو مبتدع مخالف للسنة
والسلف الصالح فمن لم يكن قلبه قاسيا بل كان سليماً يحبهم جميعاً
وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس
اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس اني راض عن عمر
وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن
ابن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس ان الله قد غفر لاهل بدر
والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني
لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيامة غدا
وقال رجل للمعافى ابن عمران عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب
وقال لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية
صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم
بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله
وقال عليه الصلوة والسلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا
من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري من حفظني فيهم
يحفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه
ومن تخلى الله منه يوشك ان يأخذه قال سهل ابن عبد الله التستري
لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعز اوامره والحاصل ان المحب

مطـ المقصد الرابع في النصيحة للائمة

لمن يحب مطيع المقصد الرابع في النصيحة للائمة وهي معاونتهم على الحق
وطاعتهم فيه وتذكيرهم برفق وترك الخروج عليهم ودفعهم عن الظلم
بالتي هي احسن ونحوه والصلوة خلفهم والجهاد معهم واداء الصدقات
اليهم هذا على المشهور من ان المراد منهم الخلفاء واما على التاويل
بعلماء الدين فنصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام وحسن
الظن بهم وهو على مسلكين لما عرفت من القولين اما المسلك الاول
فرتبته على مقدمة وثمانية ابواب المقدمة اعلم ايدك الله تعالى
بفضل منه ان عقول الملوك والسلاطين وان كانت كبارا لكنها
مستغرقة بكثرة الاشغال فتستدعي من النصائح ما يتولج ويتغلغل
في مكامن الاسرار فترتفع الاستار ويظهر منهم الاخلاق الحسنة
والملكات المستحسنة فينتظم دولتهم ويستتم ملكهم وسلطنتهم واتخاذ
الامام واجب شرعا مع كون طلب نصب الامام موجودا في فطرة
العالم فان قلت فما نص الشارع بالامر على اتخاذ الامام فمن اين يكون
واجبا قلنا ان الله تعالى قد امر باقامة الدين بلا شك ولا سبيل
الى اقامته الا بوجود الامان في انفس الناس على انفسهم واموالهم
واهليهم من تعدي بعضهم على بعض وذلك لا يكون ابدا ما لم يكن
ثمه من يخاف سطوته ويرجى رحمته يرجع امرهم اليه ويجتمعون عليه

فاذا

فاذا توقفت قلوبهم من الخوف تفرغوا لاقامة الدين الذي اوجب الله
عليهم اقامته وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو واجب فاتخاذ الامام
واجب اعلم ان في وجود السلطان في الارض حكمة لله تعالى عظيمة
ونعمة على العباد جزيلة عميمة لان الله تعالى جبل الخلق على حب الانتصاف
وعدم الانصاف وتشبههم بلا سلطان مثل الحوت في الماء يزدرد
الكبير الصغير فمتى لم يكن لهم سلطان قاهر لم ينتظم لهم امر ولم يستقم لهم
معاش ولم يتهنوا بالحياة ولهذا قال بعض القدماء لو رفع السلطان
من الارض ما كان لله تعالى في اهل الارض من حاجة ومن الحكم التي
في اقامة السلطان انه من حجج الله تعالى على وجوده ومن علاماته على
توحيده لانه كما لم يمكن استقامة امر العالم واعتداله بغير مدبر
ينفرد بتدبيره كذلك لا يتوهم وجوده وترتيبه وما فيه من الحكمة
ودقايق الصنعة بغير خالق خلقه وعالم اتقنه وحكيم دبره
وكما لا يستقيم سلطانان في بلد واحد لا يستقيم الهان للعالم
والعالم باسره في سلطان الله تعالى كالبلد الواحد في يد سلطان الارض
ولهذا قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه امران جليلان لا يصلح احدهما
الا بالتفرد ولا يصلح الآخر الا بالمشاركة وهما الملك والراي فكما
لا يستقيم الملك بالشركة لا يستقيم الراي بالتفرد فمثال السلطان

في القاموس زرد اللقمة كسمع بلعها كازدردها

القاهر لرعيته ورعيةٍ بلا سلطان مثال بيت فيه سراج منير وحوله
خلقٌ يعالجون صنايعهم فبيناهم كذلك طفئ السراج فقبضوا ايديهم
للوقت وتعطّل جميع ما كانوا فيه فتحرك الحيوان الشرير وحشحش الهوام
الخسيس فدبّت العقرب من مكمنها وكسعت الفارة من جحرها وخرجت
الحيّة من معدنها وجاء اللصّ بحيلته وهاج البرغوث مع حقارته فتعطلت
المنافع واستطارت فيهم المضار كذلك السلطان اذا كان قاهراً لرعيته
كانت المنفعة به عامة فكانت الدماء في اُهُبِها محفوفة والحرم في

في الصحاح واُهُبَة الحرب عدتها

خدورهنّ مصونة والاسواق عامرة والاموال محروسة والحيوان
الفاضل ظاهراً والمرافق حاصلة والحيوان الشرير من اهل الفسوق
والدعارة خاملاً ثم اذا اختلّ امر السلطان دخل الفساد على الجميع وفي

الدَعَر محركةً الفساد والفسق والخبث كالدَعارة والدِعارة والدعرة م القاموس

منثور الحكم سلطان جائر اربعين عاماً خير من رعية مهملة ساعة من النهار
واذا عدل السلطان صلح له ما بعد منه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه
امام عادل خير من مطر وابل واسد حطوم خير من سلطان ظلوم
وسلطان ظلوم خير من فتنة تدوم قال الفضيل ابن عياض جور ستين سنة
خير من هرج ساعة فلا يتمنى زوال السلطان الا جاهل مغرور او فاسق يتمنى
كل محذور فحقيقٌ على كل رعية ان ترغب الى الله في صلاح السلطان
وان يبذل له نصحها ويخصه في الاوقات الخمسة بصالح دعائها فان في صلاحه

صلاح

صلاح البلاد والعباد وكان العلماء يقولون ان استقامت لكم
امور السلطان فاكثروا حمد الله تعالى وشكره وان جاءكم ما تكرهونه وجّهوه
الى ما تستوجبونه بذنوبكم وتستحقونه بآثامكم واقيموا عذر السلطان لانتشار
الامور عليه وكثرة ما يكابده من ضبط جوابي المملكة وارضاء الاولياء

الجوابي جمع الجابي

واستئلاف الاعداء وقلة الناصح وكثرة المدلس والطامع قال

والتدليس كتمان عيب السلعة عن المشتري ومنه التدليس في الاسناد وهو ان يحدث عن الشيخ الاكبر ولعله ما رآه وانما سمعه ممن هو دونه كذا في القاموس

الحكماء لا تستوطنن الا بلداً فيه سلطان قاهر وقاض عادل وسوق قائم
وطبيب عالم وقالوا ايضاً مثل السلطان مثل الغيث الذي هو سقيا الله تعالى
وبركات السماء وحياة الارض ومن عليها وقد يتأذى به المسافر
ويتداعى به البنيان ويكون فيه الصواعق وتدر سيوله فتهلك
ما يهلك من الدواب والزخائر ويموج له البحر فيشتد بليته على اهله ولا يمنع
ذلك اذا نظروا الى آثار رحمة الله تعالى في الارض التي احياها والنبات
التي اخرج والرزق الذي بسط والرحمة التي نشر ان يعظموا النعمة ربهم
ويشكروها ويلغوا ذكر خواص الاذية التي دخلت خواص الخلق وايضاً
مثاله مثال الرياح التي يرسلها الله تعالى نشراً بين يدي رحمته فيسوق
بها السحاب ويجعلها لقاحاً للثمرات وروحاً للعباد يتنشقون منها
ويتقلبون فيها ويجري بها مياههم وتتقد بها نيرانهم وتسير بها في البحر
فلكهم وقد يضر بكثير من الناس في برهم وبحرهم فيشكرها الشاكرون

وقد يتأذى بها كثير من الناس فلا يزيلها ذلك عن منزلتها من كونها
قوام عباده وتمام نعمه وهكذا كل جسم من امور الدنيا يكون ضرره
خاصا ونفعه عاما فالغيث لا يخلو من العيب مثلا ولو كان نعم الدنيا
من غير كدر وميسورها من غير معسور لما كانت الدنيا دنيا بل يكون
هذه الحالة في الجنة التي لا تعب فيها ولا نصب والحاصل ان منزلة
السلطان من الرعية بمنزلة الروح من الجسد فكما ان الجوارح تابعة
ومطيعة الى الروح كذلك الرعية مطيعة في كل حال الى السلطان
فالروح اذا صفت من الكدر سرت الى الجوارح سليمة وجرت
في جميع اجزاء الجسد فامن الجسد واستقامت الجوارح والحواس
وانتظم امر الجسد وان تكدرت الروح او فسد مزاجها فيا ويح
الجسد فيسري الى الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال
فاخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد فمرضت الجوارح وتعطلت
فبطل نظام الجسد وجرى الى الفساد قيل ما شيء واحد يعز به السلطان
قال الطاعة قال فما ملاك الطاعة قال التودد الى الخاصة والعدل
على العامة فالامانة معقل الطاعة والطاعة زينة الملة وكان يقال
طاعة السلطان على اربعة اوجه على الرغبة والرهبة والمحبة والديانة
طاعة الائمة فرض على كل الرعية اتقوا الله لحقه والسلطان لطاعته

طاعة السلطان مقرونة بطاعة الله تعالى من اجلال الله تعالى اجلال
السلطان عادلا كان ام جائرا الطاعة تؤلف شمل الدين وتنظم امر المسلمين
الطاعة ملاك الدين الطاعة معاقل السلامة وارفع منازل السعادة
الطاعة الطريقة المثلى والعروة الوثقى قوام الامة وقيام السنة
بطاعة الائمة الطاعة عصمة من كل فتنة ونجاة من كل شبهة
طاعة الائمة عصمة لمن لجاء اليها وحرز لمن حل فيها ليس على الرعية
ان تعترض الائمة في تدبيرها وان سولت لها انفسها بل عليها
الانقياد وعلى الائمة الاجتهاد بالطاعة تقام الحدود وتؤدى
الفرايض وتحقن الدماء وتامن السبل اولى الناس بطاعة السلطان
ومنا صحبة اهل الدين والنعم والمروات اذ لا يقوم الدين الا بالسلطان
ولا يكون النعم والحرم محفوظة الا به الامامة عصمة للعباد وحيوة
للبلاد اوجب الله تعالى طاعته لمن خصه بفضلها فقرنها بطاعته وطاعة
رسوله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله
واطيعوا الرسول واولي الامر منكم طاعة الائمة هدى لمن استضاء
بنورها ومامن لمن حافظ عليها طاعة الائمة حبل الله المتين ودينه
القويم وجنته الواقية وكفايته العالية اياكم والخروج من انس الطاعة
الى وحشة البغي والعاهة ولا تضمروا غش الائمة وعليكم بالاخلاص والنصيحة

ما مشى قوم الى السلطان ليذلوه الا اذلهم الله تعالى قبل ان يموتوا
الطاعة مقرونة بالمحبة طاعة المحبة افضل من طاعة الهيبة حق الرعية
على السلطان الاستصلاح لهم والتعهد لامورهم وحسن السيرة فيهم
والعدل عليهم والتعديل بينهم وحق السلطان عليهم الطاعة والاستقامة
والشكر والمحبة روى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليزع
بالسلطان ما لا يزع بالقرآن معناه ليدفع وعن حكيم يا بني الملك
والدين اخوان لا غنى باحدهما عن الآخر فالدين اسّ والملك حارس
وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع وكان يقال
الدين والسلطان توأمان وقال كعب مثل الاسلام والسلطان
والناس مثل الفسطاط والعمود والاطناب والاوتاد لا يصلح
بعضهم الا ببعض قال الله تعالى ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
لفسدت الارض يعني لولا ان الله تعالى اقام السلطان في الارض
لدفع القوي عن الضعيف وانتصاف المظلوم من الظالم لاهلك
القوي الضعيف فلا ينتظم لهم حال ولا يستقر بهم قرار فيفسد الارض
ومن عليها ثم امتن الله على الخلق باقامة السلطان فقال ولكن الله
ذو فضل على العالمين يعني في اقامة السلطان فيأمن الناس ويكون
فضله على الظالم كف يديه وفضله على المظلوم امانه وكف يد الظالم عنه

وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا ترد دعوتهم
الامام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق
الغمام ويفتح لها ابواب السماء ويقول الرب عز وجل وعزتي
لانصرنك ولو بعد حين وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب
نشأ في عبادة الله عز وجل ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان
تحابا في الله تعالى اجتمعا عليه وتفرقا ورجل دعته امرأة ذات منصب
وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى
لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه
وروى كثير بن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السلطان
ظل الله يأوي اليه كل مظلوم من عباده فاذا عدل كان له الاجر
وعلى الرعية الشكر واذا جار كان عليه الاصر وعلى الرعية الصبر وفي
الخبر عن ابي هريرة مرفوعا انه قال لعمل العامل في رعيته يوما افضل
من عبادة العابد في اهله مائة سنة او خمسين سنة وقال قيس بن سعد
ليوم من امام عادل خير من عبادة رجل في بيته ستين سنة
وقال مسروق لان اقضي يوما بالحق احب الي من ان اغزو سنة
في سبيل الله وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور او عمل به

مطلب نفيس

وقال الامام الطرطوشي ... [illegible] المشهود في ارض
المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة
فيها القصب الحلو وان قصبة منها تعصر قدحا
فعزم على اخذها ثم اتاها وسألها عن ذلك
فقالت نعم ثم انه قال ... [illegible]
نصف قدح ... [illegible]
فقالت هو الذي ... [illegible]
السلطان قد عزم على اخذها ... [illegible]
بركتها فتاب ... [illegible]
نيته ان لا يأخذها ... [illegible]
قصبة فجاءت ... [illegible]
قال ... [illegible]
فاخذها الملك ... [illegible]
العام ... [illegible]
كل واحد من الاردب ... [illegible]

ادخل الله النقص في اهل مملكته وفي الاسواق والزرع والضرع وكل شئ
واذا هم بالخير والعدل او عمل به ادخل الله البركة في اهل مملكته بذلك
قال الامام الطرطوشي شهدت انا بالاسكندرية والصيد بالخليج مطلق
للرعية والسمك يغلي الماء كثرة ويصيده الاطفال بالخرق ثم حجره السلطان
ومنع الناس من صيده فذهب السمك منه حتى لا يكاد يوجد منه الا
الواحدة بعد واحدة الى يومنا هذا وهكذا يتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون
ضمائرهم الى الرعية وروى اصحاب التواريخ قالوا كان الناس اذا اصبحوا
في زمن الحجاج فتلاقوا يتساءلون من قتل البارحة ومن صلب
ومن جلد وامثال ذلك وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ
مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع
والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك
كان صاحب نكاح وطعام فكان الناس يتحدثون عن الاطعمة ويتسوقون
في الانكحة والسراري ولما ولي عمر بن عبد العزيز كان الناس يتساءلون
كم تحفظ من القران وكم وردك في كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يصوم
من الشهر وامثال ذلك انتهى قال الامام في التفسير الكبير يروى
ان انوشروان خرج يوما الى الصيد وانقطع عن عسكره واستولى
العطش عليه فوصل الى بستان فلما دخل البستان رأى اشجار الرمان

فقال

فقال لصبي حضر في ذلك البستان اعطني رمانة واحدة واعطاه رمانة
فشقها واخرج حبها وعصره فخرج منه ماء كثير فشربه واعجبه ذلك الرمان
فعزم على ان يأخذ ذلك البستان من مالكه ثم قال لذلك الصبي اعطني
رمانة اخرى فاعطاه فعصرها فخرج منها ماء قليل فشربه فوجده عفصا مؤذيا
فقال ايها الصبي لم صار الرمان هكذا فقال الصبي لعل ملك البلد عزم على
الظلم فلاجل شوم ظلمه صار الرمان هكذا فتاب انوشروان في قلبه
عن ذلك الظلم وقال للصبي اعطني رمانة اخرى فعصرها فوجدها اطيب
من الرمانة الاولى فقال للصبي لم بدلت هذه الحالة فقال الصبي لعل
ملك البلد تاب عن ظلمه فلما سمع انوشروان هذه القصة من ذلك
الصبي وكانت مطابقة لاحوال قلبه تاب بالكلية عن الظلم فلاجرم
بقي اسمه مخلدا في الدنيا بالعدل حتى ان من الناس من يروي عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت في زمن الملك العادل
انتهى وفي التفسير النيسابوري في سورة الفاتحة في قوله تعالى مالك
يوم الدين ملك يوم الدين قال ثم يتفرع على كل من القرائتين احكام
اما المتفرعة على الاولى فقراءة المالك ارجى من قراءة ملك لان
اقصى ما يرجى من الملك العدل والانصاف وان ينجو الانسان منه
راسا برأس واما المالك يطلب العبد منه الكسوة والطعام والتربية والانعام

يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم
عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم الملك يطيع فيك واما الملك
انت تطمع فيه الملك لا يختار من العسكر الا كل قوي سوي ويترك
من كان مريضا عاجزا واما الملك ان مرض عبده عالجه وان ضعف
اعانه الملك له هيبة وسياسة واما الملك له رأفة ورحمة واحتياجنا
الى الرأفة والرحمة اشد من احتياجنا الى الهيبة والسياسة واما المتفرقة
على الثانية فانه في الدنيا ملك الملوك قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك
من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وفي الآخرة لا ملك الا هو
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ملكه لا يشبه ملك المخلوقين لانهم
اذا بذلوا قلت خزائنهم ونفدت ذخايرهم وانه سبحانه وتعالى
كلما كان اكثر عطاء كان اوسع ملكا فان اعطاك عشرة اولاد
زاد في ملكه عشرة اعبد من لوازم ملكه كمال الرحمة فلهذا قرن بقوله
ملك يوم الدين قوله رب العالمين الرحمن الرحيم ومثله الملك
يومئذ الحق للرحمن قل اعوذ برب الناس ملك الناس فمن اتصف
بهذه الصفة من ملوك الدنيا صدق عليه انه ظل الله في الارض الكفر
سبب لخراب العالم تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر
الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا والطاعة تتضمن صلاح المعاش

والمعاد من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة
ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون فعلى الناس ان يطيعوا ملوكهم
وعلى الملوك ان يطيعوا مالك الملك حتى ينتظم امور معاشهم ومعادهم
لما وصف نفسه بانه ملك يوم الدين اظهر للعالمين كمال عدله بنفي
الظلم تارة وما ربك بظلام للعبيد وثبوت العدل اخرى ونضع
الموازين القسط ليوم القيمة فلا خلة للملك اعم نفعا واتم وقعا
من ان يكون عادلا ومن هنا يظهر البركة في العالم او ترتفع ان كان
السلطان عادلا او جائرا انتهى • فبالسلطان صلاح الانسان
بل بالسلطان العادل صلاح الدارين وليس فوق السلطان العادل
منزلة الا نبي مرسل وملك مقرب فاتخذ عظم قدر السلطان عندك
حجة الله تعالى على نفسك وناصحه على قدر ما نفعك وليس نفعه مقصورا
على عجالة من حطام الدنيا ولكن الصيانات في حقك مثل حفظ حريمك
وحراسة مالك عن البغاة وهكذا اعم نفع لك ان عقلت فبالسلطان
العادل يصلح البلاد والعباد وينال الزلفى الى الله تعالى والفوز بجنة
المأوى الباب الاول في معاونتهم على الحق اعلم ان معاونتهم على
الحق انما تكون بنصيحة دينية وكل نصيحة دينية من اهلها انما تظهر ثمرتها
بقبول حسن فثمرة المعاونة لا تظهر الا في شجرة القبول فلا بد لكم من معرفة

الباب الاول في معاونتهم على الحق

فصلين **الفصل الاول** فى بيان النصيحة لظهور ثمرة المعاونة قال الله تعالى
يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله وقال عز وجل ولينصرن الله من ينصره ورسله
بالغيب ان الله قوى عزيز ثم سمى المنصورين واوضح شرايطهم فقال
عز من قائل الذين ان مكناهم فى الارض اقاموا الصلوة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فضمن الله تعالى النصر للملوك
وشرط عليهم اربع شرايط كما ترى فاذا تضعضعت قواعدهم وانتقص
عليهم شئ من اطراف مملكتهم او ظهر عليهم عدو باغى فتنة او حاسد نعمة
او اضطربت عليهم الامور ونحوها فليعلموا انهم قد اخلوا بشئ من الشروط
الاربع التى شرطت فى النصر وليلجوا الى الله الملك التواب باقامة
الميزان القسط الذى شرعه الله تعالى لعباده وركوب سبيل العدل
والحق الذى به قامت السموات والارض واظهار شعار الدين
ونصر المظلوم والاخذ على يد الظالم وكف يد القوى عن الضعيف ومراعاة
الفقراء والمساكين وملاحظة ذوى الخصاصة والمستضعفين روى
مسلم فى صحيحه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير يلى امر
المسلمين ثم لا يجهد لهم وينصح الا لم يدخل معهم الجنة وقال معقل بن
يسار سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسترعيه الله

رعيته

روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

رعيته فلم يحطها بنصيحة الا لم يدخل الجنة وروى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذى
على الناس راع وهو مسئول عن رعيته والرجل راع على اهل بيته وهو
مسئول عن رعيته والمراة راعية على بيت زوجها وولده وهى
مسئولة عنهم وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسئول عنه الا فكلكم
راع وكلكم مسئول عن رعيته وروى عبد الرحمن بن سمرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسئل
الامارة فانك ان اعطيتها من غير مسئلة اعنت عليها وان اعطيتها
عن مسئلة وكلت اليها وروى ابو هريرة رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال انكم ستحرصون على الامارة وستكون
ندامة يوم القيمة فنعم المرضعة وبئست الفاطمة وفى الحديث من ولى
من امر المسلمين شيئا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحوط اهل بيته فليتبوا مقعده
من النار وعن ابى سعيد الخدرى انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة الامام الجائر وقال على بن
ابى طالب كرم الله وجهه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ليس من وال ولا قاض الا يؤتى يوم القيمة حتى يوقف بين
يدى الله تعالى على الصراط ثم تنشر الملئكة سيرته فيقرؤنها على رؤس

وكلت اليها بتخفيف الكاف وعلى بناء المجهول يعنى لا يعينك الله عليها لاعتمادك على نفسك فتكون انت مفوضا الى تلك الامارة منه

المخصوص بالمدح والذم محذوف وهو الامارة ضرب صلى الله عليه وسلم المرضعة للامارة الموصلة الى صاحبها من المنافع العاجلة والفاطمة وهى التى انقطع لبنها مثلا لمفارقتها عنها منه

الخلايق فان كان عدلا نجاه الله تعالى بعدله وان كان غير ذلك
انتفض به الصراط انتفاضة صار بين كل عضو من اعضائه مسيرة سنة
ثم ينخرق به الصراط فما يلقى قعر جهنم الا بحر وجهه وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال صنفان من امتي لا تنالهم شفاعتي يوم القيمة
امام ظالم غشوم وغال في الدين مارق منه وقال حذيفة بن اليمان
من اشراط الساعة امراء فجرة ووزراء كذبة وامناء خونة وعلماء فسقة
وعرفاء ظلمة وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري
يا امير المؤمنين من اشد الناس عذابا يوم القيمة فقال سليمان
قل فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيمة من اشركه الله تعالى
في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى
قام عنه جلساؤه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل قضى بغير علم
فهو في النار ورجل قضى بعلم فجار فهو في النار ورجل قضى بالحق
فهو في الجنة وذكر السلطان اعرابي فقال والله لئن عزوا
في الدنيا بالجور لقد ذلوا في الآخرة بالعدل وبقليل فان رضوا
من كثير باق وانما يكون الندم حيث لا ينفع الندم وقال ابو ذر
رضي الله عنه قلت يا رسول الله الا تستعلني قال فضرب بيده على

منكبي وقال يا ابا ذر انك ضعيف وانها امانة وانها يوم القيمة
خزي وندامة الا من اخذها بحقها وادى الذي عليه فيها وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال بعثني رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى اليمن وانا حديث السن فقلت يا رسول الله
ابعثني الى قوم شيوخ ذوي اسنان ولا علم لي بالقضاء فقال
ان الله سيهدي قلبك ولسانك فاذا جلس الخصمان فلا تقض
للاول حتى تسمع كلام الآخر فانك اذا عرفت كلامه عرفت كيف
تقضي فانظر كيف نهى صلى الله عليه وسلم ابا ذر رضي الله عنه
عن القضاء لمعنى فيه يقصر به عن رتبة القضاء مما كان ضده
في علي رضي الله عنه من استجماع شرايط القضاء وقوته عليه
وكيف عاتب جهلة بني اسرائيل طالوت فقالوا انى يكون له الملك
علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال فعابوه
بخصلتين الفقر وانه ليس من بسط المملكة فقال لهم النبي ان الله
اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم فبين شروط الولايات
والممالك انها تفتقر الى العلم الذي به يحكم والى القوة التي بها ينفذ
الاحكام دون ما طلبته بنو اسرائيل فعلم مما ذكر عدم جواز طلب
الولاية والقضاء فان قال قائل اليس سليمان بن داود عليهما السلام

لا يجوز طلب الولاية
والقضاء

قال رب هب لي ملكاً لا ينبغي لاحد من بعدي فهو مع كونه نبيا طلب الامارة
وسألها وظاهره يوذن بان سوال الامارة وطلبها ممدوح لا يمنع منه
ثم زاده على ذلك بان لا يوتى مثله احداً بعده فالكلام على هذه الآية
من وجوه احدها انه انما سأل هذا بعد ان سلبه الله ملكه ثم اعاده عليه
فح طلب الملك فكانه قال هذا الملك الذي جددته لي هبه لي على صفة
لا اعصيك فيه فتسلبني اياه يدل عليه انه بدأ بالمغفرة فقال رب اغفر لي
وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد فلا اعصيك فيه فتواخذني والدليل على ذلك
قوله تعالى هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب حيث اجاب دعاه
فقال له تصرف كيف شئت فلا حساب عليك فيه وقيل ان اعطيت
اجرت وان امسكت فلا تبعة عليك وهذه خصوصا لسليمان بن داود
عليهما السلام لم يخص بها احد من ولد آدم عليه السلام سواه لان الله تعالى
قال للخلايق اجمعين فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون وثانيها
قوله لا ينبغي لاحد من بعدي فقال عطاء معناه لا اسلبه في باقي عمري فيصير
لغيري كما سلبته فيما مضى من عمري وقيل انما سأل ذلك ليكون علما
على المغفرة وقبول التوبة فاجيب الى ذلك فعلم انه قد غفر له وقيل
انما سأل ذلك ليكون آية لنبوته وعلماً على معجزته وقال مقاتل بل كان
سليمان ملكا ولكنه اراد بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي تسخير الرياح والطير

وقال انما اراد به ملك النفس وقهر الهوى [illegible]
ما روي [illegible] سليمان قال بعض [illegible] ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال [illegible] سليمان وما اتاه الله من ملكه [illegible]
فانه لم يرفع [illegible] طرفه [illegible] الى السماء
تخشعا [illegible] حتى قبضه الله وزاده
[illegible] فقال انما اراد ملك النفس والغنا
وقهر الهوى لئلا يغتر بالملك [illegible]
قدم سوال المغفرة على طلب الملك
صح

ع

يدل

يدل عليه ما بعده قوله فسخرنا له الريح الى آخر الآيات وروى البخاري في صحيحه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن جعل يتفلت علي
البارحة ليقطع علي صلوتي وان الله سبحانه امكنني منه فصرعته فلقد
هممت ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى يصبح فتنظرون اليه
كلكم فتذكرت قول سليمان رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
فرده الله خاسئا واما معنى قول يوسف اجعلني على خزائن الارض
اني حفيظ عليم فقالوا انه يستفاد من الآية ان من حصل بين يدي ملك
لا يعرف قدره او امة لا يعرفون فضله فخاف على نفسه جاز ان ينبههم
على مكانه وما يحسنه دفعا للشر عن نفسه وفيه فائدة اخرى وهو انه
اذا رأى الامور في ايدي الخونة واللصوص ومن لا يودي الامانة
ويعلم من نفسه اداء الامانة مع الكفاية جاز ان ينبه السلطان
على كفايته وامانته هذا واعلم ان جرعة النصيحة مرة لا يقبلها
الا اصحاب العزم والديانة وان القول الغليظ يسمع للفضل عاقبته
كما يتكاره على شرب الدواء المر للفضل عقباه كان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ اهدى الي عيوبي وحكي عن عمر بن
عبد العزيز انه قال لبعض اصدقائه قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل
لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وقال النصيحة لله

فی ارضه هی التی بعث الله بها انبیاء علیهم السلام فمن اهم الامور
النصیحة لعباد الله تعالی فی امورهم سیما النصیحة للملوك فان الملوك
کالماء الصافی وکالمرآة فی صفوة قلوبهم بغیر کدورة فینعکس وینطبع
ما فی قرنائهم وجلسائهم ان خیرا وان شرا فینبغی للملك ان یجالس
اهل الادب والعقل والفکر وذوی الرأی والتجارب والعبر
واعلم ان الاهل لنصیحة السلطان وزیره العاقل المدبر لجمیع مصالح
المتدین العامل بقوله تعالی فاسئلوا اهل الذکر ان کنتم لا تعلمون
فاذا کان کذلك یظهر ثمرة المعاونة واما اذا لم یکن کذلك فلا
بل یظهر الکدورة فان مثال الملك الجید والوزیر السوء الذی
یمنع الناس خیره ولا یمکنهم من الدنو منه کالماء الصافی فیه التمساح
فلا یستطیع المرء دخوله وان کان سابحا وکان الی الماء محتاجا
وایضا مثال السلطان مثال الطبیب ومثال الرعیة مثال مثال السلطان مثال الطبیب
المرضی ومثال الوزیر کالسفیر بین المرضی والطبیب فان لم یکن
السفیر متدینا وکذب بطل التدبیر وکما ان السفیر اذا اراد
ان یقتل احدا من المرضی وصف الطبیب نقیض دائه فاذا
سقاه الطبیب علیها وصفة السفیر هلك العلیل وان کان صادقا
متدینا فلا یزید شیئا من نفسه فلو کان السلطان یستغنی عن الوزیر

ملکان

ملکان احق الناس بذلك کلیم الله موسی بن عمران علی نبینا وعلیه الصلوة
والسلام قال الله تعالی فی قصته واجعل لی وزیرا من اهلی هرون اخی
ثم ذکر حکمة الوزارة فقال اشدد به ازری واشرکه فی امری دلت
الآیة علی ان موضع الوزارة ان یشید قواعد المملکة ثم قال
کی نسبحك کثیرا ونذکرك کثیرا دلت هذه الکلمة علی ان نصیحة
العلماء واهل الخبرة والمعرفة تنظم نصیحة الدنیا والاخری وکما
ان اشجع الناس یحتاج الی السلاح کذلك اعظم الملوك واجل السلاطین
الوزارة من الوزر یحتاج الی الوزیر فالوزارة من الوزر وهو الثقل یعنی انه یحمل ما هو
من اصول المملکة واعبائها مثل الاثقال فاسعد الملوك ملك له وزیر
صادق ان نسی ذکره وان ذکر اعانه واول ما یستفید الملك من الوزیر
امران علم ما کان یجهله ویقوی عنده علم ما کان علمه فیزول مشکله
قال وهب بن منبه قال موسی علیه السلام لفرعون آمن ولك
الجنة ولك ملکك قال حتی اشاور هامان فشاوره فی ذلك
فقال هامان بینا انت تعبد اذ صرت تعبد فانف واستکبر
وکان ما کان من امره واشرف منازل الآدمیین النبوة ثم
الخلافة ثم الوزارة فالوزیر عون علی الامور وشریك فی التدبیر
وظهیر علی السیاسة ومفزع عند النازلة الوزیر من الملك بمنزلة

سمعه وبصره ولسانه وقلبه اول ما يظهر قوة تمييز السلطان وجودة
عقله في استنجاب الوزراء واستنعاء الجلساء ومحادثة العقلاء
فهذه الخلال الثلث تدل على كماله وبهذه الخلال يحمد في الخلق ذكره ويجل
في العيون قدره ويرسخ في النفوس عقله وكماله والمرء موسوم بقرينه
فان السلطان اذا كان وزيره عاقلا متدينا لاجرم ايضا يصير قرناؤه
عقلاء فالوزير يعلم ما يلزمه على الكل من التعظيم والاجلال الذي جوزه
الشرع وما لم يجوزه فلا يرضى عما وضعته الجبابرة ولا يألم لمن تركه خوفا
من الله تعالى لكونه مخالفا للشرع قال في الظهيرية واما تقبيل الارض
فهو قريب من السجود الا انه اخف من وضع الخد او الجبين على الارض
وقال ايضا سلطان عطس فقال رجل يرحمك الله فقال له رجل
آخر لا يقال للسلاطين هكذا يكفر انتهى وفي بعض الكتب لا يصلح السلطان
الا بالوزير وهما الا بالمودة والنصيحة ولا المودة والنصيحة الا بالرأي
والعفاف فاعظم الاشياء ضررا على الناس عامة وعلى الولاة خاصة
ان يحرموا من صالحي الوزراء فيكون اعوانهم غير ذي مروة قيل
لكل ملك بطانة يجمع جميع المملكة فاذا قام الملك بطانة على حال
الصواب قام كل منهم بطانة على مثل ذلك حتى يجتمع على الصلاح عامة
الرعية قال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم

فاذا

فاذا رآه غضبان كتب له صحايف ارحم المسكين واخش الموت
واذكر الآخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه
ولهذا اشترطوا ان يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا
في اخلاقه بصيرا بامور الرعية ويكون بطانة الوزير ايضا من
اهل الامانة والبصيرة ولا يكون لئيما لان اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه
وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل والانصاف
وكان بعض الملوك قد كتب ثلث رقاع وقال لوزيره اذا
رأيتني غضبانا فادفع الي رقعة في الواحدة انك لست باله وانك
تموت وتعود الى التراب فيأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم
من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس
بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك قال انوشروان لا يتم للملك امره
حتى يرفع نفسه عن كل عيب وموقع الوزارة من المملكة كموقع
المرآة من البصر كما ان من لم ينظر في المرآة لا يرى محاسن وجهه
وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته
من عيوبها وكما ان المرآة لا تريك وجهك الا بصفاء جوهرها
وجودة صيقلها ونقائها من الصداء كذلك الوزير لا يكمل امره
الا بجودة عقله وصحة فهمه وصفاء نفسه ونقاء قلبه وكيف لا

والوزير الموفق العاقل حالته مستغن عن كل الاشياء سوى
امور المملكة متنعم بنعمة من خلاق العالم محتاج الى شكره حسبما امكن
ومن الشكر سعيه وخدمته الى ولي نعمته على ما ينبغي فيكون مكمن الرحمة
للخلق ليأنسوا برحمته ما يخرجه السلطان بشدته وينبغي ان يكون
نقي الجيب ناصح الغيب لا يقبل دقيقة ولا يكتم نصيحة وان يكون كليل
تهامة لا حر ولا قر وموضع صلاح الوزير من الملك موقع صلاح
الملك من العامة وكما ان السلطان اذا صلح صلحت الرعية واذا
فسد فسدت كذلك الوزير اذا صلح صلح وكان يقال آفة العمل
الهوى وآفة الملك سخافة الوزير وقال احد من الحكماء لوزيره
اتق الله يعطفني عليك ولا تعصه يسلطني عليك وقال بعض
الملوك لوزيره اعط من اتاك بما تكره كما يعطي من اتاك بما تحب
فان من انذرك كمن بشرك فالسلطان كالدار والوزير بابها
فمن اتى الدار من بابها ولج ومن اتاها من غير بابها انزعج فالوزير
مستقر اسراره وكاتبه ولسانه الناطق عنه في آفاق مملكته
وللكاتبة على الملك ثلث خصال يرفع الحجاب عنه ويتهم الوشاة
عليه ويفشي اليه سره فهو قوام الخلافة وعمود المملكة وهو المخصوص
بقربه ولزومه دون نظرائه واعلم انه ليس للوزير ان يكتم السلطان

نصيحة

نصيحة ولو استقلها فموقع الوزير من المملكة كموقع العينين من الانسان
واليدين فانه اذا صح قبضهما وضبطهما واذا سقم ادخل النقص على
الجسد وللسلطان ان يقبل النصيحة من غير ان يعدها قليلة فاذا كان
السلطان على خلقته الصافية الحسنة وفطرته الوافية المستحسنة وكان
موفقا بوزير صالح ناصح على ما ينبغي فله القبول الحسن وبالنصيحة وقبولها
استراح الجميع وبالله التوفيق ومنه العون والعناية الفصل الثاني
في بيان ظهور ثمرة المعاونة بقبول حسن اعلم ارشدك الله تعالى

الفصل الثاني في بيان ظهور ثمرة المعاونة بقبول حسن

ان الخلق كلهم مستمدون من السلطان مفتقرون اليه في الاحكام
وقطع التشاجر وفصل الخصام ومعلوم ان احوج الناس الى
النفقة اكثرهم عيالا واتباعا وحشما واصحابا فهو ووزيره
احوج خلق الله الى معرفة العلوم لاجراء الاحكام الشرعية فشخص
بلا علم كبلد بلا اهل قالوا والمستمع حق الاستماع داخل في المتعلم
في قوله صلى الله عليه وسلم الناس رجلان عالم ومتعلم وسائر
الناس همج لا خير فيهم وافضلها في السلطان ووزيره خصوصا
وفي الناس عموما محبة العلم اذ به يحصل الدين والتشوق الى سماعه
والتحلي به والتعظيم لحملته خصوصا للعاملين بعلمهم وهذا من اوكد
ما يتحبب به الى الرعية واذا كان الانسان خاليا من العلم

ولم يتشوق الى سماعه ولم يتقيد بقيد التحلي به ركب هواه واضر رعيته
قواه كالدابة بلا رسن تمر في غير طريق وقد يتلف ما تمر عليه فما ظنك
بالسلطان ووزيره فليس احد من اهل الدرجات السنية والمراتب
العلية احوج الى مجالسة العلماء وصحبة الفقهاء ودراسة كتب العلوم
والحكم ومطالعة دواوين العلماء ومجامع الفقهاء من الملك
والوزير وانما يكون ذلك كذلك لوجهين احدهما ان كل واحد
منهما نصب نفسه لممارسة اخلاق الناس وفصل خصوماتهم وتعاطي
حكوماتهم وكل ذلك محتاج الى علم بارع ونظر ثاقب وبصيرة بالعلم
قوية ودراسة طويلة فكيف يكون حاله عند الله وعند الناس
ان لم يعد لهذه الامور عدتها ولم يقدم لها اهبتها والثاني انه
لا يجالسه لارتفاع درجته وعلو شانه الا معظم لقدره ومبجل
لشانه وساتر لمساويه ومادح له بما ليس فيه فلا يقدر احد
ان يعارضه ويذكر مساويه ويخالفه فيكون ذلك سببا للسقطة
وبالجملة فكما ان الوزير في تعاطي الحكومات وفصل الخصومات يحتاج الى العلماء
كذلك الملك في كل الاحوال للاعانة والاعلام يحتاج الى الوزير
فالوزير مشير السلطان والسلطان مستشيره واعلم ان المستشير
وان كان افضل رأيا من المشير فانه يزداد رأيه رأيا كما يزداد النار

بالسليط ضوءا فلا يقذفن في وهمك انك اذا استشرت ظهر منك
الحاجة الى رأي غيرك فيقطعك ذلك عن المشاورة فانك لا تريد
الفخر به ولكن الانتفاع به والامتثال لامره تعالى قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الرأي الفرد كالخيط السحيل والرأيان كالخيطين والثلثة
الآراء لا تكاد تنقطع وكان يقال من كثرت استشارته حمدت اماراته
قال المأمون لطاهر بن الحسين صف لي اخلاق الامين فقال
كان واسع الصدر ضيق الاذن يمنح من نفسه ما تأنفه همم الاحرار
ولا يصغي الى نصيحة ولا يقبل مشورة يستبد برأيه فيرى سوء عاقبته
فلا يردعه ذلك عما يهم به قال فكيف كانت حروبه قال كان يجمع
الكتائب بالتبذير ويفرقها بسوء التدبير فقال المأمون لذلك
حل به ما حل اما والله لو ذاق لذات النصايح واختار مشورات
مطلب الرجال وملك نفسه عند شهواتها ما ظفر به وفي التفسير الكبير
ان يوسف عليه السلام لما صار ملكا احتاج الى وزير فسأل ربه
عن ذلك فقال جبرئيل ان ربك يقول لا تختر الا فلانا فرآه
يوسف عليه السلام في اسوء الحال فقال لجبرئيل انه كيف يصلح
لهذا العمل مع سوء حاله فقال جبرئيل ان ربك عينه لذلك
لانه ذب عنك حين قال ان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو

من الصادقين والنكتة ان الذى ذب عن يوسف استحق الشركة
فى مملكته فمن ذب عن الدين القويم بالبرهان المستقيم كيف لا يستحق
من الله تعالى الاحسان والتحسين انتهى قال سليمان بن داود عليهما السلام
الرحمة والعدل يحرزان الملك وقال زياد ملاك السلطان ثلثة اشياء

الرحمة والعدل يحرزان الملك

الشدة على المذنب والمجازاة للمحسن وصدق القول سئل بعض الملوك
وقيل بم نلت هذه المرتبة فانك قد بلغت فى السياسة ما لم يبلغه ملك
فلما سمع اجاب وقال انى لم ازد فى السياسة على ثمان خصال لم اهزل فى امر
ولا نهى ولم اخلف فى وعد ولا وعيد ووليت اهل الكفاية واثبت على
الغنى لا على الهوى وضربت للادب لا للغضب واودعت قلوب الرعية
المحبة من غير جرءة والهيبة من غير ضغينة وعممت بالقوت وكان
ابن هبيرة امير البصرة يقول اللهم انى اعوذ بك من صحبة من غايته خاصة
نفسه والانحطاط فى هوى مستشيره ومن الحكم ان من التمس من الاخوان
الرخصة عند المشورة ومن الاطباء عند المرض ومن الفقهاء عند الشبهة
اخطاء الرأى وازداد مرضا وحمل الوزر قال بعض الحكماء لا تشاور معلما
ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائفا
ولا من يرهقه احد السبيلين وقال ابو الدرداء ان شئتم لانصحن لكم
ان احب عباد الله الى الله تعالى الذين يحببون الله الى عباده ويعملون

ويعلون

فى الارض

فى الارض نصحا وكتب الوليد الى الحجاج ان يكتب اليه بسيرته فكتب اليه
انى ايقظت رايى وانمت هواى وادنيت السيد المطاع فى قومه
ووليت الحرب الحازم فى امره وقلدت الخراج الوفى لامانته وقسمت
لكل خصم من نفسى قسما يعطيه حظا من نظرى ولطيف عنايتى وصرفت
السيف الى النطف المسئ فخاف المذنب صولة العقاب وتمسك المحسن
بحظه من الثواب وقال ابو عبيدة رضى الله عنه اذا كان الملك
محصنا لسره بعيدا من ان يعرف ما فى نفسه متخيرا للوزراء مهيبا فى
النفس العامة مكافيا بحسب البلاء لا يخافه البرئ ولا يأمنه المجرم كان خليقا
ببقاء ملكه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للمغيرة ابن شعبة لما ولاه
الكوفة يا مغيرة ليأمنك الابرار وليخفك الفجار قالوا ظفر الملك
بعدوه على حسب عدله فى رعيته ونكوبه فى حروبه على حسب جوره
فى عساكره واصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود وقالوا تاج الملك

اصلاح الرعية انفع من كثرة الجنود

عفافه وحصنه انصافه وسلاحه كفافه وماله رعيته وقيل لا ظفر مع بغى
ولا صحة مع نهم ولا غناء مع كبر ولا شرف مع سوء ادب ولا بر

والنهم بفتحتين افراط الشهوة

مع شح ولا اجتناب محرم مع حرص ولا ولاية حكم مع عدم فقه ولا سودد
مع انتقام ولا ثبات ملك مع تهاون وجهالة وزراء ولما ولى
ابو بكر الصديق رضى الله عنه خطب فقال يا ايها الناس انه لا احد اقوى

قيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان الى الاصدقاء

من المظلوم حتى آخذ له بحقه ولا اضعف من الظالم حتى آخذ الحق منه
قيل للاسكندر بم نلت ما نلت قال باستمالة الاعداء والاحسان
الى الاصدقاء وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ان هذا
الامر لا يصلح له الا اللين من غير ضعف والقوة من غير عنف
وقال ابو جعفر المنصور ما كان احوجني ان يكون على بابي اربعة لا يكون
على بابي اعف منهم قيل منهم يا امير المؤمنين قال هم اركان الملك
ولا يصلح الملك الا بهم كما ان السرير لا يصلح الا باربع قوائم فان
نقص قائمة واحدة عابه احدهم قاض لا تاخذه في الله لومة لائم والآخر
صاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي وصاحب خراج يستقصي
ولا يظلم الرعية فاني غني عن ظلمهم ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات
و يقول آه آه في كل مرة قيل ما هو يا امير المؤمنين قال وصاحب بريد يكتب
بخبر هؤلاء على الصحة وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يصلح الوالي الا باربع خصال

الوالي الا باربع خصال ان نقصت واحدة لم يصلح امره قوة على جمع
المال من ابواب حله ووضعه في حقه وشدة لا جبروت فيها ولين
لا وهن فيه قال ابن المقفع اذا اكرمك الناس لمال او سلطان فلا يعجبنك
ذلك فان زوال الكرامة بزوالهما ولكن يعجبك ان اكرموك
لعلم او ادب او دين وبالجملة ان شجرة النصيحة التي اصلها ثابت

في الدين وفرعها مقارن بالاخلاص والتمكين يظهر ثمرتها كل حين
بحسن القبول يتقبلها عباد الله تعالى الى يوم الدين جعلنا الله تعالى

الباب الثاني في طاعتهم في الحق

بالقبول من عباده المكرمين آمين الباب الثاني في طاعتهم في الحق
اعلم ان اسباب الطاعة كثيرة الا ان خصلة الجود والسخاء
جليل قدرها عظيم موقعها شريف موردها ومصدرها وهي احدى
قواعد المملكة واساسها وتاجها وجمالها تعنو لها الوجوه وتذل لها
الرقاب وتخضع لها الجبابرة وتتشرف بها الاحرار ويستمال بها
الاعداء ويستكثر بها الاولياء ويحقن بها الدماء ويملك بها القرباء والبعداء
ويسود بها في غير عشائرهم الغرباء فكلهم مغرمون بجمالها فكم كافر
ترك دينه ابتغاء عرض قليل من الدنيا وكم مسموع من مسلم ارتد في ارض
الشرك افتتانا بيسير من عرض الدنيا فتخلق بخصلة يترك لها الانسان
ما عنده ويبذل جهده حتى تكون جليل القدر عظيم الحظ واحوج خلق الله
اليها احوجهم على عطف القلوب عليه وصرف الوجوه اليه وهم الملوك
والولاة وهذه الخصلة لزومها للملوك اكثر من غيرهم بل واجبة في حقهم

قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد قال الجواد

اعني الكرم والجود والسخاء قيل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه من السيد
قال الجواد اذا سئل الحليم اذا استجهل الكريم المجالسة لمن جالسه
الحسن الخلق لمن جاوره وقال ابن عباس رضي الله عنه لا يتم المعروف

الابثلاث تعجيله وتصغيره وتيسيره فاذا عجله فقد هناه واذا صغره
فقد عظمه واذا يسره فقد تممه وقال المغيرة في كل شيء سرف الا في
المعروف قيل للحسن بن سهل لا خير في السرف فقال لا سرف
في الخير وقال زيد بن اسلم وكان من الخاشعين يا ابن آدم
امرك الله ان تكون كريما وتدخل الجنة ونهاك ان تكون لئيما
فتدخل النار وقال ابو علي الثقفي المعروف كنز لا ينفد من بر ولا فاجر
وكان الزبير رضي الله عنه من اجود الناس واشجعهم ولما مات
وجد عليه مائة الف دينار واعلم ان خصلة الجود والسخاء لا تجتمع
مع البخل والشح فاجتهد تخلية قلبك عنهما وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووسواسها وروى
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الشح فان الشح اهلك
من كان قبلكم حملهم على ان يسفكوا الدماء ويستحلوا محارمهم قالوا
الشح اشد من البخل فان البخل اكثر ما يقال في النفقة وامساكها
قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة وقال عز من قائل
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه وقال في الشح اشحة على الخير اولئك
لم يؤمنوا وقال ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون
وروى انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال برئ

من

من الشح من ادى الزكوة وقرى الضيف واعطى في النائبة وقال
ابن زيد من لم يأخذ شيئا نهاه الله عنه ولم يدعه الشح الى ان يمنع
شيئا امره الله به فقد وقاه شح نفسه وحكي عن عثمن كان يطوف
ويقول اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فسئل عن ذلك
فقال ان وقيت شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم اقتل واذا هو
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قيل الشح اضر من الفقر لان
الفقير اذا وجد تمتع والشحيح لا يشبع ابدا ولما قدم الشافعي من صنعاء
الى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقالوا له تشتري بها ضيعة
فضرب خيمة خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان
يعطيه قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق شيء
وروى ان رجلا اراد ان يؤذي عبد الله بن عباس رضي الله عنه
فاتى وجوه الناس وقال يقول لكم ابن عباس تغدوا اليوم عنده
فاتوه فملؤا الدار فقال ما الخبر فاخبر الخبر فامر ان تشتري الفواكه في
الوقت وامر بالخبز والطبيخ فاصلح امره فلما صير قال لوكلائه
أموجود هو هذا كل يوم قالوا نعم قال فليتغد هؤلاء عندنا الى شهر
كل يوم وبالجملة ان الكرم والجود في محله ممدوح كما ان البخل والشح
في جميع الاحوال مذموم واما الاعطاء والبذل الى غير محله فاسراف

قيل الشح اضر من الفقر

في بيان سيرة السلطان في بيت المال

وتبذير وهو ممنوع قال الله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا فعليك
الاعتماد على ملازمة الاقتصاد **فصل** في بيان سيرة السلطان
في بيت المال روى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم
صلى العشاء الاخيرة ثم دخل حجرته وخرج مسرعا وبيده خرقة فيها
ذهب فقسمها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظن آل محمد لو ادركه
الموت وهذا عنده ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بيت مال ولا للخلفاء
الراشدين وانما كانت الخلفاء تقسم الاموال التي تجيء من حلها
بين المسلمين وربما كان يفضل منها فضلات فتجعل في بيت المال
او يكون في الناس غنى عنها في ذلك الوقت وفي اخبار بعض الملوك

في اخبار بعض الملوك

ان بعض صحابه اشار عليه بجمع الاموال واقتناء الكنوز وقال
ان الرجال ان تفرقوا عنك اليوم فمتى احتجت اليهم عرضت
اليهم الاموال فتهافتوا عليها قال له الملك هل لهذا من شاهد
قال نعم هل تحضرنا الساعة من ذباب قال لا فامر باحضار
جفنة فيها عسل فحضرت فتساقط عليها الذباب لوقتها فاستشار
السلطان وزيره الرشيد الامين فنهاه عن ذلك وقال لا تغير

قلوب

قلوب الرجال فليس في كل وقت اردتهم يحضرون قال هل لذلك
من دليل قال نعم اذا امسينا ساخبرك فلما اظلم الليل قال للملك هات
الجفنة فحضرت فلم تطر ذبابة واحدة وقال انما عمارة خزانة السلطان
بالعدل والاحسان وقد روي عن سيرة بعض السلاطين في ارض مصر
انه كان يجمع الاموال ولا يحفل بالرجال فقال له بعض اصحابه ان امير الجيوش
بالشام يتواعدك وكانه به قد قدم عليك فاستعد الرجال وانفق
عليهم الاموال فاومى الى صناديق موضوعة وقال الرجال في الصناديق
فغزا امير الجيوش ذلك في مصر وغلبه ولم يسلم الصناديق وكان الرأي
فاسدا لان رجالا يقيمهم الملك لوقته ويجمعهم لحاجته انما يكونون
اجنادا مجتمعين وشرذمة مؤلفين ليس فيهم غناء ولا عندهم دفاع
ولا ممارسة للحروب ومن السنة المروية في هذا الباب لما فتحت
العراق جيء بالاموال الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال صاحب بيت المال
ادخله بيت المال قال ورب الكعبة لا يؤوي تحت سقف بيت حتى نقسمه
فغطى في المسجد بالانطاع وحرسه رجال من المهاجرين والانصار
فلما اصبح نظر الى الذهب والفضة والياقوت والدر يتلالا
فبكى عمر رضي الله عنه فقال له العباس وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما
يا امير المؤمنين والله ما هذا بيوم بكاء ولكنه يوم شكر وسرور

النطع المتخذ من الادم المعروف وفيه فتح النون وكسرها ومع كل واحد فتح الطاء وسكونها والجمع انطاع كذا في المصباح المنير منه

فقال اني والله ما ذهبت حيث ذهبتما ولكنه والله ما كثر هذا في قوم
الا وقع بأسهم بينهم ثم اقبل على القبلة ورفع يديه وقال اللهم اني
اعوذ بك ان اكون مستدرجا فاني سمعتك تقول سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون ثم قال اين سراقة فاتي به اشعر الذراعين
فاعطاه سواري كسرى وقال البسهما ففعل فقال قل الله اكبر قال
الله اكبر قل الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة اعرابيا
من بني مدلج ثم قلبهما ان الذي ادى هذا لامين فقال له رجل
انا اخبرك انت امين الله تعالى هم يؤدون اليك ما اديت الى الله تعالى
فاذا رتعت رتعوا قال صدقت واما البسهما سراقة لان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لسراقة ونظر الى ذراعيه كاني بك وقد لبست
سواري كسرى ولم يجعل له الا السوارين وروى البيهقي باسناده
قال لما استخلف ابو بكر الصديق رضي الله عنه غدا الى السوق
فقال له عمر رضي الله عنه اين تريد قال السوق قال قد جاءك
ما يشغلك عن السوق قال سبحان الله يشغلني عن عيالي قال
نفرض بالمعروف قال فانفق في سنتين وبعض اخر ثمانية آلاف درهم
واوصى ان يرد من ماله في بيت المال وجاء مال من العمال في اوائل
تولية ابي بكر الصديق رضي الله عنه فصبه في المسجد ثم احر فنادى

جاء مال من العمال في اوائل تولية ابي بكر الصديق رضي الله عنه

من

من كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم دين او عدة فليحضر
قال ابو ايوب الانصاري رضي الله عنه فقلت يا خليفة رسول الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لي لو قد جاءني مال اعطيتك هكذا
وهكذا واشار بكفيه فسكت فانصرفت عنه ثم عاودته فقلت
اما ان تعطيني واما ان تخل عني فقال له احل عنك فذهبت فحفنت
حفنة فقال عدها فعددتها فوجدت فيها خمسمائة دينار قال
خذ مثلها فعددت مثلها وانصرفت بالف دينار وابو ايوب
وابو ايوب رضي الله عنه من اغنياء الانصار وهو نزيل النبي
صلى الله عليه وسلم ودل الحديث على ان بيت المال للغني والفقير
ودل ايضا على انه لا يجب ان يتساوى فيه جميع المسلمين بل ذلك
موكول الى اجتهاد الامام والدليل عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له
العباس اعطني من هذا المال فقال له اذهب فخذ فبسط ثوبه وحثا
فيه فلما جاء يحمله عجز عنه فقال يا رسول الله مر من يحمله علي قال لا فنثر
منه ثم حمله على عاتقه وفي التفسير الكبير ان ابا يوسف اتاه ذات ليلة
رسول الرشيد يستعجله فخاف ابو يوسف على نفسه فلبس ازارا
ومشى خائفا فلما دخل سلم عليه فرد الجواب وادناه فعند ذلك
سكنت روعته فقال ان حليا لنا غابت من الدار فاتهمت فيها

الحفن اخذك الشيء براحتك والاصابع مضمومة والحفنة ملء الكف كذا في القاموس

مطلب دعوة الرشيد الامام ابا يوسف

جارية من جوارى الدار من الخاصة فحلفت لتصدقينى او لاقتلنك
وقد ندمت فاطلب لى وجها فقال ابو يوسف رحمه الله فاذن لى
فى الدخول عليها فاذن له فرآى جارية كانها فلقة قمر فاخلى المجلس ثم قال
لها امعك الحلى فقالت لا والله فقال احفظى ما اقول لك ولا تزيدى
عليه ولا تنقصى عنه فاذا دعاك الخليفة وقال لك اسرقت الحلى
فقولى نعم فاذا قال لك هاتيها فقولى ما سرقتها ثم خرج ابو يوسف
الى مجلس الرشيد وامر باحضار الجارية فحضرت فقال الخليفة سلها
عن الحلى فقال الخليفة اسرقت الحلى فقالت نعم فقال لها هاتيها
قالت لم اسرقها والله قال ابو يوسف قد صدقت يا امير المؤمنين
فى الاقرار والانكار وخرجت من اليمين وسكن غضب الرشيد
وامر ان يحمل الى دار ابى يوسف مائة الف درهم فقالوا ان الخزان
غيّب فلو اخر الى الغد فقال ان القاضى اعتقنا الليلة فلا يؤخر صلته ذلك م
الى الغد فامر حتى حمل عشر بدر مع ابى يوسف الى منزله وفى التفسير الكبير
ايضا اعرابى قصد الحسين بن على رضى الله عنهما فسلم عليه وسأله قصه اعرابى
حاجة قال سمعت جدك يقول اذا سألتم حاجة فاسئلوها من احد اربعة
اما اعرابيا شريفا او مولى كريما او حامل القرآن او صاحب وجه صبيح
فاما العرب فشرفت بجدك واما الكرم فدابكم وسيرتكم واما القرآن

ففى

ففى بيوتكم نزل واما الوجه الصبيح فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا اردتم ان تنظروا الى فانظروا الى الحسن والحسين فقال الحسين
ما حاجتك فكتبها على الارض فقال الحسين سمعت ابى عليا يقول قيمة
كل امرء ما يحسن وسمعت جدى يقول المعروف بقدر المعرفة فاسألك
عن ثلث مسائل ان احسنت فى جواب واحدة فلك ثلث ما عندى
وان اجبت عن ثنتين فلك ثلثا ما عندى وان اجبت عن الثلثة
فلك كل ما عندى وقد حمل الى صرة مختومة من العراق فقال سل
ولا قوة الا بالله فقال اى الاعمال افضل قال الاعرابى الايمان بالله
قال فما نجاة العبد من الهلكة قال الثقة بالله قال فما يزين المرء
قال علم معه حلم قال فان اخطأه ذلك قال مال معه كرم قال
فان اخطأه ذلك قال فقر معه صبر قال فان اخطأه ذلك
قال فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه فضحك الحسين رضى الله عنه
ورمى بالصرة اليه وقال النخعى بعث عمر بن الخطاب رضى الله عنه
مصدقين فابطئوا عليه وبالناس حاجة شديدة فجاؤا بالصدقة
فقام فيها متزرا بعبارة يخلف فى اولها وآخرها يقول هذه لآل فلان
وهذه لآل فلان حتى انتصف النهار وقال الحسن ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه بينا هو يعس فى المدينة بالليل اتى على امرأة من الانصار

لما طاف عمر رضي الله عنه مملكة الاسلام

تحمل قربةً فسألها فذكرت ان لها عيالا وان ليس لها خادم وانها
تخرج بالليل فتسقيهم الماء وتكره ان تخرج بالنهار فحمل عمر رضي الله عنه
القربة عنها حتى بلغ منزلها وقال اغدي على عمر غدوة يجد لك خادما
قالت لا اصل اليه قال انك ستجدينه ان شاء الله فغدت عليه
فاذا هي به فعرفته انه الذي حمل القربة وقيل لما طاف عمر رضي الله عنه
مملكة الاسلام حتى نزل حمصا فقال اكتبوا الى فقراءهم فرفعوا اليه
الرقعة فاذا فيها سعيد بن عامر قال من سعيد بن عامر قالوا
اميرنا فتعجّب عمرُ وقال كيف يكون اميركم فقيرا قالوا انه لا يمسك
شيئا فبكى عمر وبعث اليه بالف دينار يستعين بها في حاجته
فجعل يسترجع فوضّ جيشا من جيوش المسلمين فامضاها كلها
وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صرّ اربع مائة دينار وقال
للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة ابن الجراح ثم تلكأ في البيت ساعة
حتى ترى ما يصنع فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك
امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك قال وصله الله ورحمه
ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة
الى فلان حتى انفدها ورجع الغلام الى عمر واخبره ووجده قد اعدّ
مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكأ في

البيت حتى تنظر ما يصنع فيها فذهب بها اليه وقال ان امير المؤمنين
يقول لك اجعل هذه في حاجتك فقال رحمه الله ووصله ثم قال
يا جارية اذهبي الى بيت فلان بكذا والى بيت فلان بكذا فقالت
امرأته ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق في الخرقة الا ديناران
فرمى بهما اليها فرجع الغلام فاخبر بذلك عمر فقال عمر انهم اخوة بعضهم
من بعض وكان ابن ابي داود الوزير واسع النفس مبسوط اليدين
يعطي الجزيل ويستقل الكثير ولا يرد سؤالا ويبتدئ بالنوال فقال له
الواثق يوما قد بلغني بسط يديك بالعطاء فهذا يتلف بيوت الاموال
فاطرق ساعة ثم قال يا امير المؤمنين ذخائر اجورها واصلة اليك
ومفاتيح حسناتها موصولة لديك وانما يسعى في ايصال الثناء
اليك فقال الواثق لله انت جُدْ بالعطاء واكثرِ الشكرَ والثناءَ
واعلم ان الحق احق ان يتبع وتفكر ان في الخيرات والحسنات عز الدنيا
وشرف الاخرى وحسن الصيت وخلود جميل الذكر فانك لم تجد
شيئا تبقى على الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا فانتهزِ فرصة
الدهر ومساعدة الدنيا ونفوذَ الامر وقدّم لنفسك كما قدم
من تقدمك بالحسنات تذكر بالصالحات كما ذُكِروا وادّخر لنفسك
في الاخرى كما ادخروا فان المأكول المرغوب لبدنك والموهوب

المحبوب لمعادك فبناء ما يحتاج اليها في معمورة الارض من الخيرات
الحسان كالقناطير والخانات والعيون والرباطات لزهاد وطلبة العلم
باحسن بنيان مرفوع قدره عظيم اجره وبانيه مذكور وسعيه مشكور
واهاليه يمشون فيه ويستريحون ويتقلبون ففي مثل هذا فليتنافس
المتنافسون ولمثل هذا فليعمل العاملون الباب الثالث في تذكير هم
برفق وفيه فصلان الفصل الاول في الكلمات النافعة اعلم ان الكلمات
النافعة المستحسنة عند العقلاء كالجواهر النفيسة فكما ان الجواهر
النفيسة مرغوبة ومطلوبة في اي محل حدثت كذلك الكلمات
النافعة المستحسنة مرغوبة ومطلوبة من اي متكلم صدرت

حكايه

يحكى انه مر بعض الملوك بغلام يسوق حمارا غير منبعث وقد عنف عليه
في السوق فقال يا غلام ارفق به فقال الغلام ايها الملك في الرفق
مضرة عليه قال ولم قال يطول طريقه ويشتد جوعه وفي العنف
احسان اليه يخف حمله ويطول اكله فاعجب الملك كلامه فقال له
قد امرت لك بالف درهم قال رزق مقدور وواهب مشكور
قال وقد امرت لك باثبات اسمك في حشمي قال كفيت مؤنة
ورزقت لها معونة وتكلم معه كثيرا وقال لولا انك حديث
السن لاستوزرتك قال لن يعدم الفضل من رزق العدل

والعقل

والعقل قال فهل تصلح لذلك قال انما يكون الحمد والذم بعد التجربة ولا يعرف
الانسان نفسه حتى يبلوها فاستوزره فوجده ذا راي صليب وفهم رحيب
ومشورة تقع مواقع التوفيق وقال الفضل كان عندي رسول ملك الخزر
فكان يحدثني عن اخت الملك العاقلة الرشيدة قال اصابتنا سنة
احتدم علينا شواظها بحرارة المصائب وهتوف الآفات ففزع الناس
الى الملك فلم يدر ما يجيبهم به قالت له اخته ايها الملك ان الحزم حلق
لا يخلق جديده ولا يمتهن عزيزه وهو دليل الملك على استصلاح رعيته
وزاجره عن استفسادها وقد فزعت رعيتك اليك بفضل العجز
عن الالتجاء الى من لا تزيده الاساءة الى خلقه عزا ولا ينقصه العود
بالاحسان اليهم ملكا وما احد اولى بحفظ الوصية من الموصى ولا بركوب
الدلالة من الدال ولا بحسن الرعاية من الراعي ولم تزل في نعمة لم تغيرها
نقمة وفي رضى لم يكدره سخط الى ان جرى القدر بما غشي عنه البصر
وذهل عنه الحذر فسلب الموهوب والسالب هو الواهب فعد اليه
بشكر النعم وعذبه من فجيع النقم فمتى تنسه ينسك ولا تجعلن الحياء من
التذلل للمعز المذل شركا منك ومن رعيتك فتستحق مذموم العاقبة
ولكن مرهم ونفسك بصرف القلوب الى الاقدار له بتذليل الالسن
بالدعاء بمحض الشكر له فان الملك ربما عاقب عبده ليرجعه من سيء فعل

الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة كذا في القاموس

الى صالح عمل او ليبعثه على دؤب شكر يحوز به فضل آخر فامرها الملك
ان تقوم فيهم فتنذرهم بهذا الكلام ففعلت فرجع القوم عن بابه وقد
علم الله قبول الوعظ فى الامر والنهى فحال عليهم الحول وما منهم مفتقد
نعمة كان سلبها الا وتواترت عليهم الزيادات بجميل الصنع فاعترف
الملك لها بالفضل فقلدها الملك وجمع الرعية على الطاعة لها فى المحبوب
والمكروه فهكذا فعل الله باعدائه لما شكروه اعاد لهم من نعمة ما كان
استرجع وزادهم من فضله ما تمنوه فكيف من يوحده ويؤمن به
لو صدقت النيات وصحت الاقوال مع مطابقة الافعال فان الله
تبارك وتعالى ينظر الى السرائر المستورة ويعلم رجوع الضمائر المستترة

حكايه

ويحكى انه وجه انوشروان رسولا الى ملك قد اجمع على محاربته
وامره ان يتعرف بسيرته فى نفسه ورعيته فرجع اليه وقال
وجدت عنده الهزل اقوى من الجد والكذب اكثر من الصدق
والجور ارفع من العدل فقال انوشروان رزقت الظفر به
سر اليه وليكن عملك فى محاربته بما هو عنده اضعف واقل واوضع
فانك منصور وهو مخذول فسار اليه فظفر فاستولى على مملكته

قال بعض الحكما

وقال بعض الحكماء المراء آفة الجد والكذب عدو الصدق والجور
مفسدة الملك فاذا استعمل الملك الهزل ذهبت هيبته واذا استصحب

الكذب

الكذب استخف به واذا اظهر الجور رفد سلطانه وكان نقش خاتم
بعض الملوك الهزل مبغضة والكذب منقصة والجور مفسدة وقيل
لبعض الحكماء ما قيمة الصدق قال الخلد فى الدنيا قيل فما قيمة الكذب قال
موت عاجل قيل فما قيمة العدل قال ملك الابد قيل فما قيمة الجور
قال ذل الحياة قيل سال ملك الهند الاسكندر وقد دخل بلاده
ما علامة الملك ودولته قال الجد فى كل الامور قال فما علامة زواله
قال الهزل فيه قال فما سرور الدنيا قال الرضاء بما رزقت قال
فما غمها قال الحرص على ما لعلك تناله وقال الاسكندر لبعض الحكماء

قال الاسكندر لبعض الحكما

واراد سفرا ارشدنى لاحزم امرى قال لا تمكن قلبك محبة الشئ
ولا تستولى عليك بغضه واجعلهما قصدا فان القلب كاسمه يتقلب
وله خاصية من التقلب ينزع ويرجع واجعل من زيرك التثبت
وسميرك التيقظ ولا تقدم الا بعد المشورة فانها نعم الدليل وقال
الفضل بن مروان سالت رسول ملك الروم عن سيرة ملكهم
فقال بذل عرفه وجرد سيفه فاجتمعت عليه القلوب رغبة ورهبة
لا ينهض جنده ولا يحرج رعيته سهل النوال حزن النكال الرجاء
والخوف معقودان فى يده قلت فكيف حكمه قال يرد الظلم ويردع
الظالم ويعطى كل ذى حق حقه فالرعية اثنان راض ومغتبط قلت

فكيف يتهم له قال يتصور في القلوب فيفتضح العيون قال فحدثت
المأمون بهذا الحديث فاستحسن وامر له بعطية كثيرة وسئل واحد من
الحكماء عن العقل قال ترك ما لا يعني قيل فما الحزم قال انتهاز الفرصة قيل
فما الحلم قال العفو عند المقدرة قيل فما الشدة قال ملك الغضب قيل
فما الخرق قال حب مفرط وبغض مفرط وسئل آخر عن الحزم قال سوء الظن
قيل فما الصواب قال المشورة قيل فما الذي يجمع القلوب على المودة قال
كف مبذول وبشر جميل قيل فما الاحتياط قال الاقتصاد في الحب والبغض
وقوله الحزم سوء الظن انما اراد سوء الظن بنفسه لا بغيره واوصى
حكيم ابنه وقال له فقال يا بني رزقك الله جدا يخدمك به ذوو العقول
ولا رزقك عقلا تخدم به ذوي الجدود فانظر كيف يخدم اكابر الناس
ذوي الجدود والى ذوي العقول كيف يصير احرار الناس عبيد الاخساء
ولا تظنن ان الاعطاء والاحسان يخالف الطلب والاخذ ونحوه اولا
انواع تارة يكون بالطلب فيما يستحسنه الشرع وتارة بالمنع وتارة
بالاخذ وتارة بالاعطاء على حسب ما يقتضيه الشرع فزمام الامور التوفيق
ولم ينزل من السماء الى الارض اقل من التوفيق فلكن على كل حال طالب
التوفيق من الله تعالى قال بعض الحكماء ان ترك الطلب يضعف الهمة قال بعض الحكما
ويذل النفس وصاحبه صائر الى اخلاق الحشرات من الحيوان ثم جمعوا

بين

بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل
في واحد منهما ارجح مما حمل في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه
سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت بغيته وضربوا
فيه مثلا عجيبا وقالوا ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد
للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم احتسابا
قوتهما من الطعام والشراب فلم يزالا في عافية الى ان غاب المحتسب
فلبث بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رأيهما
على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله المقعد على الطريق ببصره ويستقل الاعمى
بحمل المقعد فيدوران في القرية يستطعمان اهلها ففعلا فنجح امرهما
ولو لم يفعلا لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر
وكل واحد منهما معين لصاحبه قيل لا تدع الطلب اتكالا على القدر
ولا تجهدن نفسك في الطلب معتمدا عليه مستهينا بالقدر واما ما ورد
في القرآن العظيم واحاديث الرسول من الامر بالتوكل على الله والتسليم
والتفويض فالمراد منه عدم الاعتماد على الاسباب ومن ذلك ان
سليمان الخواص تلا يوما قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت فقال
ما ينبغي لاحد بعد هذه الآية ان يلجأ الى احد غير الله تعالى فمعناه لا يلجأ
الى الاسباب اعتمادا على الاسباب ولكن يلجأ اليها واثقا بان الله تعالى

يفعل ما يشاء كما امر النبي صلى الله عليه وسلم بعقل الناقة ولبس صلى الله عليه وسلم
درعين الا ترى ان من يطلب الزرع والولد ثم قعد في بيته ولم يطأ
زوجته ولا بذر ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى واثقا به انه تلد امرأته
من غير وقاع وتنبت ارضه الزرع من غير بذار كان عن المعقول
خارجا وفي تيه الجهل والجا قال انس رضي الله عنه جاء رجل على ناقة له
فقال يا رسول الله ادعها واتوكل فقال اعقلها وتوكل فمن رام امرا
من الامور فليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض امره
الى ربه وينتظر حصوله ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه
الذي شرعه الله تعالى من المشاورة باهله وغيرها وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم
بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يستظهر به ويحترس من العدو
واقام الرماة يوم أُحد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يعبي
الجيوش ويأمرهم وينهاهم بما فيه مصالحهم وتداوى وامر بالمداواة
وقال انزل الدواء الذي انزل الداء واما ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من استرقى واكتوى فقد برئ من التوكل فقد قالوا ان معناه
من استرقى واكتوى متكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة
فهذا يخرجه من التوكل ان كان هذا على سبيل الغفلة لا على الاعتقاد
وكيف يعتقد المؤمن وهو مؤمن بمثل هذا الاعتقاد فالمؤمن باشر

الاسباب

والبز الثياب والسلاح ومع الهاء الهيئة كالبزة بالكسر ويقال في السلاح ايضا بزه بالكسر مع الهاء وبز بالفتح مع حذفها منه

الاسباب والادوية ويتعاطى تدبير الامور بنفسه واعوانه وماله على ما جرت به
سيرة الله تعالى في ارضه وعادته في خلقه غير معتمد على شيء من ذلك بل
هو واثق القلب انه ما حصل فبتقديره وما تعسر فبتدبيره ومعتمده
في ذلك على المسبب لا على الاسباب فهذا هو التوكل لكن من شرطه انه يمشي
في ذلك كله مع الامر المشروع ولا يسلك طريقا فيه معصية فليس يستدر
ما عند الله بمعاصيه قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ابتغى امرا
بمعصية الله كان ابعد لما رجا واخوف لمجيء ما اتقى وقال صلى الله عليه وسلم
لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا
فلم تحل اليها ارزاقها في اوكارها بل الهمها طلبها بالغدو والرواح
فالرجل العاقل يتوكل على الله تعالى على ما ينبغي ولا يسند شيئا مما يفعله
الى نفسه قال رجل من الخوارج لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه أرأيت
من جنبني سبل الهدى وسلك بي سبيل الردى أحسن الي ام اساء
فقال علي ان كنت قد استوجبت عليه حقا فهو يفعل ما يشاء وروي
ان نبيا من انبياء الله تعالى مر بفخ منصوب واذا طائر قريب منه
فقال الطائر مفتخرا بادراكه واعتماده عليه يا نبي الله هل رأيت اقل
عقلا من هذا نصب هذا الفخ ليصيد فيه وانا انظر اليه قال فذهب
ثم رجع فاذا الطائر في الفخ قال له عجبا لك الست القائل آنفا كذا

وكذا فقال يا بنى امه اذا جاء الحين لم يبق اذن ولا عين **الفصل الثاني**
فى حكم منثوره اعلم ان للاعمال جزاء فاتق العواقب وللايام غدرات
فكن على حذر وللاقدار لغفات فاستعد لها وللزمان منقلب لواتى
فاحذر دولته وخف سطوته فاترك ما لا يعنيك ان التمست الراحة
لنفسك اذ لم يكن وقوعك من شئ اضر عليك من لسانك ولا تعص
ربك وتب حتى لا يأتيك مضرة وداء وآفة واطفئ نار غضبك
فانه احدا اذا تمكن منك ولا تزاحمك مضائق سوء الخلق فاعدى
الاعداء اليك نفسك اذا جهلت فاحترس لنفسك بنفسك واجعل
واعظك شيبتك وناصحك فكرتك ولا تكن عبداً لهواك
واستضئ بنور الهداية فتكون حراً فاذا عرفت هذا فوقف آمن
لم يداو نفسه من اسقام الآثام فى ايام حياته فما ابعده من الشفاء
ومن اذل حواسه واستعبدها فى ما تقدم من خير لنفسه بان فضله
وظهر نبله ومن لم يضبط نفسه وهى واحدة لم يضبط حواسه
وهى خمس واذا لم يضبط حواسه مع قلتها فصعب عليه ضبط الاعوان
مع كثرتهم فكانت عامة الرعية فى اقاصى البلاد واطراف المملكة
ابعد من الضبط فليبدأ الملك بسلطانه على نفسه فليس من عدو احق
ان يبدأه بالقهر من نفسه ثم يشرع فى قهر حواسه الخمس لان قوة

الواحدة

الواحدة منهن دون صواحباتها قد تأتى على النفس القوية الحدرة
فكيف اذا اجتمعت خمس على نفس واحدة فان لكل واحدة منهن شرا
ليس للاخرى فمن قهرها سلم من شرها ثم الرعية تستمطر الى الملك
العادل الغوث استمطار اهل الجدب الى الغيث وينتعشون بطاعته
عليهم كانتعاش النبت بما يناله من القطر بل الرعية بالملك العادل
اعم نفعا منها بالغيث لان لمنفعة الغيث وقتا معلوما وعدل الملك
على الدوام لا يتعين له وقت ويحسن بالملك ان يتشبه لتصاريف تدبيره
بطباع ثمانية اشياء منها الغيث والشمس والقمر والريح والنار
والارض والماء والمجازاة بعد الموت اما تشبهه بالغيث
فتواتره فى اربعة اشهر من السنة ومنفعته لجميع السنة كذلك ينبغى
للملك ان يعطى عبيده واعوانه فى اربعة اشهر تقديراً لتتمة السنة
فيجعل رفيعهم ووضيعهم فى الحق الذى يستوجبونه بمنزلة واحدة كما يسوى
المطر السنة بين كل اكمة مشرفة وغائض ويغمر كلا منهما على قدر
حاجته ثم يستجبى الملك من الثمانية الاشهر حقوقه من غلاتهم وخراجهم
كما تجنى الشمس بحرها وحدة فعلها نداوة الغيث فى الاربعة الاشهر
واما تشبهه بالريح فان الريح لطيفة المداخل فتتولج بواطن الابدان
فينبغى للملك ان يكون له جواسيس فيتولج على قلوب الناس

بجواسيسه وعيونه لا يخفون عنه بشيء حتى يعرف ما يأتمرون به في بيوتهم
واسواقهم واما شبهه بالقمر فان القمر اذا استهل اتمامه فاضاء
واعتدل نوره على الخلق وعم الناس بضوءه فينبغي ان يكون بهجة الملك
وزينته واشراقه في مجلسه وايناسه رعيته في نشره ولا يخص شريفا
دون وضيع ببذله واما شبهه بالارض ففي كتمان السر والاحتمال
والصبر واما شبهه بالنار فعلى اهل الفساد واما شبهه بعاقبة
الموت ففي المجازاة حيث يكون عقابه لا يقصر عن اقامة حد ولا يتجاوزه
واما شبهه بالماء ففي لينه لمن لاينه وهدمه البيوت واقلاعه الصخر
لمن حاربه واعلم انه يكتنف السلطان من يتشبع من شرار الناس
والاعوانة على الحاجة اليهم فيقبلهم بسطوته وينتفع بهم اذ لا يقرب منه
الاعداء كالحيات تكتنف الصندل فيقبلها الصندل بطيب رائحته
وبرده ويبسه وينتفع الصندل بها اذ لا يقرب منه من يريد قطعه
وفي مثل هذا قال العرب لا تكن حلوا فتؤكل ولا مرا فتلفظ واجعل
لكل طبقة من اعدائك اشباههم من اعوانك تسوسهم فانهم
كالماء في الاذن لا حيلة في اخراجه ارفق من الماء الذي هو من جنسه
فالسيف القاتل من جنس الدرع الواقي فتدبير الملك الحازم لسلطانه
كتعاهد صاحب البستان يخرج باجل عيدانه وشوكة شجره فيحيط بثمره

وذرعه ليقيه من الشر والفساد وكما ينتخب الملوك لاهل الشكيمة والبسالة
فيجعلهم في اقاصيه وحدوده ردا للهلكة ومن تدبيره ايضا المعاملة
بالمجاملة والعدل والاحسان وليس بسلطان من ليس له اعوان ومن تدبيره
استماع الحكم وقبولها ومن الحكم ان من الكرم لين الشيم اياك والخديعة
فانها خلق اللئيم اكرم الصنايع سلامة الصدر فلن يسلم من الناس حتى يسلموا
منك من عرف بالصدق جاز كذبه ومن عرف بالكذب لم يجز صدقه
اغتفر زلة صديقك تكن مغتفرا ليس الرجل من كان عبد هواه من خاف
ربه كف ظلمه لولا جهل الجاهل ما عرف عقل العاقل فمصادقة الكرام غنيمة
ومصادقة اللئام ندامة من كان الناس عنده سواء لم يكن له اصدقاء
من سالم الناس غنم ومن سفه يقطع مودة لم تزل ويكسب عداوة
لم تكن فلا قوي اقوى ممن قوي على نفسه ولا عاجز اعجز ممن عجز
عنها فاعلم ان الله سبحانه وتعالى قد يعامل اوليائه واصفيائه باعدائه
ويضطر اوليائه واحباؤه الى اعدائه تمحيصا لهفوات اوليائه ورفعة
وذخيرة لهم عنده وزلفى لديه قال الله تعالى تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم
لعظم ما كان يلقاه من سطوة اعدائه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وقال سبحانه جل شانه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا فما ابكيت

من المكاره اما لرفع درجة وتمحيص سيئة وبلوغ فضيلة واما لعقوبة
لانتهاك حرمة واقتراف معصية وكان جعفر بن محمد اذا وقع في شيء
يكرهه قال اللهم اجعله ادبا ولا تجعله غضبا وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
لو كان المؤمن في رأس جبل لقيض الله له من يؤذيه قال بعض العرفاء
الذي رأينا ما نحب فيما نكره اكثر مما رأينا ما نكره فيما نحب فاسعد الناس
من كان القضاء له مساعدا وكان لمساعدته اهلا وكان انجح
ما في هذا الانسان قلبه وله موارد من الحكمة واضداد من خلافها فان سنح له
الرجاء اذله الطمع وان هاج به الطمع اهلكه الحرص وان تملكه الياس قتله
الاسف وان عرض له الغضب استبد بالغيظ وان اسعد بالرضى
نسي التحفظ وان ناله الخوف شغله الحذر وان اتسع له الامر استلبته الغرة
وان حدثت له النعمة اخذته العزة وان امتحن بمصيبة فضحه الجزع
وان افاد مالا اطغاه الغنى وان عضته فاقة شغلته وان جهد به
الجوع قعد به الضعف وان افرط في الشبع لطته البطنة فكل تقصير
وتفريط به مضر وكل افراط له مفسد علامة العلم التعلم لا تفرحوا حتى
تفعلوا ولا تانفوا حتى تعلموا قصص الاولين مواعظ الاخرين
ليس مع الطمع عزة ولا مع الحسد سرور ولا مع الحرص راحة ولا مع السخط
غنا ويروى ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعدما ملك

روي ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام

خزاين

خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صير الملوك عبيدا والصبر
والتقى صير العبيد ملوكا فقال يوسف عليه السلام قال الله عز وجل
انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال جعفر الصادق
عجبت لمن ابتلى باربع كيف يغفل عن اربع لمن ابتلى بالضر كيف يذهب عنه
ان يقول رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين والله تعالى يقول
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وعجبت لمن ابتلى بالغم كيف يذهب عنه
ان يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والله تعالى
يقول فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين وعجبت لمن
خاف كيف يذهب عنه ان يقول حسبنا الله ونعم الوكيل والله تعالى
يقول فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وعجبت لمن
مكر به كيف يذهب عنه ان يقول وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت
لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها كيف يذهب عنه ان يقول
ما شاء الله لا قوة الا بالله فمن لم يقدر على جمع الفضائل فليكن فضائله
ترك الرذائل ان لم تكن نلها تصلح فلا تكن ذبابا تفسد استصلاح
بغض العدو افضل من هلاكه من سعادة المرء ان يطول عمره ويرى
في عدوه ما يسره خير الكتب ما اذا اعاد قارئه النظر فيه زاد حسنه

قال جعفر الصادق

او وقف على ضده اذا فقد المتفضلون هلك المتجملون اصلاح الرعية
انفع من كثرة الجند فاذا عدل الملك ملك قلوب الرعية واذا جار
لم يملك منهم الا الريا والتصنع خير مالك ما اغناك وخير منه
ما قواك القليل من الملك كالكثير من غيره عطاء الملك زينة
وسواله شرف فاستدم النعمة بالشكر والقدرة بالعفو والطاعة
بالتألف والنصر بالتواصل به والرحمة للخلق واعتبر فلم يحكم العقول
حاكم كالعبر ولم يحكمها محكم كالتجربة فمن عاب سافلا فقد رفعه ومن عاب
سيداً فقد وضع نفسه بالكلام يعرف فضل العقل كما بالرسول
يعرف قدر المرسل فملاك امركم الدين وعصمتكم التقوى وزينتكم
الادب وحصون اغراضكم الحلم الاشرار يتبعون مساوي الناس
ويغفلون عن محاسنهم كما يتبع الذباب المواضع المعتلة
من الجسد العقل افقر الى الحكمة والادب من الجسد الى الطعام والشراب
الظرف فطنة مازجها عبارة مع حذر دقيق شر الغيوب ما كان
مطفئاً للعيوب وشر العيوب ما كان علة للذنوب عامة الاشرار
من خالطهم لا يسلم منهم ومن تركهم لا يصرفون عنه شرهم واما
الاخيار فمن خالطهم ربح عليهم ومن خالفهم ترك رشده فاقد
من اهل الحجا من كان من اهل الهوى ولا من اهل التقى من حاد

عن

عن سبيل الهدى الحكمة ربيع القلوب الخصومة تكشف العورة وتورث
المعرة قد يكون اليأس ادراكاً اذا كان الطمع هلاكا لا تغتر بقول
الجاهل ان في يديك لؤلؤة وانت تعلم انها جلجلة فالكريم لا يستحيي
من اعطاء القليل من اعظم الناس محنة من قل ماله وكثر مجده الكرم
حسن العطية والعفاف زينة الفقر واللؤم سوء التعامل والطمع
لمساوي العيوب تجمع وهو زمام يقاد به الى كل سوء ليست البركة
من الكثرة لكن الكثرة من البركة قيل لحكيم ما لكم لا تعاقبون الجهال
قال لانا لا نريد من العميان ان يبصروا من بذر عداوة حصد ندامة
اياكم وطلب الامور بغير وجهها فيعييكم طلبها ولا تدركوا حظا
منها قيل لحكيم اخرج الهم من قلبك قال ليس باذني دخل من اغتر
بحاله قصر في احتياله قال الشعبي رحمه الله ما رايت الله سبحانه وتعالى
اعطى عباده اجل من العلم ما اعتق من الذم من ملكه الجهل ولا ظفر
بالعز من احتمل ما في المعصية من الذل ولا خرج عن الدناءة من جمع
عقله الى الدنيا حاول الامور بالنصفة وانا زعيم لك بالظفر
افة الدين رجلان جاهل ناسك وعالم فاجر هذا يدعو الناس
الى جهله بنسكه وهذا ينفر الناس عن علمه بفسقه فمن لزم الصحة
والاستقامة لزمته الغبطة والسلامة العقل النافذ بالرجل المنذر

الجلجل الجرس الصغير والاجر الصغير
وايضا العظيم من المصباح المنير

خرج البخاري ومسلم والنسائي والبيهقي عن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى أثرة علينا وعلى ان لا ننازع الامر اهله وعلى ان نقول بالحق اينما كنا لا نخاف
في الله لومة لائم وفي رواية عن عبادة في البخاري ومسلم وعلى ان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا
عندكم من الله فيه برهان يعني بايعنا رسول الله اي عاهدنا بالتزام السمع والطاعة على حالتي الشدة والرخاء
وما في السراء والضراء والتعبير بصيغة
المفاعلة للمبالغة او الانذار على القيام
بما التزموا والمنشط والمكره مفعلان
من النشاط والكراهة للمحل اي فيما فيه
نشاطهم وكراهتهم او الزمان اي في
زمان انشراح صدورهم وطيب قلوبهم
وما يضاد ذلك وقوله على أثرة علينا
اي ذي فضل والاثرة بالتحريك من آثره
اذا فضله قال تعالى لقد آثرك الله علينا
اي فضلك وقيل هو اسم من استأثره
اذا اختاره لنفسه واستبد به وهو
عطف على السمع والطاعة وقوله
على ان لا ننازع الامر اهله بدل عنه
بدل الاشتمال ويدل عليه حذف
المبدل في بعض الروايات والمعنى
بايعناه على ان نراعي حق اهل الفضل
علينا ولا ننازعهم فيما يستحقونه الا
ان تروا كفرا بواحا اي كفرا جهارا
لا خفاء به ولا تأويل له من باح الشيء
وأباحه اذا جهر به

كبهاء الياقوت واللؤلؤ في تيجان الملوك اذا صح القلب مع العمل
كان التوفيق والتوفيق خير قائد فبالتوفيق ادرك من ترفق في
استتمام الحظ ما ابتغى فلا تنظر الى احد في الموضع الذي رتبه فيه زمانه
ولكن انظر اليه بقيمته في الحقيقة فانها مكانه الطبيعي قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خمس من لم تكن فيه فلا ترجه لشيء من امر الدنيا والآخرة من لم يعرف
بالوثيقة في روايته والديانة في خلقه والكرم في طبعه والنبل في نفسه
والتقى في عند ربه فانظر كيف يكون ما قاله رضي الله عنه وفقا في التذكير
وكيف يكون جامعا في الموعظة لمن كان كريما بالطبع فاجتهد ان تكون
متعظا به وبما سبق من المواعظ والحكم والله تعالى يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

الباب الرابع في ترك الخروج عليهم روى البخاري عن عبادة بن الصامت
رضي الله عنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان فيما اخذ علينا
ان بايعنا على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وعلى اثرة
علينا وعلى ان لا ننازع الامر اهله الا ان تروا كفرا بواحا يكون عندكم
فيه برهان من الله وفيه قال ابن مسعود رضي الله عنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ستروا بعدي اثرة واموراً تنكرونها قالوا
فما تأمرنا يا رسول الله قال ادوا اليهم حقهم واسئلوا الله حقكم وفي
سنن ابي داود يطلبون منكم ما لا يجب عليكم فاذا قالوا ذلك فاعطوهم

ولا تسبوهم

ولا تسبوهم ولتدعوا لهم قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى
قل اللهم مالك الملك وفي بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب
الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة
وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك
ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه الصلوة والسلام
كما تكونون يولى عليكم وقال مالك بن دينار وفي بعض الكتب
ابن آدم تدعو على من ظلمك ويدعو عليك من ظلمته فان شئت
اجبناك واجبنا عليك وان شئت اخرت الامر الى يوم القيمة
فيسعكم العفو فاذا قال المظلوم في دعائه اللهم لا توفقه فقد دعا على نفسه
وسائر الرعية لانه من قلة توفيقه ظلمك ولو كان موفقا لما ظلمك
وان استجيب دعاؤك زاد ظلمه وقد روي عن السلف الصالحين
قولهم لو كانت لنا دعوة مستجابة ما جعلناها الا في السلطان وروي
عن الفضيل رحمه الله انه قال لو ظفرت ببيت المال لاخذت من حلاله
وصنعت اطيب الطعام ثم دعوت الصالحين والفضلاء من الاخيار
والابرار فاذا فرغوا قلت لهم تعالوا ندع ربنا في ان يوفق سلطاننا
وسائر من يلي علينا وجعل اليه امرنا فكل عالم عامل خير بل كل عاقل
متمكن في مملكة ومن يأكل من بيوت اموال المسلمين يفعل

مطلب
روى ان رجلا من العقلا

يقال استعداه اى استغاثه
واستنصره منه [illegible]

هكذا في كل يوم وروى انه رجلاً من العقلاء غصب بعض الولاة
ضيعته فاستعدى عليه المنصور فقال اصلحك الله اذكر لك
حاجتي ام اضرب قبلها مثلا قال بل اضرب مثلك قال اصلحك الله
ان الطفل الصغير اذا نابه امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها
فطانة منه انه لا ناصر فوقها فاذا ترعرع واشتد فاوذي كان
فراره وشكاؤه الى ابيه لعلمه ان اباه اقوى من امه فاذا بلغ وصار
رجلا وحزبه امر شكا الى الوالي لعلمه بانه اقوى من ابيه فاذا زاد
عقله واشتد شكيمته شكا الى السلطان لعلمه بانه اقوى ممن سواه
فان لم ينصفه السلطان شكا الى الله جل جلاله لعلمه بانه اقوى من السلطان
وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد اقوى منك الا الله تعالى
فان انصفتني والا رفعت امري الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه
الى بيته وحرمه اذ ليس فوقك احد الا الله تعالى قال ننصفك
وامر ان يكتب الى واليه رد ضيعته اليه وكان يقال اذا انكرت
من زمانك فانما افسده عملك وقال واحد من العلماء لم ازل
اسمع الناس يقولون اعمالكم عمالكم كما تكونون يولى عليكم حتى ظفرت بها
في القرآن قال الله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا
يكسبون قال عبد الملك بن مروان انصفونا يا معشر الرعية

تريدون

قال عبيدة السلماني
لعلي بن ابي طالب
كرم الله وجهه

تريدون منا سيرة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا تسيرون فينا
وفي انفسكم بسيرتهما فنسأل الله تعالى ان يعين كلا على كل وقال
قتادة اوحى الله تعالى الى بعض انبيائه اذا استعملت عليكم خياركم
فقد رضيت عنكم واذا استعملت عليكم شراركم فقد سخطت عليكم
وقال عبيدة السلماني لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه يا امير
المؤمنين ما بال ابي بكر وعمر انطاع الناس لهما والدنيا عليهما
اضيق من شبر واتسعت عليهما ووليت انت وعثمان الخلافة
فلم ينطاعوا لكما فصارت عليكما اضيق من شبر فقال لان رعية
ابي بكر وعمر كانوا مثلي ومثل عثمان ورعيتي انا اليوم مثلك
وشبهك وكتب واحد من هؤلاء الكبار في جواب مكتوب
بلغني كتابك تذكر ما انتم فيه وليس ينبغي لمن يعمل بالمعصية ان ينكر العقوبة
وما ارى ما انتم عليه الا من شوم الذنب والسلام فصل في بيان
الخصلة التي بها تصلح الرعية فاقوى خصال السلطان اثرا في تمسكهم
بادبانهم وحفظهم لمراتبهم اصلاح السلطان نفسه وتنزيهه عن
سفساف الاخلاق بان يبعد عن اصحابه وترفيعه نفسه عن
استصحابهم ومن اصحابه اهل البطالة والمجون واللعب واللهو
وقد كان اطلق السنة الخلق بالثناء القبيح على نفس الخليفة الامين

بصحبة بابي نواس فكانت وصمة عظيمة عليه حتى تغيرت عليه نفوس
الخلق وتنكرت عليه وجوه الورى فمتى اراد السلطان اصلاح رعيته
وهو متماد على الاخلاق المنعكسة من اصحاب سفساف الاخلاق كان
كمن اراد استقامة الجسم مع عدم صحة رأسه وكمن اراد تقويم الظل
مع اعوجاج الشخص وكيف يحيى النون مع فساد الماء قال بعض الحكماء
لم ينتفع الانسان من عدوه قال باصلاح نفسه وقديما قيل من اصلح
نفسه ارغم انف اعاديه ومن اعمل جده بلغ كنه امانيه فصحبة الاشرار
والاسافل تورث الشر كالريح اذا مرت على النتن حملت نتنا
واذا مرت على الطيب حملت طيبا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته
فمحال استصلاح رعيتك وانت مع المفسدين وارشادهم
وانت مع الغاوين وهدايتهم وانت مع الضالين وقد سبق المثل
ومن العجائب اعمش كحال والعرب يقول يا طبيب طب نفسك
وكيف يقدر الاعمى على ان يهدي والفقير على ان يغني والذليل على
ان يعز قيل لن يبلغ الف رجل في اصلاح رجل واحد بحسن
القول دون حسن الفعل ما يبلغ رجل واحد في اصلاح الف رجل
بحسن الفعل دون القول ولكن اقوى الاسباب في صلاحهم عند
فوت صلاحه استعمال اولي الامر والوكلاء عليهم الخاصة من ذوي

الاحلام الراجحة والمروات القائمة فهو الطريق الى حفظ اديانهم ودو اتهم
وتماسكهم عن الانهماك في المحظورات وملابسة المحرمات وقيل خلتان
في السلطان اقرب الى اصلاح الرعية من سواهما ثقة الرأي
وشدة الرحمة وما احق السلطان ان يسلك بالرعية كل مسلك
يصلحون عليه ويسودون معه فحق يكون رئيس الرؤساء واميرا
على السادة والفضلاء وان اهملهم في ركوب شهواتهم وتوسط
لذاتهم ذهبت اديانهم وسقطت مرواتهم وبقوا في الجماعة
المذمومة كما جاء المثل بقول العرب في قوم لا رؤساء فيهم ولا سراة
بينهم هم سواسية كاسنان المشط ولان تكون اميرا على الفضلاء
والرؤساء خير من ان تكون اميرا على الرادية والذباب وقد قال
عبد الملك بن مروان يوما وقد استقام له الامر من يعذرني
من عبد الله بن عمر فانه ابى ان يدخل في سلطاني فقال بعض
جلسائه تستحضره وتضرب عنقه وتستريح منه فقال له عبد الملك
ويلك ان قتلت ابن عمر فعلى من اكون اميرا قيل للاسكندر استصلح
الرعية واذهب شرهم تكن رئيسا لاخيار محمودين ولا تكن
رئيسا لاشرار مذمومين فتكون كراعي البقر ولما استولى تبع
على ملك الهند بغير طاعة قال له قد وهبتك لقومك ووهبتهم لك

فانزلهم منازلهم وبلغهم مراتبهم فكل امة لم يبلغ مراتبها وغلت صدورها
ووغرت قلوبها فاستحقت فتكها وهان عليها اعمارها وملكت
امورها شرارها وانت تعلم بهم فمن اطاب المملكة وقواعدها
ان لا يسلب عمن يستحق الرياسة رياسته ويبقى على كل
ذي عز عزه وينزل كل ذي منزلة منزلته فتأمن من نوائب
الاعداء التي هي نتايج الضغائن والاحقاد واعلم ان الرعية
اذا قدرت ان تقول قدرت على ان تفعل فاجهد ان لا تقول
تسلم من ان تفعل يعني اذا عدلت لم يتكلموا بشيء وما احسن ما قال
عبد الملك بن مروان يا اهل الشام انما انا لكم كالظليم الرائح
على فراخه ينفي عنهم القذر ويباعد عنهم الحجر ويكنهم من المطر ويحميهم
من الضباب ويحرسهم من الذباب ويا اهل الشام انتم العدة
والحذا وانتم الجنة والردا ويروى ان سليما مولى زياد فخر بزياد
عند معاوية رضي الله عنه فقال معاوية اسكت فما ادرك صاحبك
بسيفه الا ادركت اكثر منه بلساني **فصل** في بيان سيرة السلطان
مع الجند اعلم ان الجند عدد الملك وحصونه ومعاقله واوتاده
وهم حماة البيضة والذابون عن الحرمة والدافعون عن العورة
وهم جنن الثغور وحراس الابواب والعدة للحوادث

والظليم الذكر من النعام قاموس

وامداد

وامداد المسلمين فينبغي للملك ان يتفقد جنوده كتفقد صاحب
البستان بستانه ويقلع العشب الذي لا ينفعه ومع ذلك يضر
بالنبات النافع فهو بالقلع اجدر ولا يستصلح الجند الا بادرار ارزاقهم
وسد حاجاتهم والمكافاة لهم على قدر غنائهم وبلائهم قال بعض الملوك
لابنه في نصيحة له لا توسعن على جنودك فيستغنوا عنك ولا تضيق
عليهم فيضجوا منك واعطهم عطاء قصدا وامنعهم منعا جميلا ووسع
عليهم في الرجاء ولا توسع عليهم في العطاء ولما افضى الامر الى
ابي جعفر المنصور انفذ جيشا وقال لقواده سيروا على هذه
السيرة ثم قال صدق الاعرابي في قوله اجع كلبك يتبعك فقام
ابو العباس الطوسي فقال يا امير المؤمنين اخاف ان يلوح له
غيرك برغيف فيتبعه ويدعك فالسمن الى عدم القدرة على الحركة
مضر كما ان الجوع المفرط مضر فعليك بميزان العدل وكان بعض
سلاطين المغرب يسير يوما وبين يديه الوزير اذ نظر الى جماعة
من التجار فقال لوزيره اتحب ان اريك ثلاث طوائف طائفة
لهم الدنيا والآخرة وطائفة لهم دنيا بلا آخرة وطائفة لا دنيا لهم
ولا آخرة فقال وكيف ذلك ايها الملك فقال اما الذين لهم
الدنيا والآخرة فهولاء التجار يكتسبون اقواتهم من الحلال ويصلون

قال بعض الملوك لابنه في نصيحة له

صلوتهم ولا يؤذون احدا واما الذين لا دنيا لهم ولا آخرة
فهولاء الشرطة والاعونة الذين بين ايدينا واما الذين لهم
الدنيا بلا آخره فانا وانت وسائر السلاطين الذين اتبعوا
الشهوات وتركوا العدل فخرجوا عن الصراط المستقيم فحق
على جميع الوزراء ان يبدؤا السلطان بالمناصحات ويخصوه بالدعوات
ويعينوه في سائر المحاورات والمحاولات ويكونوا له اعينا ناظرة
وايدي باطشة وجنة واقية والسنة ناطقة وقوادم
نهضته وقوائم نقلته ولما حج هرون الرشيد لقيه عبيد الله العمري
في الطواف فقال له يا هرون قال لبيك يا عم قال كم ترى
ههنا من خلق قال لا يحصيهم الا الله سبحانه وتعالى فقال
اعلم ايها الرجل ان كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه
وانت وحدك تسأل عنهم فانظر كيف تكون فبكى هرون
فجعلوا يعطونه منديلا للدموع ويقال ان هرون كان يقول
والله اني لاحب ان احج في كل سنة وما يمنعني الا رجل من
ولد عمر يسمعني ما اكره وروي عن عبد الملك بن مروان
انه لما ولي الخلافة اخذ المصحف ووضعه في حجره وقال هذا فراق
بيني وبينك والحاصل ان وجود السلطان في الارض نعمة على

عباد

عباد الله تعالى جزيلة عميمة فشكر هذه النعمة لازم وواجب على كل
مسلم بالدعاء له في اكثر الاوقات وبطاعته ونصحه ودلالته
على الخير ان كان ذلك المسلم اهلا لذلك وذلك لا يصلح الا
باصلاح نفسه اولا بالعلم والديانة والتقوى وينبغي للسلطان
ان يستمر على فطرته الاصلية فيلازم العدل والاحسان ويتضرع
الى الله سبحانه وتعالى في الصباح والمساء ويدعو بالادعية المأثورة
وفي احياء العلوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا فاطمة
ما يمنعك ان تسمعي ما اوصيك به ان تقولي يا حي يا قيوم برحمتك
استغيث لا تكلني الى نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله وفيه
ايضا دعاء ابي بكر الصديق رضي الله علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر الصديق رضي الله عنه ان يقول اللهم اني اسألك بمحمد نبيك
وابرهيم خليلك وموسى كليمك وعيسى نجيك وروحك
وبتورية موسى وانجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد صلى الله
عليه وسلم وبكل وحي اوحيته وبكل قضاء قضيته او سائل اعطيته
او غني افقرته او فقير اغنيته او ضال هديته واسألك باسمك
الذي تنبت به ارزاق العباد واسألك باسمك الذي وضعته
على الارض فاستقرت واسألك باسمك الذي وضعته على السموات

فاستقلت واسألك باسمك الذي وضعته على الجبال فرست
واسألك باسمك الذي استقل به عرشك واسألك باسمك
الطهر الطاهر الاحد الصمد الوتر المنزل في كتابك من لدنك من النور
المبين واسألك باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار
وعلى الليل فاظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك
ان ترزقني القرآن والعلم وتخلطه بلحمي ودمي وسمعي وبصري
وتستعمل به جسدي بحولك وقوتك فانه لا حول
ولا قوة الا بك يا ارحم الراحمين **الباب الخامس** في دفعهم
عن الظلم بالتي هي احسن اعلم ان الظلم قبيح عقلا وشرعا
فما كان قبيحا في نفس الامر يكون سيئ العاقبة فهو سيئ العاقبة
البتة قال الله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون
فالكفر موقوف على خلاف العقيدة وقال الله تعالى ولا تحسبن الله
غافلا عما يعمل الظالمون وروى مسلم في الصحيح عن ابي ذر
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه سبحانه
انه قال اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا

يا عبادي

وفي المشارق روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه يا ابن آدم مرضت فلم تعدني قال رب كيف اعودك وانت رب العالمين
قال ان عبدي فلانا مرض فلم تعده اما علمت انك لو عدته لوجدتني يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني قال يا رب
كيف اطعمك وانت رب العالمين قال اما علمت انه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته
لوجدت ذلك عندي يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني قال يا رب كيف اسقيك وانت رب العالمين
قال استسقاك عبدي فلان فلم تسقه اما انك لو سقيته لوجدت ذلك عندي قال بعض الشراح انما قال
في العيادة لوجدتني وفي الاطعام والسقي لوجدت عندي اشارة الى ان الله تعالى اقرب المنكسر المسكين انتهى

يا عبادي كلكم ضال الا من هديته فاستهدوني اهدكم يا عبادي
كلكم جايع الا من اطعمته فاستطعموني اطعمكم يا عبادي كلكم عار
الا من كسوته فاستكسوني اكسكم يا عبادي انكم تخطئون بالليل
والنهار وانا اغفر الذنوب جميعا فاستغفروني اغفر لكم يا عبادي
انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي
لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل
واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم
وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم ما نقص
ذلك من ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم وآخركم وانسكم
وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فاعطيت كل انسان مسألته
ما نقص ذلك مما عندي الا كما ينقص المخيط اذا ادخل البحر يا عبادي
انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله
ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وقال علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه يوم العدل على الظالم اشد من يوم الجور على المظلوم
وقال وهب بن منبه اوحى الله تعالى الى داود اذا لم تكن ظالما
فلا تصحب الظالمين فتهون في عيني وقال الشعبي دخلت يوما
على يزيد بن هبيرة فوالله لقد اردت كلمة ارضى بها امري

ولا اسخط خالقي فما قدرت عليها وروى ان مالك بن دينار
دخل على هلال بن ابي برده فقال له هلال ادع الله لي يا يحيى
قال ما ينفعك دعائي وبالباب مائتان يدعون عليك
الله تعالى ومثل ذلك قول سليمان بن عبد الملك لابي حازم
ادع الله لي فقال انا ادعو الله لك ههنا ومظلوم بالباب
يدعو الله عليك فاي الدعوتين احق بالاجابة وروى
ان انوشروان كان له معلم حسن التاديب فعلمه حتى فاق
في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فاوجعه فحقد انوشر وان
عليه فلما ولي الملك قال له ما حملك على ضربي يوم كذا وكذا
ظلما قال لما رايتك ترغب في العلم رجوت لك الملك
بعد ابيك فاحببت ان اذيقك طعم الظلم لئلا تظلم اذا
وليت وفي التفسير الكبير واعلم ان الواجبات على قسمين
حقوق الله تعالى وحقوق العباد وحقوق الله تعالى مبناها على المسامحة
لانه تعالى غني عن العالمين اما حقوق العباد فهي التي يجب الاحتراز
عنها روى ان ابا حنيفة رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال
فذهب الى داره ليطالبه به فلما وصل الى باب داره وقع
نعله على نجاسة فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت

روى ان اباحنيفة رضي الله عنه كان له على بعض المجوس مال

على

على حايط دار المجوسي فتحير ابو حنيفة رحمه الله وقال ان تركتها كان ذلك
شينا يقبح جدار ذلك المجوسي وان حككتها انحدر التراب من الحائط
فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها قولي لمولاك ان ابا حنيفة
بالباب فخرج اليه وظن انه يطالبه بالمال واخذ يعتذر فقال
ابو حنيفة رضي الله عنه ههنا ما هو اولى وذكر قصة الجدار وانه
كيف السبيل الى تطهيره فقال المجوسي فانا ابدا بتطهير نفسي فاسلم
في الحال والنكتة فيه ان ابا حنيفة رضي الله عنه لما احترز عن ظلم
ذلك المجوسي في ذلك القدر القليل من الظلم فلاجل تركه ذلك
انتقل المجوسي من الكفر الى الايمان فمن احترز عن الظلم كيف يكون حاله
عند الله تعالى انتهى فانظر كيف يتحاشى من كان صاحب المذهب
عن الظلم وكيف يلزم التحاشي عن الظلم فكن على بصيرة وقال
في ماة عمرو بن دينار نادى رجل في بني اسرائيل من راني فلا يظلمن
احدا فسئل عن حاله فقال كنت اسير على شاطئ البحر في بعض
سواحل الشام اذ مررت بنبطي قد صاد سبعة انوان فاخذت
منها نونا وهو كاره بعد ان ضربت راسه فعقر النون
ابهامي عضة شديدة فوقعت الآكلة في الابهام فاتفقت
الاطباء على قطعه فقطع فوقعت في الكف ثم في الساعد

مطلب

ثم في العضد فمن رآني فلا يظلمن احدا فخرجت اسيح في البلاد
وانا اريد قطع العضد اذ رفعت لي شجرة فاويت الى ظلها
فنعست فقيل لي في المنام لاي شيء تقطع اعضائك رد الحق
الى اهله فجئت الصياد فقلت يا عبد الله انا مملوكك فاعتقني
فقال لا اعرفك فاخبرته فبكى وتضرع وقال انت في حل فلما
قالها تناثر الدود من عضدي وسكن الوجع فقلت له بماذا
دعوت علي قال لما ضربت رأسي واخذت السمكة مني
نظرت الى السماء وبكيت وقلت يا رب اشهد انك عدل
تحب العدل وهذا منك عدل وانت حق تحق الحق وهذا
منك حق وخلقتني وخلقته وجعلته قويا وجعلتني ضعيفا
فاسئلك بالذي خلقتني وخلقته ان تجعله عبرة لخلقك
فاذا عرفت هذا فاعلم انك اذا فعلت باحد مكروها او سعيت
سعاية الى السلطان او الى ذي مكنة فذلك ظلم يحتاج الى
تحليله ان بلغ او يحتاج الى توبة فادع الله تعالى واستغفر له
واذا سمعت من احد مكروها فلا تبادر الى جزائه قال الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا
قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين فالسعاية الى السلطان

اوذي

او ذي مكنة اشد فسادا من فعل المكروه فهي المهلكة لانها
تجمع مذمة الغيبة ولؤم النميمة والتغرير بالنفوس والاموال
والقدح في المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط
المكين عن مكانه والسيد عن مرتبته فكم من دم اراقه سعي ساع
وكم من حريم استبيح بنميمة باغ وكم من طفيين تقاطعا ومن
محبين تباغضا ومن متواصلين تباعدا ومن الفين تهاجرا
ومن زوجين افترقا فليتق الله ربه رجل ساعدته الايام
وتراخت عنه الاقدار ان يصغ لساع او يسمع من نمام قال
كعب اصاب الناس قحط شديد على عهد موسى عليه السلام
فخرج موسى يستسقي ببني اسرائيل فلم يسقوا ثم خرج فلم يسقوا
ثم خرج الثالثة فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولا لمن معك
فان فيكم نماما قال موسى عليه السلام يا رب من هو حتى نخرجه
من بيننا فاوحى الله تعالى اليه يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما
فتاب فارسل الله عليهم الغيث قيل وسعى المثلث السعاية
فيما قيل من ان ابغض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي الرجل
يسعى باخيه عند الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وروي
ان ساعيا سعى برجل الى الفضل بن سهل فوقع على ظهر كتابه

نحن نرى ان قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة
والقبول اجازة وليس من دل على شي كمن قبل واجاز لانه من فعل شر
ممن دل فقيل احذر واعداء العقول لصوص المودات وهم السعاة
والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وقيل
اياك والسعاة فانهم اعداء عقلك ولصوص عملك
يفرقون بين قولك وفعلك وفي المثل السائر من اطاع
الواشين ضيع الصديق قال لعاقل يبعد عمن كان قوله او فعله
سببا للظلم فيامن هذا الاقتصاص في صحيح البخاري عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت عنده
لاخيه مظلمة فليتحلل منها فانه ليس ثم دينار ولا درهم من قبل
ان يؤخذ من حسناته لاخيه فان لم يكن له حسنات اخذ
من سيئات اخيه فزيدت عليه فان قيل يعارضه قوله تعالى
ولا تزر وازرة وزر اخرى فكيف يؤخذ الظالم بذنب
اقترفه المظلوم قلنا معنى الآية انه لا يعاقب احد بذنب احد
ابتداء واما في مسئلتنا فمظلمة بقيت عنده وليس له
وفاؤها فهو الذي اكتسب هذا الوزر وهو معنى قوله تعالى وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال قبل موته من كانت له عندي مظلمة فليات حتى اقتصه فقام
سواد بن عزية فقال يا رسول الله انك ضربتني على بطني ليلة العقبة
فاوجعتني فقال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فاقتص فقال
يا رسول الله انك ضربتني وانا مكشوف البطن فكشف النبي
صلى الله عليه وسلم بطنه فاكب عليه يقبله فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما حملك على هذا فقال يا رسول الله اردت
ان يكون آخر عهدي بك ان اقبل بطنك فهذا رسول الله — انه يقبل سره
صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه مع ان الله تعالى غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر لنعلم ان الله تعالى لا يدع القصاص
في المظالم بين العباد لان الله تعالى اعدل من ان يدع مظلمة
لاحد عند نبي ولا غيره وروى ابو سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال يخلص المؤمنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة
والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا
حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي
نفس محمد بيده لاحدكم اهدى لمنزله في الجنة منه لمنزله في الدنيا
وفي صحيح مسلم روى ابو هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون من المفلس من امتي من ياتي يوم القيمة بصلوة وزكوة

قالوا من لا متاع له ولا درهم فقال ان المفلس صح

وصيام ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا
وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت
حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم وطرحت عليه
ثم القي في النار وقال مالك بلغني ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه بخلافة
لما ولي ضرب رجلا ثم ندم وقال مالي ولهذا الا رددتها عليهم
فسمعته عايشة رضي الله عنها فارسلت الى عمر رضي الله عنه
فجاء عمر فقال اني ضربت رجلا وقد كنت معافا من هذا
ان اضرب قال عمر كذلك الامام قال فما المخرج قال ان تأتي الرجل
فتاله ان يجعلك في حل فاتياه فاستحلاه وكان عمر يقول
رضي الله عنه انما ابعث امرائي ليعلموا الناس دينهم ويقسمون
بينهم فيئهم ويعدلون فيهم فمن ظلمه اميره فلا امرة له عليه دوني
حتى آخذ له بحقه فقال عمرو ابن العاص لله يا امير المؤمنين
ان ادب رجلا من رعيته يقتص له منه فقال عمر انا اقتص منه رجل …
وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقتص من نفسه فدلت
الآثار على ان الامير والمأمور في الاقتصاص سواء اذا جنى
احدهما على الآخر وان الامير اذا ظلم المأمور زالت امرته عليه
في ذلك المعنى وكان الامير في ذلك المعنى كبعض المأمور عليه

حتى

حتى يتحاكموا الى السلطان الاعظم فاذا عرفت هذا فاعتبر ان امر
الاقتصاص عظيم حتى انه بظواهر الادلة الى البهائم عميم واعلم
ان السلطان متى كان على فطرته الاصلية كمل فيه الخصال الحميدة
والسير المستقيمة وملك نفسه وقهر هواه ووضع الاشياء
مواضعها فلم يظلم نفسه فضلا عن رعيته روي ان الحجاج اخذ
واحدا ليقتله فقال لا اقتلك قال لم قال لخروج اخيك علي
قال ان معي كتاب امير المؤمنين ان لا تأخذني بذنب اخي قال
هاتِه قال فان معي اوكد منه قال الله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى
فعجب من جوابه وكلامه وخلى سبيله وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كتب الى عمرو بن العاص كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك اميرك
والسلام ففي هذا ما يهذب النفوس ويؤدب ذوي العقول
بلغ بالنصوص ويهدي الى الصواب ويوضح طريق الرشاد **الباب السادس**
في الصلوة خلفهم والاقتداء بهم اعلم وفقك الله تعالى وايانا
ان ما شرطه الجمهور للامام بعد الاسلام الذكورة والورع والعلم
بالمصالح الدينية والكفاءة وكونه ذا رأي وشجاعة كي لا يجبن
عن الاقتصاص واقامة الحدود والحروب الواجبة وتجهيز
الجيوش ولا يشترط كونه معصوما خلافا للروافض ويجوز تفويض

مقتضيات الشجاعة والحكم الى غيره وان يحكم هو بالاستفتاء
من العلماء وليست العدالة شرطا عند الحنفية للصحة وقالوا
يجب ان يُدعى له بالصلاح ونحوه من العدالة ويمنع من الخروج
عليه وكلمتهم قاطبة في بيان وجهه ان الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين صلوا خلف بعض بني امية وقبلوا الولاية عنهم فقد صلى
غير واحد من الصحابة خلف مروان ابن الحكم وروى البخاري
عن عبد الكريم ابن البكار قال ادركت عشرة من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كلهم يصلي خلف ائمة الجور فالافضلية
ليست شرطا لصحة ولاية الامامة في من يتوليها وانما هي شرط
الكمال ويجب طاعة الامام عادلا كان او جائرا اذا لم يخالف يجب طاعة الامام عادلا كان او جائرا
الشرع لحديث مسلم من خرج من الطاعة وفارق الجماعات
ميتة جاهلية وحديث الصحيحين من كره من اميره شيئا
فليصبر فانه من خرج من السلطان شبرا مات ميتة جاهلية
وحديث مسلم من ولي عليه وال يأتي شيئا من معصية الله
فليكره ما يأتيه من معصية الله ولا ينزعن يدا من طاعة
واما اذا خالف الشرع فلا طاعة لمخلوق في معصية الله عز وجل وفي التا تارخانية
قال علماؤنا رحمهم الله يصير الامير سلطانا بامرين بالمبايعة

معه

معه ويعتبر في المبايعة معه مبايعة اشرافهم واعيانهم
والثاني ان ينفذ حكمه فبعجزه عن قهرهم لا يصير سلطانا بالمبايعة
وحدها وقال ايضا وفي جامع الجوامع قال عليه الصلوة والسلام
السلطان ظل الله في الارض يأوي اليه كل مظلوم وانه افضل
من نوافل العبادات اجماعا لكونه خليفة في الارض ولا منزلة
ولا رتبة فوق هذا العموم وينبغي ان يكون الامير قويا في ملكه
وسلطانه عادلا بين رعيته واعوانه عالما بامور الدين
مقتفي اثر رسول الله الامين مطيعا لرب العالمين مختارا
رضا الله تعالى مشفقا على رعيته يسمع كلام المظلوم حق استماعه
ويدفع الظلم عنه قدر الاستطاعة يجاهد في سبيل الله
حق جهاده ويسعى في اعلاء كلمة الله العليا مستوفيا امر
الجهاد والمجاهدين بنفسه ولا يرضى ان يذلهم احد من خواصه
لانهم خواص حضرة الله العليا باعوا انفسهم عن الله بوجهه
الاعلى فغير خليفة الله لا يعرف قدرهم بان يعفوا ويقبل عذرهم
قال محمد رحمه الله وينبغي للامام ان يؤمر على الجيش افضلهم
واعلمهم بامر الحرب واعدلهم في القسمة حتى لا يجور على بعضهم
ويكون رفيقا حتى لا يقحمهم في المهالك وينبغي ان يكون عدلا

اي كلام [illegible]

يجب انه يوجد في السلطان عدة صفات

بلا غرض و فضله بلا عوض انتهى ويجب انه يوجد في السلطان عدة
صفات الاول علو الهمة وهو انما يحصل بتهذيب الاخلاق
والثاني اصابة الرأي في الفكرة وهي بكثرة التجربة مع جودة الفكر
والثالث قوة العزيمة والثبات وتسمى بعزم الملوك والرجال
وهي الاصل في اكتساب جميع الخيرات والفضائل والرابع الصبر
على مقاسات الشدايد فان الصبر مفتاح الفرج والخامس انه يكون
كريما لا ينظر الى الدنيا وما فيها اذ الذهب والفضة من اخس
المركبات ولا شك انه المطلوب اعلى مرتبة من الطالب فلو كان
محبة الذهب والفضة غالبة على قلبه لكان اشرف الاعضاء
اخس من اخس المركبات وذلك بعد عن ذروة الكمال ووقوع
في حضيض النقصان والسادس انه يكون فكره غالبا على قوله وفعله
ولا يقنع بمبادي الامور فلا بد انه يكون جل افعال الملوك على وفق
العقل ومقتضى الحكمة بالمشاورة والسابع انه يكون معجلا في العفو
مماطلا في العقوبة كيلا يندم حين ما لا ينفعه الندم والثامن انه يكون
شفيقا على الرعية وملازما على طريق العدل والتاسع انه يكون
مخالطته ومجالسته مع ذوي العلم والتجارب لانه كمال الضبط
والسياسة بالتاثير في الظاهر والباطن وهذا انما يحصل بذلك

والعاشر

والعاشر ان يكون متواضعا بحيث يقدر اصحاب الحاجات ان يعرضوا
عليه المصالح اما بوسط او بغير وسط وان لا يكون حليما في الغاية بحيث
يتكلم كل احد معه ما لا يعنيه وينبغي ايضا ان لا يرد الكلام بمجرد ان قائله
صاحب غرض اذ كل قائل غرض فلعل فيه فائدة ولا يقبل بمجرد ان له
نفعا الا بعد التحري او المشاورة بمن له علم اذ لعل عاقبته وخيمة
فعلى اي حال يلزمه التردد في الرد والقبول وملازمة التحري
حتى يظهر ما فيه المصلحة فاذا تعارضت المصلحة والمفسدة في قضية
فلا بد ان ينظر الى الغالب فان كان الغالب المصلحة لا يعتبر بالمفسدة
المرجوحة وان كانت المفسدة راجحة فلا ينظر الى المصلحة المرجوحة
فلا بد انه يكون نظره دائما الى الراجح وهذا الذي ذكرناه ينبني عليه
اساس العدل الذي هو العمدة في السلطنة ونظام المملكة وورد
في الحديث النبوي عدل ساعة خير من عبادة سنة وسره
ان نفع العبادة راجع الى العابد وحده ونفع العدل عام ولان
العدل سبب الامن فيشتغل الخلق بعبادة الخالق وللسلطان
العادل نصيب من العبادات الواقعة في مملكته ولهذا يجوز
الدعاء على السلطان ويجب الدعاء له بان يطلب من الله تعالى
ان يوفقه ويزيد في عدله فبيت العدل محفوظ من كان فيه

ورد في الحديث النبوي عدل ساعة خير من عبادة سنة

حاشية [illegible]

ومن كان يستظله ما دام قواعده محكمة بالديانة والامانة
والتعظيم لاوامر الله تعالى والشفقة على خلقه بان يرى للمخلوق خيرا
كما يرى لنفسه طلبا لرضى خالقه وان لا يجوز انتظار ارباب
الحاجات وان لا يستغرق اوقاته فى استيفاء اللذات الجسمانية
وان يكون مدار اموره على الرفق والمداراة لا على العنف
والقهر فلا يطلب الحق فى مخالفة الحق بل يسمع كلمة الحق
والنصايح وان يفوض معظمات الامور على اهلها قال الله تعالى
ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها وان يكون
سياسته على وجه لا يكون مجال الظلم لواحد من الظلمة عليه
فكل ما يقع فى المملكة يسأل عنه يوم القيمة لكونه بواسطة
قصور سياسته فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
اذ بالسياسة ضبط المملكة فلا بد ان يراعى بانواع
التدبير ما يكون منه الحرف بسبب انتظام المصالح الخمسة
الضرورية وهى مصلحة العقل والدين والنسل والمال
والروح وهذا انما يكون من يد وزيره فلهذا لا بد للسلطان
من وزير متدين عاقل فان الوزير اذا صلح صلح الملك
قال الله تعالى حكاية عن موسى صلوات الله على نبينا وعليه

واجعل لى وزيرا من اهلى هارون اخى اشدد به ازرى واشركه
فى امرى الآية وقال عليه السلام اذا اراد الله بامير خيرا جعل له
وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه قيل الامين من الوزراء
من صحب الملوك بالصدق فى المناصحة ومن يصحبهم بالمداراة
والمداهنة فليس بامين لانه هو المحرم وهو الوكيل للامور فقط
وقيل انما يقوم الدنيا باربعة بعدل الملوك وبعلم العلماء وعبادة
الصلحاء وسخاوة الاغنياء قال الامام العادل لا يرد دعوته روى
عن النبى صلى الله عليه وسلم ثلث لا يرد دعوتهم الامام العادل
احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس منى مجلسا
يوم القيمة امام عادل اذ السلطنة والخلافة اذا كانت مع
العدل تكون من افضل العبادات وكيف لا يكون الخليفة كذلك
فاظنك بمن يكون ظل الله فى ارضه ونائب رسوله والله
يرزق من يشاء ويهدى اليه من ينيب الباب السابع
فى الجهاد معهم قال فى الفتاوى الظهيرية فى التحريض على الجهاد
روى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهم قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد
جعل الله عز وجل ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة

وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل معلقة في ظل العرش فلما وجدوا
طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا
انا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عند الحرب
فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال نظر الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما لي اراك مهتما قلت يا رسول الله
قتل ابي وترك دينا وعيالا فقال الا اخبرك ما كلم الله احدا قط
الا وراء حجاب وانه كلم اباك كفاحا اي مشافهة فقال
تمن يا عبد الله قال اتمنى ان احيى لاقاتل في سبيلك فاقتل
ثانيا فقال الله تبارك وتعالى قد سبق مني القضاء انهم
اليها لا يرجعون ولكني ابلغك الدرجة التي لاجلها تتمنى ما تمنى
قال يا رب فابلغ من ورائي فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله الآية وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لوددت ان اقاتل في سبيل الله فاقتل ثم احيى فاقتل ثم
احيى ثم اقتل وعن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه قال قال

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يموت وله عند الله خير
فيتمنى الرجوع الى الدنيا وله الدنيا بما فيها الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع
ليستشهد ثانيا من عظم ما ينال من الدرجة وعن الحسن رحمه الله
ان النبي عليه السلام بعث جيشا وفيهم ابن رواحة فغدا الجيش
واقام ابن رواحة ليشهد الصلوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما قضى صلوته رآه فقال يا ابن رواحة الم تكن في الجيش قال بلى
ولكني احببت ان اشهد معك الصلوة وقد علمت منزلهم فاروح
فادركهم فقال والذي نفس محمد بيده لو انفقت ما في الارض جميعا
ما ادركت فضل غدوتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس
رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله عز وجل كلما سمع هيعة
طار اليها والهيعة الصيحة وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا مات شهيدا وعن مجاهد
قال اردت الجهاد فاخذ ابن عون بركابي فابيت ذلك عليه
فقال انكره لي الاجر فقد بلغنا ان خادم المجاهدين في اهل الدنيا
بمنزلة جبريل في اهل السماء قال في التاتارخانية وفي الخانية
الحراسة بالليل عند الحاجة اليها افضل من صلوة الليل ح قال ايضا
قال ابو الحسن الكرخي في مختصره ولا ينبغي ان يخلى ثغر من ثغور

المسلمين ممن يقاوم العدو فى قتالهم وفى شرح الطحاوى وعلى
الامام ان يحضر ثغور المسلمين ويقعد جيوشا وجنودا على باب
الثغور ليمنعوا الكفار عن التصرف فى بلاد المسلمين وان ضعف
اهل ثغر من الثغور عن المقاومة مع العدو وخيف عليهم فعلى من
ورائهم من المسلمين لان ينفروا اليهم الاقرب فالاقرب يمدونهم
بالكراع والسلاح ليكون الجهاد ابدا قائما والدعاء الى الله تعالى
والى دينه متصلا والجهاد فرض قائم الى قيام الساعة وقال ايضا
وفى الظهيرية وعن عبد الله بن ابى اوفى ان النبى صلى الله عليه وسلم
كان اذا لقى العدو وقبل ان يقابلهم قال اللهم انا عبادك وهم عبادك
نواصينا ونواصيهم بيدك اللهم اخذلهم وانصرنا عليهم وقال
ايضا وفى شرح الطحاوى وينبغى للامام اذا غزا ان يدعوهم الى
الاسلام او الامان فان قبلوا ترك بابهم ويجعل اراضيهم عشرية
ديارهم بالتحول من دارهم الى دار الاسلام لان المقام للمسلم
فى دار الحرب مكروه فان امورهم كامور اعراب المسلمين
ليس لهم فى الفئ ولا فى الغنيمة ولا فى الخمس ولا فى بيت المال
نصيب هذا اذا كان مكانهم فى دار الحرب ولو كان متصلا
بدار الحرب لا يؤمرون بالتحول هذا اذا قبلوا من الامام وان ابوا

دعاهم

قال فى فتاوى الولوالجية الشيخ اذا كان ذا رأى ومشورة يكره ان يترك ويفادى لان الاستعانة برأيه فوق القتال وكذا الراهب
وان كان ملك القوم غلاما صغيرا او امرأة وفى قتله كسر شوكتهم فلا بأس بذلك لدفع شرهم واذا قاتلت المرأة مع المشركين
واخبرها المسلمون وهم يقدرون على اخراجها فلا بأس بقتلها لوجود الخراب منها قال ابو حنيفة رحمه الله لا بأس اذا خاف
المسلمون ان يقتلهم المشركون ان يرجعوا الى بعض امصار المسلمين او بعض جيوشهم ليستعينوا بهم على دفع الكفرة وليس
ذلك بفرار من الزحف والمعتبر فى ذلك غالب الظن وينبغى ان يولى الامام على الجيش البصير بوجوه الحرب المتانى
فى تدبيرها ليحصل المقصود فاذا امرهم الامير بشئ لا يدرون اينتفعون به ام لا فينبغى ان يطيعوه لانه لو لم يأمر عليهم وان امرهم
بما هو معصية لم يجز اتباعه لانه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق ولا بأس للامام ان يأخذ من اموال الناس عند الحاجة
الى تجهيز الجيش اذا لم يكن فى بيت المال مال
هو الصحيح لان الامام مأمور بالنظر الى المسلمين ومن النظر اليه
ان يتحكم على ارباب الاموال بقدر ما يحتاج
الجيش والدليل عليه ما روى عن معاوية
رضى الله عنه انه ضرب بعثا على اهل الكوفة
وضرب البعث التحكم عليهم فى اموالهم بقدر
الحاجة لتجهيز الجيش هكذا ذكر الصدر الشهيد
فى اول السير انتهى منه

ابوا

دعاهم الى عطاء الجزية فاذا قبلوا الجزية صاروا اهل ذمة وان
استعان الله على قتالهم ويقاتلهم وقال ايضا فى الفصل الثالث
فى بيان من يجوز قتله من المشركين ومن لا يجوز قال ابو يوسف
سألت ابا حنيفة رحمه الله عن قتل النساء والصبيان والشيخ
الكبير الذى لا يطيق القتال والذين بهم زمانة لا يطيقون القتال
فنهى عن ذلك وكرهه وهذا الجواب فى المرأة اذا كانت
لا تقاتل حقيقة فاما اذا كانت تقاتل حقيقة او كانت ذا رأى
تقاتل برأيها او كانت تحث الناس للقتال بمالها تقتل وكذلك
اذا كانت ملكة تقاتل بقوة قومها وهذا الجواب فى الصبيان
اذا كانوا يصلحون للقتال لا يقدرون عند التقاء الصفين
ولا يكونون رؤس الجيش انتهى واما بيان احكام اهل الذمة
فروى عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا الكتاب لعبد الله
عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا انكم لما قدمتم علينا
سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واهل ملتنا ان لا نحدث
فى مدائننا ولا فيما حولها ديرا ولا كنيسة ولا قبلة ولا صومعة
ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان محى منها فى خطط المسلمين

في ليل ولا نهار وان نوسّع ابوابها للمارّة وابن السبيل وشرطنا لكم
على انفسنا ان ننزل من مرّ بنا من المسلمين ثلاث ليال نُطْعِمُهم
ولا نؤوي في كنايسنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتم غيشا للمسلمين
ولا نعلّم اولادنا القرآن ولا نُظْهِر شرعنا ولا ندعوا اليه احدا
ولا نمنع احداً من قرابتنا الدخول في الاسلام ان اراده وان نوقّر
المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبّه بهم
في شئ من لباسهم في قلنسوة ولا عمامةٍ ولا نعلين ولا نفرّق
بشعر ولا نتكلّم بكلامهم ولا نتكنّى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد
بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش
على خواتمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجزّ مقادم رؤسنا
ونلزم زيّنا حيث ماكنّا وان نشدّ الزنانير على اوساطنا
وان لا نظهر صليباتنا وكُتُبنا في طريق من طرق المسلمين ولا اسواقهم
ولا نضرب بنواقيسنا في كنايسنا الّا ضربا خفيفا ولا نرفع
اصواتنا بالقراءة في كنايسنا ولا في شئ من حضرة المسلمين
ولا نخرج شعانيننا وباعوثنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر
النيران في شئ من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم
بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ماجرى عليه سهام المسلمين ولا نطّلع

[illegible]

وشعب جبل باليمن وهو ذو شعبين نزل
حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا
اليه فمن كان بالكوفة منهم يقال لهم
شعبيون منهم عامر بن شراحيل
الشعبي وعداده في همدان ومن كان
منهم باليمن يقال لهم آل ذي شعبين
كذا في الصحاح

وفي القاموس وشعبان قبيلة
وموضع بالشام وشهر معلوم

على

على منازلهم فلمّا اتيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالكتاب
زاد فيه ولا نضرب باحد من المسلمين شرطنا ذلك على انفسنا
واهل ملّتنا وقبِلْنا عليها الامان فان نحن خالفنا في شئ مما شرطنا لكم
وضمنّاه على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حلّ منّا ما يحلّ من اهل المعاندة
والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه انْ امضِ ما سألوه وزِدْ فيه
حرفين اشترطهما عليهم مع ما شرطوه على انفسهم ان لا يشتروا
شيئاً من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلماً عمداً فقد خلع
عهده وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا
اليهود والنصارى فانهم اهل رشاءٍ ولا يحلّ الرشاء ولمّا استقدم
عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري من البصرة
وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد واستأذن
لكاتبه وكان نصرانيّا فقال عمر رضي الله عنه قاتلك الله
وضرب فخذه ولّيت ذميّا على المسلمين اما سمعت الله تعالى
يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
بعضهم اولياء بعض ومن يتولّهم منكم فانه منهم الا اتخذت
حنيفيا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم
اذا اهانهم الله ولا اعزهم اذا اذلّهم الله ولا ادنيهم اذا اقصاهم الله

وقال عمران اسيد اتى كتاب عمر بن عبد العزيز الى محمد بن المنتشر
اما بعد فانه قد بلغني ان في عملك رجلا يقال له حسان بن برزى
على غير دين الاسلام والله تعالى يقول يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا
الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم
والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا اتاك كتابي
فادع حسان بن برزى الى الاسلام فان اسلم فهو منا ونحن منه
وان ابى فلا تستعن به ولا باحد من غير اهل الاسلام على شئ
من اعمال المسلمين فقراء عليه الكتاب فاسلم وعلّمه الطهارة
والصلوة فمن لم ينقض الذمي العهد بمخالفة شئ من الشروط المشروطة
عليه يردّ الى مأمنه ولما خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر تبعه
رجل من المشركين فلحقه فقال اني اريد ان اتبعك واصيب معك
قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن نستعين بمشرك
ثم لحقه عند الشجرة ففرح به اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت له
قوة وجلد فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال تؤمن
بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه على ظهر
البيداء فقال له مثل ذلك قال تؤمن بالله واليوم الآخر قال نعم
فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بمشرك وقد خرج

ليقاتل

ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف
استعمالهم على رقاب المسلمين واعلم ان لكل طائفة نوعا
من التدبير وصنفا من الحيلة وضربا من المكيدة وجنسا من اللقاء
والكرّ والفرّ وتعبية المواكب وحمل بعضهم على بعض فقال الله
جلّ سلطانه وعظم برهانه واعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم وقوله
جلّ شانه ما استطعتم يشتمل على ما في مقدور البشر من العدة
والعدة والآلة والحيلة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة
فمرّ على اناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة
الرمي وقال في الظهيرية ويكره للغزاة اتخاذ الاجراس في دار
الحرب لما روي عن كعب رضي الله عنه انه قال ما استنفر جيش
من المسلمين الا بعث الله ملكا ينادي في ظهورهم اللهم اجعل
ظهورها شديدة وحوافرها حديدة الا ذات الجرس وكان
بعض الصحابة اذا اراد الغزو لا يقص اظفاره ويتركها عدة
ويراها قوة فاول ذلك ان يقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا
من صدقة او صيام وردّ مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص
وامر بمعروف وتغيير منكر وامثال ذلك فقد كان عمر بن الخطاب

يأمر بذلك ويقول انما تقاتلون باعمالكم وروي ان بريداً ورد عليه
بفتح للمسلمين فقال له عمر رضي الله عنه اي وقت لقيتم العدو
قال غدوة قال ومتى انهزم قال عند الزوال فقال عمر رضي الله عنه
انا لله وانا اليه راجعون وقام الشرك للايمان من غدوة الى الزوال
لقد احدثتم بعدي حدثاً او احدثت بعدكم حدثاً والشان كل الشان
في استجازة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الالوية فقد قيل اسد
يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد والحرب خدعة
عند جميع العقلاء قال في الفتاوى الظهيرية وحكي عن نصير بن سيار
مؤدب البرامكة الذي اخرجه ابو مسلم من مرو انه قال اجتمع عظماء
العجم على ان من كان صاحب جيش ينبغي ان يكون منه عشر خصال من خصال
البهائم شجاعة كشجاعة الديك وتحنن كتحنن الدجاجة يعني الشفقة
على رعيته وقلب كقلب الاسد وغارة كغارة الذئب وحملة كحملة
الخنزير وصبر كصبر الكلب على الجراح وحرص كحرص الكركي وروغان
كروغان الثعلب يعني الحيلة والمكر وحذر كحذر الغراب وسمن كسمن الدابة
التي لا ترى مهزولة ابدا واسمها بالفارسية برزخ انتهى قال المهلب
لما كتب اليه الحجاج بعجلة في حرب ان من البلاء ان يكون الرأي
عند من يملكه لا عند من يبصره وقال المختار ليزيد بن انس حين ولاه

وهي دويبة تكون بخوارزم تسمن على التعب والشقاء

وامره

وامره بقتال الق عدوك برأي غير مستبد وبحزم غير متكل
ولا تركنن الى الدولة فربما انقلبت واستشر من لا يطمع
في عملك ولا يشير بتقليلك واستخر الله تعالى قبل اقدامك
توفق وقال بعض العلماء قد جمع الله لنا ادب الحرب في قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين واوصى اكثم قوما في حرب
ارادوها فقال اقلوا الخلاف على امرائكم واعلموا ان كثرة الصياح ح
فشل ولا جماعة لمن اختلفت وتثبتوا فان احزم الفريقين
الركين واعلم يا من ارشدك الله تعالى ان الله تعالى قد اوضح لنا
في كتابه الكريم علة التثبت والصبر وعلة الهزائم والفرار
فقال عز وجل يا ايها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم يعني ان تنصروا دين الله ورسوله واما
الفرار فبغلبة المعاصي قال الله تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى
الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم
اي بشوم ذنوبهم وتركهم المركز الذي رسمه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذلك انه عليه الصلوة والسلام رتب الرماة يوم احد على ثلمة

الجبل ليمنعوا قريشا ان يخرجوا عليهم مكمنا من ذلك الموضع ثم التقى
المسلمون والكفار فانهزم الكفار فقال الرماة لا تفوتنا الغنائم
فاقبلوا على الغنائم وتركوا المركز الاول فخرجت خيل المشركين
من هنالك واقبلوا على المسلمين فكانت مقتلة احد واعلم
ان للكثرة الرعب وللقلة النصر قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الارض بما رحبت
ثم وليتم مدبرين فالكثرة ابدا يصحبها الاعجاب وخير الاصحاب
اربعة وخير السرايا اربع مائة وخير الجيوش اربعة الاف ولن يغلب
جيش يبلغون اثني عشر الفا من قلة اذا اجتمعت كلمتهم
وروي ان واحدا من الملوك امر ان يبسط بساط في الارض
ثم جعل في وسطه دينارا ثم قال لوجوه رجاله من اخذ منكم هذا الدينار
ولم يطأ البساط علمت انه يصلح للملك فوقفوا حوله ولا يصل
احد اليه فلما اعياهم ذلك طوى ناحية البساط من عنده
وامر كل واحد منهم ان يطوي ما يليه حتى طوى البساط فمدوا ايديهم
فلحقوا الدينار فح قال لهم اذا اردتم فتح المدينة فخذوا ما حولها
من الحصون الصغار والمدن والضياع والقرى حتى اذا ضعفت
اخذتموها فاول الظفر الاجتماع واول الخذلان الافتراق

وعماد

وعماد الجماعة السمع والطاعة قيل من استضعف عدوه اغتر
ومن اغتر ظفر به عدوه فمن اعظم المكائد في الحرب اذكاء العيون
واستطلاع الاخبار وافشاء الغلبة واظهار السرور واماتة
الحلف والاحتراس من العدو وان لا يخرج هارب الى قتال
ولا يضيق امان على مستأمن فاذا عرفت هذا فاعلم ان المتصرف
الحقيقي هو الله تعالى فالنصر منه فضل واحسان واما الخذلان فبشؤم
معصيتنا قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم
فمن ذا الذي ينصركم الآية وقال تعالى ان تنصروا الله ينصركم
ويثبت اقدامكم فاللازم على المؤمن التوبة والرجوع الى الله
الكريم المتعال والدعاء والتضرع والابتهال في كل الاحوال
فاذا اكرمه ربه من فضله بنعمة النصر فله الشكر واذا مسه الضر
والسوء فلا يقنط من رحمته بل يرجو من فضله تعالى قال الله تعالى
امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء الآية وقال جل شأنه
ان مع العسر يسرا وقال الحسن رضي الله عنه لما نزلت هذه الآية
قال النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا فقد جاءكم اليسر لن يغلب عسر
يسرين وقال ابن مسعود رضي الله عنه والذي نفسي بيده
لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر لن يغلب عسر يسرين ومن عادة

الله تعالى

بمحض فضله الفرج بعد الشدة فلا تكن من القانطين وهو الذي
ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد

الباب الثامن في اداء الصدقات اليهم

اعلم ارشدك الله تعالى
وايانا ان اول من اتخذ الدواوين واجرى العطية على رأي
عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يفضل اهل السابقة والذين
يلونهم وكان ابو بكر رضي الله عنه يسوي بين الناس في العطاء
ولا يفضل اهل السابقة ويقول انما عملوا لله واجورهم على الله
وانما هذا المال عرض حاضر يأكله البر والفاجر وليس ثمنا لاعمالهم
وكان عمر رضي الله عنه يقول لا اجعل من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمن قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقدر عمر رضي الله عنه
الارزاق في ولاية عمار فاجرى عمارا ستمائة درهم مع عطائه
لولايته وكتابه ومؤنة من كان معه في كل شيء لما بعثه وبعث معه
عثمان بن حنيف وابن مسعود الى العراق واجرى عليه في كل يوم
نصف شاة ورأسها وجلدها واكارعها ونصف جريب
كل يوم واجرى على عثمان بن حنيف ربع شاة وخمسة دراهم
كل يوم مع عطائه وكان عطاؤه خمسة آلاف درهم واجرى
على عبد الله بن مسعود مائة درهم في كل شهر وعشرة اجربة

واما

وانما فضل عمارا عليهم لان عمارا كان على الصلات وقال مالك
وكان عمر لا يفرض لصغير يرضع فاذا فطم فرض له فمر من الليل وصبي يبكي
يبغي الرضاع وامه لا ترضعه فقال عمر ارضعيه قالت اذاً لا يفرض له
عمر قال بل يفرض له ثم فرض عمر رضي الله عنه بعد ذلك للمولود
مائة درهم في السنة وقال ابن حبيب وفرض عمر رضي الله عنه
للعيالات لكل عيال من ذكر وانثى جريبين من بر في كل شهر
وقسطين من زيت والجريب قفيز بالقرطبي والقسط قدر ثمن
ربع الزيت بالقرطبي وقال الحسن وقدم على عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وفد من اهل البصرة من قبل ابي موسى الاشعري قال
فكنا ندخل عليه وله في كل يوم خبز ثلاث فربما وافقناها مأدومة
بسمن واحيانا بالزيت واحيانا باللبن وربما وافقنا القديد
اليابس قد دق ثم اغلي عليه بماء وربما وافقنا اللحم الغريض وهو قليل
فقال له يوما اني ارى والله بعد ايديكم وكراهيتكم لطعامي واني
لو شئت لكنت اطيبكم طعاما وارفقكم عيشا ولكني سمعت الله تعالى
يقول في كتابه وعير قوما بامر فعلوه فقال تعالى اذهبتم طيباتكم في حياتكم
الدنيا واستمتعتم بها فكلمنا ابا موسى فقال لو كلمتم امير المؤمنين
لفرض لكم من بيت المال طعاما تاكلونه فكلمناه فقال يا معشر

الامرا

اما ترضون لانفسكم ما ارضاه لنفسي فقلنا يا امير المومنين ان المدينة
ارض العيش بها شديد ولا نرى طعامك يغنينا ولا يوكل طعامك
وانا بارض ذات ريف وان اميرنا يغنينا وان طعامه يوكل
فنظر ساعة ثم رفع رأسه وقال قد فرضت لكم من بيت المال شا تين
وجريبين فاذا كان بالغداة فضع احدى الشاتين على احدى
الجريبين وكل انت واصحابك ثم ادع بشراب ثم اسق الذي
عن شمالك ثم قم الى حاجتك واذا كان المساء فضع الشاة
الغابرة على الجريب الآخر وكل انت واصحابك الا وان الناس
في بيوتهم واطعموا عيالهم وانه ما ارى رستاقا يوخذ منه كل يوم
شاتان وجريبان الا يسرع ان في خرابه وكان عمر رضي الله عنه
قد اطعم جريبين بالخل والزيت لثلاثين رجلا فكفاهم ممن كان
في الديوان وقال الربيع ابن زياد الحارثي كنت عاملا لابي موسى
الاشعري على البحرين فكتب اليه عمر رضي الله عنه يامره بالقدوم عليه ابن الخطاب
هو وعماله وان يستخلفوا جميعا فلما قدمت المدينة لبست جبة
صوف ولففت عمامتي على رأسي على غير استواء فدخلنا على عمر
وصففنا بين يديه فصعد فينا وصوب فلم تأخذ عينه غيري
فدعاني فقال من انت قلت الربيع ابن زياد الحارثي قال وما تتولى

من

من اعمالنا قلت البحرين قال وكم ترزق قلت الفا قال كثير فما تصنع بها
قلت اتقوت ببعضها واعود على اقارب لي فما فضل عنهم فعلى فقراء
المسلمين قال لا بأس ارجع الى موضعك فرجعت الى موضعي من الصف
وصعد فينا وصوب فلم تقع عينه الا علي فدعاني فقال لي كم سنك
قلت خمس واربعون قال الآن حين استحكمت ثم دعا بالطعام
واصحابي حديث عهدهم بلين العيش وقد تجوعت له فاتي بخبز واعضاء بعير
فجعل اصحابي يعافون وجعلت آكل فاجيد واما انظر اليه يلحظني
من بينهم ثم سبقت مني كلمة تمنيت اني سخت في الارض ولا اقولها
فقلت يا امير المومنين ان الناس يحتاجون الى صلاحك فلو عمدت
الى طعام الين من هذا فزجرني ثم قال كيف قلت قلت يا امير المومنين
لو امرت بقوتك من الطحين ان يخبز لك قبل ارادتك اياه ويطبخ لك
اللحم كذلك فيوتى بالخبز لينا وباللحم غريضا فسكن غضبه ثم قال اههنا
غرت قلت نعم قال يا ربيع انا لو نشاء لملأنا هذه الرحاب
من صلائكم ولكني رأيت الله تعالى عاب على قوم في شهواتهم فقال
عز من قائل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ثم امر
ابا موسى باقراري على عملي وان يستبدل باصحابي وقال مالك
كان عمر رضي الله عنه يشاطر العمال فياخذ نصف اموالهم وشاطر

ابا هريرة دواب تناتجت وتجارات تداركت وانما شاطرهم
حين ظهرت لهم اموال بعد الولاية لم تكن تعرف لهم وشاطر
سعد بن ابي وقاص حين قدم من الكوفة كانه رأى ان ما اصاب
العامل من غير رشوة وان كان حلالا فلا يستحق ذلك لان من
لمن له الامرة قوة على ان ينال من الحلال ما لا ينال غيره فجعله
كالمضارب للمسلمين ولما دفع ابو موسى الاشعري مالا من بيت المال
لعبد الله وعبيد الله ابني عمر بن الخطاب رضي الله عنهم بالبصرة
اشتريا به بضاعة فربحا بالمدينة فاراد عمر ان يأخذ جميع
الربح فراجعه عبد الله فحكم بينهم بنصف الربح فاخذ النصف الربح واخذ
عمر نصف الربح لبيت المال وكتب عمر بن عبد العزيز الى عماله
اما بعد انما هلك من كان قبلكم بمنعهم الحق حتى يشترى وبسطهم
الباطل حتى يفتدى الملك بالدين يقوى والدين بالملك
يبقى وقال عتاب بن اسيد والله ما اصبت في عملي الذي
ولاني رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ثوبين معقدين كسوتهما
مولاي وروى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه استعمل
ابا مسعود الانصاري على السواد فرجع الى داره وقد امتلأت
قال ما هؤلاء قالوا كذلك يصنعون بالرجل اذا استعمل قال

كل

كل هؤلاء يريد ان يأكل في امارتي فرجع الى علي رضي الله عنه وقال
لا حاجة لي في العمل وكان عمر رضي الله عنه يأمر اذا قدم عليه العمال ان يدخلوا
نهارا ولا يدخلوا ليلا كيلا يحجبون شيئا من الاموال اعلم ان منزلة
العمال من الوالي منزلة السلاح من المقاتل فاجهد جهدك في صالح
العمال واذا فقد الوالي عمال الصدق كان كفقد المقاتل السلاح يوم الحرب
ويحتاج الى طبقات الرجال فكما يحتاج الحرب الى اصناف العدة والآلات
التي لا يسد بعضها مكان بعض آخر كذلك الرجال للملك كالاداة للصناع
لا يسد بعضهم مكان بعض فمنهم للرأي والمشورة ومنهم لادارة الحرب
ومنهم لمباشرة الحرب ومنهم لجمع الاموال ومنهم لحفظها ومنهم للحجابة
ومنهم للكتابة ومنهم للفخر والجمال والمباهاة والذكر ومنهم للدعاء
والوقار ومنهم للعلم والفتيا وحفظ اساس الملة فلا يقوم للملك
ملك ما لم يجمع هذه الطبقات فاذا عرفت بعض ما يلزمك من عمال
الصدق يلزمك ان تعرف المصارف اجمالا قال في الفتاوى الظهيرية
ثم اعلم بان جميع ما في بيت المال اربعة اقسام الصدقات وما يضم اليها
تصرف الى ما قال الله تعالى انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها الآية
وسهم المؤلفة قلوبهم ساقط اليوم بحديث ابي بكر الصديق رضي الله عنه
والمؤلفة قلوبهم كانوا رؤساء القبائل منهم ابو سفيان بن حرب

والاقرع بن حابس وعلقمة بن علاء وعيينة بن الحصين الفزاري
وعباس بن مروان السلمي كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يعطيهم ليؤلفهم على الاسلام والثاني الغنائم وتصرف من الحاصل
الى اليتامى والمساكين وابن السبيل والثالث الجزية والخراج
ومال بني نجران وبني تغلب وما اخذه العاشر من تجار اهل الحرب
او اهل الذمة يصرف الى ما فيه صلاح دار الاسلام والمسلمين نحو سد
الثغور والمقاتلة وامرائهم وعطياتهم وسلاحهم وكراعهم ليقاتلوا
اعداء الدين وليفتحوا البلاد ويصرف الى مرمة الطريق اي اصلاح
الطريق برفع الاحجار وغير ذلك والى اصلاح القناطر وكري
الانهار العظام التي فيها مصالح المسلمين والى ارزاق الولاة
والقضاة والمحتسبين والمفتيين والمعلمين والرابع ما اخذ من تركة
الميت اذا مات بلا وارث والباقي من فرض الزوج والزوجة
اذا لم يترك سواه يصرف الى نفقة المرضى وادويتهم وعلاجهم
اذا كانوا فقراء والى نفقة اللقيط وعقل جنايته والى نفقة من
هو عاجز عن الكسب وليس له من يقضي بنفقته عليه وابن السبيل
هم القوم المجتازون في مصر وقد قطع بهم وفي سبيل الله قيل
طلبة العلم قال محمد رحمه الله الاستقراض لابن السبيل خير من قبول

الصدقة

الصدقة ولو كان للانسان كسوة شتاء ولا يحتاج اليها في الصيف
لا يحل له الزكوة عند ابي يوسف فعلى قياس هذا لا يحل له الزكوة
اذا كان له طعام سنة يبلغ نصابا وهذا خلاف المشهور انتهى
وقال في التاتارخانية وفي المضمرات ثم المؤلفة قلوبهم ثلثة اصناف
صنف كان يؤلفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا او ليسلم
قومهم باسلامهم وصنف منهم اسلموا فيزيد تقررهم وصنف منهم يعطيهم
لدفع شرهم مثل عباس بن مروان وعلقمة بن علابة واما
الرقاب فالمراد منها المكاتبون وقال ايضا في التاتارخانية يجب
ان يعلم بان العاشر من نصبه الامام على الطريق ليأخذ الصدقات
من التجار فيأمن بمقامه في الطريق من شر اللصوص وقد صح
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نصب عشارا وكذلك الخلفاء
بعده وقال في الفصل السابع عشر في المتفرقات عن ابي حنيفة
رضي الله عنه في الحربي المستأمن اذا مر على العاشر اخذ منه العشر
من جميع ما معه كان للتجارة او لم يكن وروى عن ابن ابي مالك
عن ابي يوسف رحمه الله اذا كان ما معه للتجارة وابن سماعة عن محمد رحمه الله
في نوادره رجل اشترى عبداً بمائة درهم وقيمة العبد مائتا درهم
وهو يريد به التجارة فلما كان في آخر الحول صادفت قيمته ثلثمائة ثم

استحق نصف العبد فعلى المشتري زكوة مائتي درهم انتهى •
واما عشر الاراضي عشرية كانت او خراجية فيجب على بحسبه
في كل ما اخرجته الارض قل او كثر الا الحطب والقصب والحشيش والتبن
الا اذا اتخذ الارض مقصبة وكل بلدة اسلم اهلها طوعا والمسلم
اذا احيا ارضا ميتة او فتحها الاسلام وقسمها بين الغانمين
فهي عشرية وكل بلدة فتحها الامام ومن على اهلها فهي خراجية
والذمي اذا اتخذ داره بستانا فهي خراجية والمسلم اذا احيى
ارضا ميتة تسقى من عين استخرجت بمال بيت المال
فهي خراجية اعلم ان سيرة السلطان في استجباء الخراج ايام
جباة الاموال بالرفق لان المال قوة السلطان وعمارة المملكة
ولقاحه الامن وسياجه العدل وهو حصن السلطان ومادة
الملك والمال اقوى العدد على العدو وهو ذخيرة الملك
وعمارة المملكة وحياة الارض ومن حقه ان يؤخذ من حق
ويوضع في حق ويمنع عن سرف ولا يؤخذ من الرعية الا ما فضل
من معايشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها
نفعها ويحرص كل الحرص على عمارة الارضين فبرفق جباة الاموال
يحصل عمارة الارضين ولما عزل عثمان رضي الله عنه عمرو بن العاص

اللقح الفحل الناقة القاحا احبلها
فلقحت بالولد بالبناء للمفعول
على اصل الفعل ويقال ايضا فلقحت
لقحا من باب تعب في المطاوعة
فهي لاقح والملاقح الاناث الحوامل
الواحدة ملقحة اسم مفعول من القحها
والاسم اللقاح من المصباح
المنير

٢ فلقحت

عن مصر

عن مصر استعمل عليها ابن ابي سرح فحمل من المال اكثر مما كان
يحمله عمرو فقال عثمان يا عمرو اشعرت ان اللقاح درت
فقال عمرو وذلك لانكم اعجفتم اولادها وقال زياد اعينوا الى
الزارعين فانكم لن تزالوا سمانا ما سمنوا وفي منشور الحكم من جاوز
الحلب حلب الدم فمن جمع المال اكثر مما يلزمه على الرعية فهو كطائر
ينتف ريشه ويمص اصولها فيأكل ما نعم منها فلذله ذلك واعجبه
وخصب جسمه على طيبها وقوته على عدوه فلم يزل كذلك حتى
خفت ريشه وسقط على الارض فاضطرب من الهوام والحشرات
قيل كانت ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الماء يجري من تحت
منازلها واقبيتها فيحبسوه كيف شاؤا وذلك قول فرعون اليس لي
ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون وكان ملك مصر
عظيما لم يكن في الارض ملك اعظم منه وكان الجنان بحافتي
النيل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك وكانت
ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا في جسورها
وخلجانها والزروع ما بين الجبلين من اولها الى آخرها وذلك
قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم
ونعمة كانوا فيها فاكهين وقال عبد الله بن عمرو واستعمل فرعون هامان

على حفر خليج معروف فاخذ فى حفره وتدبيره فجعل اهل القرى
يسألونه ان يجرى الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا فكان
يذهب به من قرية الى قرية من الشرق الى الغرب ومن الشمال
الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس بمصر خليجا اكثر عطوفا
منه فاجتمع له فى ذلك اموال عظيمة فحملها الى فرعون واخبره
بالخبر فقال فرعون انه ينبغى للسيد ان يعطف على عباده
ويفيض عليهم من خزائنه وذخايره ولا يرغب فيما بايديهم
رد على اهل القرى ما اخذت منهم فرد عليهم اموالهم
فهذه سيرة من لا يخاف عذاب الله تعالى ولا يؤمن
بيوم الحساب فكيف يجب ان يكون سيرة من يقول
لا اله الا الله ويؤمن بالحساب والعقاب والثواب
فاذا عرفت هذا تعرف انه اذا ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارض فيتركونها فتخرب الارض وتهرب الارزاق
فتضعف العمارة فيضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد
واذا ضعف الجند طمع الاعداء فاللازم للسلطان ان يكون
بما يبقى فى ايدى رعيته افرح منه بما يؤخذ من الرعية فلا يقل
مع الصلاح شئ ولا يبقى مع الفساد شئ وصيانة القليل

تربية للجليل **واما المسلك الثانى** الذى هو التأويل بعلماء الدين
فنصيحتهم قبول ما رووه وتقليدهم فى الاحكام وحسن
الظن بهم وهو على بابين **الباب الاول** فى قبول ما رووه
وهو على فصول الفصل الاول فى بيان طبقات العلوم والعلماء
اعلم ان اعظم الاشياء رتبة فى حق المؤمن السعادة الابدية
وافضل الاشياء ما هو وسيلة اليها ولا يتوصل الى ذلك
الا بالعلم والعمل لا يتوصل الى العمل ايضا الا بالعلم بكيفية العمل
فاصل السعادة فى الدنيا والاخرى عند كل عاقل هو العلم فالعلم
مطلوب لذاته فضيلة فى ذاته على الاطلاق من غير اضافة
فانه وصف كمال الله تعالى شانه وبه شرف الملايكة والانبياء
عليهم السلام فهو اذا افضل من الاعمال وكيف لا ويعرف فضيلة
الشئ بشرف ثمرته ومعلوم ان ثمرة العلم التقرب من رب
العالمين والالتحاق بافق الملايكة فى العقبى ولزوم الاحترام
فى الطبايع السليمة المؤمنة ونفوذ الحكم بدلالة الشرع على
الملوك والامراء العظام والوزراء الفخام وكيف لا والبس الله سبحانه وتعالى
عقول العلماء بانه خلعة رداء لم يكنه واحدة فظهر بهذا فضيلة
التعلم فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل

ثم تختلف العلوم وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوت نتائجها
مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين
الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة
الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن اتخذها مستقرا
وموطنا وليس ينتظم امر الدنيا الا باعمال الآدميين والاصول
اعمالهم التي لا قوام للعالم دونها اربعة الزراعة وهي للمطعم
والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والرابع وهو
اشرف الاصول السياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون
على اسباب المعيشة وضبطها والسياسة في استصلاح
الخلق وارشادهم الى الطريق المنجي في الدنيا والآخرة على
اربع طبقات الاولى وهي العليا سياسة الانبياء صلوات الله عليهم
وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم
والثانية سياسة الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على
العامة والخاصة جميعا على ظاهرهم والثالثة سياسة العلماء بالله سبحانه وتعالى
وبدينه الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على
باطن الخاصة ولا يرتفع فهم العامة الى الاستفادة منهم ولا ينتهي
قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والرابعة

سياسة

سياسة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام واشرف هذه السياسات
الاربع بعد النبوة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الاخلاق
المذمومة المهلكة وتعليمهم وارشادهم الى الاخلاق المحمودة
وفي التفسير الكبير قال بعض المحققين العلماء ثلثة عالم بالله
غير عالم بامر الله وعالم بامر الله غير عالم بالله وعالم بالله
وبامر الله اما الاول فهو عبد قد استولت المعرفة الالهية
على قلبه فصار مشغولا مستغرقا بمشاهدة نور الجلال وصفات
الكبرياء فلا يتفرغ لتعلم علم الاحكام الا ما بد منه الثاني وهو الذي
يكون عالما بامر الله وغير عالم بالله وهم الذين عرفوا الحلال
والحرام وحقايق الاحكام لكنه لا يعرف اسرار جلال الله تعالى
واما العالم بالله وباحكام الله فهو جالس على الحد المشترك
بين عالم المعقولات وعالم المحسوسات فهو تارة مع الله تعالى
بالحب له وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة فاذا رجع من ربه
الى الخلق صار معهم كواحد منهم كانه لا يعرف الله واذا خلا بربه
مشتغلا بذكره وخدمته فكانه لا يعرف الخلق فهذا سبيل
المرسلين والصديقين وهذا هو المراد بقوله عليه الصلوة والسلام
سائل العلماء وخالط الحكماء وجالس الكبراء فالمراد من قوله

عليه الصلوة والسلام سائل العلماء اى العلماء بامر الله غير العالمين بالله
فامر بمخالطتهم عند الحاجة الى الاستفتاء منهم واما الحكماء فهم العالمون
بالله الذين لا يعلمون اوامر الله فامر بمخالطتهم معهم واما الكبراء
فهم العالمون بالله واحكام الله فامر بمجالستهم لان فى تلك
المجالسة منافع الدنيا والآخرة ثم قال شقيق البلخى لكل واحد من
هؤلاء الثلثة ثلث علامات اما العالم بامر الله فله ثلث علامات ان يكون
ذاكرا باللسان دون القلب وان يكون خائفا من الخلق دون الرب
وان يستحيى من الناس فى الظاهر ولا يستحيى من الله فى السر واما
العالم بالله يكون ذاكرا خائفا مستحيا اما الذكر فذكر القلب لا ذكر الله
واما الخوف فخوف الرياء لا خوف المعصية واما الحياء فحياء
ما يخطر على القلب لا حياء الظاهر واما العالم بالله وبامر الله فله ستة اشياء
الثلثة التى ذكرناها للعالم بالله فقط مع ثلثة اخرى كونه جالسا
على الحد المشترك بين عالم الغيب وعالم الشهادة وكونه معلما للمسلمين
الاولين وكونه بحيث يحتاج الفريقان الاولان اليه وهو يستغنى
عنهما ثم قال مثل العالم بالله وبامر الله كمثل الشمس لا يزيد ولا ينقص
ومثل العالم بالله فقط كمثل القمر يكمل تارة وينقص اخرى
ومثل العالم بامر الله كمثل السراج يحرق نفسه ويضيئ لغيره انتهى

وهكذا فى التفسير النيسابورى وقال بعده قال سفيان رحمه الله
الناس يقومون من مجلسى على ثلثة اصناف وذلك انى افسر القرآن
فاقول عن الله وعن الرسول فمن لا يصدقنى فهو كافر محض ومن
ضاق قلبه منه فهو منافق ومن ندم على ما صنع وعزم ان لا يذنب
كان مؤمنا مخلصا انتهى وقال تعالى وقل رب زدنى علما وفيه
ادل دليل على نفاسة العلم وعلو مرتبته وفرط محبة الله اياه
حيث امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالازدياد منه خاصة دون
غيره قال قتادة لو اكتفى احد من العلم لاكتفى موسى صلوات الله على نبينا
وعليه ولم يقل هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا كان سليمان
عليه السلام من ملك الدنيا ما كان حتى انه قال هب لى ملكا لا ينبغى
لاحد من بعدى انك انت الوهاب ثم انه لم يفتخر بالمملكة وافتخر بالعلم
حين قال يا ايها الناس علمنا منطق الطير واوتينا من كل شيئ فافتخر
بكونه عالما بمنطق الطير ويدل على ان العلم اشرف من غيره
ايضا قوله تعالى اقم الصلوة لذكرى اذ جعل الصلوة وسيلة الى ذكر
القلب والمقصود اشرف من الوسيلة وقال فى التفسير الكبير ايضا
فى قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وهذه الآية فيها
وجوه من الدلائل على فضل العلم احدها دلالته على انهم من اهل الجنة

فكل من كان من اهل الخشية كان من اهل الجنة فالعلماء من اهل الجنة
بيان ان العلماء من اهل الخشية قوله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وبيان
ان الخشية من اهل الجنة قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك
لمن خشي ربه ويدل عليه ايضا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان
ويدل عليه ايضا قوله تعالى وعزتي وجلالي لا اجمع على عبدي خوفين
ولا اجمع له امنين فاذا امن في الدنيا اخفته في الآخرة واذا خاف
في الدنيا آمنته يوم القيمة ثم قال ايضا في التفسير الكبير ان ظاهر الآية يدل
على انه ليس للجنة اهل الا العلماء وذلك لان كلمة انما للحصر فهذا يدل على
ان خشية الله تعالى لا يحصل الا للعلماء والآية الثانية وهي قوله تعالى
ذلك لمن خشي ربه دالة على ان الجنة لاهل الخشية وكونها لاهل الخشية
ينافي كونها لغيرهم فدل مجموع الآيتين على انه ليس للجنة اهل الا العلماء
واعلم ان هذه الآية فيها تخويف شديد وذلك لانه ثبت ان الخشية
من الله من لوازم العلم بالله تعالى فعند عدم الخشية يلزم عدم العلم بالله
وهذه الدقيقة تنبهك على ان العلم الذي هو سبب القرب من الله تعالى
هو الذي يورث الخشية وان انواع المجادلات وان دقت وغمضت اذا خلت
عن افادة الخشية كان من العلم المذموم انتهى وفي التفسير النيسابوري

في

في بيان الوجوه العقلية قال ومنها ان اللذة ادراك المحبوب وكلما
كان المدرك اكمل واشرف كان اللذة اكمل واتم ومدرك العلم
هو الله تعالى وجميع مخلوقاته من الملائكة والافلاك والعناصر
والمواليد وجميع احكامه واوامره واي معلوم اشرف
من ذلك فلا كمال ولا لذة فوق كمال العلم ولذته ولا الم
ولا نقصان مثل الم الجهل ونقصانه ولهذا قال عز من قائل
اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم كانه قال كنت
في اول حالك علقة هي الغاية في الخساسة ثم صرت في آخر
حالك في غاية الشرف وايضا ترتيب الحكم على الوصف مشعر
بالعلية وهذا يدل على انه انما استحق الاكرمية لانه اعطى
العلم فالعلم اشرف عطية واعظم موهبة ومنها انه تعالى
قال انما يخشى الله من عباده العلماء فالعلماء من اهل الخشية
واهل الخشية اهل الجنة لقوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن
الى قوله ذلك لمن خشي ربه فالعلماء من اهل الجنة بل ليس
من اهل الجنة الا العلماء وذلك لكلمة انما المفيدة للحصر
ولاجل اللام للاختصاص في لمن خشي ربه والسبب في ان العلماء

هم اهل الخشية ان من لم يكن عالما بالشئ استحال ان يكون خائفا منه
ثم ان العلم بالذات لا يكفي في الخوف بل لا بد معه من العلم بامور ثلثة
احدها العلم بالقدرة لان الملك عالم باطلاع رعيته على افعاله
القبيحة لكنه لا يخافهم لعلمه بانهم لا يقدرون على دفعه وثانيها العلم
بكونه عالما لان السارق من مال السلطان يعلم قدرته لكن يعلم انه
غير عالم بسرقته فلا يخافه وثالثها العلم بكونه حكيما فان المسخرة
عند السلطان عالم بكونه قادرا على منعه عالما بقبيح افعاله لكنه
يعلم انه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف فثبت ان خوف
العبد من الله لا يحصل الا اذا علم كونه تعالى عالما بجميع المعلومات
قادرا على كل المقدورات غير راض بالمنكرات والمحرمات فاذن
الخوف من لوازم العلم بالله وبهذا يعرف نباهة العلم انتهى
قالوا هذه الآية تدل على ان المراد لا ينتهي الى حد يصير معه امنا
بانه يعلم انه من اهل الجنة ويجعل هذه الآية دالة عليه وهذا المذهب
غير قوي لان الانبياء عليهم السلام قد علموا انهم من اهل الجنة
وهم مع ذلك من اشد العباد خشية لله تعالى والله اعلم بالصواب
الفصل الثاني في ان من العلم ما هو فرض عين وما هو فرض كفاية بلغ
وفي العلم الذي هو فرض عين قالوا هو علم الحال اذ يفترض
على

على المسلم طلب ما يقع له في حاله سواء كان متعلقا بالقلب
او باللسان او بالجوارح اذ يفترض عليه علم ما يؤدي به الفرض
لان ما يتوصل به الى الفرض يكون فرضا اعلم ان الفرض لا يتميز
عن غيره الا بذكر اقسام العلوم الشرعية اجمالا والعلوم
الشرعية ما يستفاد من الانبياء صلوات الله عليهم اجمعين
ولا يرشد العقل اليها مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب
ولا السماع مثل اللغة وما يتبعها وذلك ينقسم الى ما هو فرض
عين وفرض كفاية كما مر ففرض الكفاية هو كل علم لا يستغنى عنه
في قوام امور الدنيا واما العلوم التي ليست بشرعية فتنقسم
الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط
مصالح الدنيا واما المذموم فكعلم السحر فانه حرام فان اعتقد
التأثير منه فهو كافر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات
واما المباح فعلم الاشعار وتواريخ الاخبار وما يجري مجراه
فالعلوم الشرعية كلها محمودة فللعلوم المحمودة اصول وفروع
ومقدمات ومتممات فالاصول اربعة كتاب الله عز وجل
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة
وآثار الصحابة والفروع ما فهم من هذه الاصول لا بموجب

الفاظها بل تنبهت لها العقول فاتسع بسببها الفهم والمقدمات
ما يجرى منها مجرى الآلات كعلم اللغة وما يتبعها من علم النحو
وغيره فانها آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمتممات منها ما يتعلق بمجرد اللفظ كعلم القرآآت ومخارج الحروف
ومنها ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فان اعتماده ايضا على النقل
اذ اللغة بمجردها لا تستقل به ومنها ما يتعلق باحكامها كمعرفة الناسخ
والمنسوخ والعام والخاص والظاهر وكيفية استعمال البعض
منه مع البعض وهو العلم الذى يسمى اصول الفقه ويتناول السنة
ايضا فهذه هى العلوم الشرعية وكلها محمودة قال فى التاتارخانية
وفى السراجية طلب العلم فريضة بقدر ما يحتاج اليه لامر لا بد منه
من احكام الوضوء والصلوة وسائر الشرائع ولامور معاشه
وما وراء ذلك ليس بفرض فان تعلمها فهو افضل وان تركها
فلا اثم عليه وفى السراجية ويستحب للرجل ان يتعلم من الطب
قدر ما يمتنع عما يضره وفى منتخب الاحياء قال اطلبوا العلم
ولو بالصين اختلف العلماء فى اى علم طلبه فرض قال المتكلمون
هو علم الكلام اذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته
وقال الفقهاء علم الفقه اذ به يعرف الحلال والحرام وقال

المفسرون

المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة اذ بهما يتوصل
الى سائر العلوم وقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله تعالى
وقيل هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وقيل هو علم الباطن
وقالت المتصوفة هو علم التصوف وطريقتهم وقال بعضهم
هو العلم بما يشمل قوله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس
الحديث وهذا اختيار الشيخ ابى طالب المكى رحمه الله تعالى
ذكره فى قوت القلوب والذى ينبغى ان يقطع به ما هو مراد به
هو العلم بما كلف الله تعالى عباده وهو ثلثة فصول اعتقاد
وفعل وترك فاذا بلغ الان فى ضحوة النهار مثلا يجب
معرفة الله تعالى بصفاته بالنظر والاستدلال وتعلم كلمة
الشهادة مع فهم معناه ثم ان عاش الى وقت الظهر يجب
تعلم الطهارة قبل وقت صلاة الظهر ثم تعلم علم الصلوة وهلم جراً
الى آخره فان عاش الى شهر رمضان يجب تعلم كيفية الصوم
ووقته وما يقوم به وما يفسده فان استفاد مالا يجب
تعلم كيفية الزكوة ونصابها وان بلغ استطاعة الحج يجب
تعلم المسافرة الى مكة واحرام الحج ومناسكه فى مواطنها هذا
ان عاش الى شهر الحج فهذا التدريج فى علم سائر الافعال الواجبة

التي هي فرض عين واما الترك فيجب بحسب ما يتجدد من الحال
وما يختلف باختلاف الاشخاص الا ترى كيف يحرم التكلم
بالفواحش والنظر الى سوءة الصبيح ولا يجب ذلك على الابكم
والاعمى وكذلك كثير ما يباح على المضطر ويحرم على غيره اما
في الحكم والفتوى يكتفي بظاهر ما نطق به من كلمتي الشهادة واخذ
ذلك بالسماع او التقليد من غير نظر وبرهان فان النبي صلى الله عليه وسلم
اقتنع من العرب بالتصديق والاقرار من غير تعليم دليل اما
لو خطر بباله شبهة او شك بعد ذلك يجب عليه ازالتها
بالبحث وحدة النظر وفهم الادلة لان الاعتقادات بحسبها
بحسب الخواطر فكل شك خطر في المعنى التي تدل عليها كلمة الشهادة
يجب تعليم ما يتوصل به الى ازالة الشك ولو لم يخطر بباله
شك ولا شيء يوجب الخلل في الاسلام حتى مات فهو مسلم
نحو ان يموت بعد الشهادة ولم يخطر بباله ان القرآن مخلوق
ام قديم وان الله مرئي او غير مرئي فهو مات على الاسلام
اما بعد الخاطر والسماع لا بد من معرفة ذلك انتهى كلام التاتارخانية
واما علم النجوم فكما عرفت مما سبق ان المنهي عنه في النجوم
امران احدهما ان يصدق بانها فاعلة لاثارها مستقلة بها

وانها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر والثاني
تصديق المنجمين في تفصيل ما يخبرون عنه من الاحكام قال في
التاتارخانية وعلم المكاشفة لا يحصل بالتعلم والتعليم وانما يحصل
بالمجاهدة التي جعلها الله تعالى مقدمة للهداية حيث قال والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ولقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الاف من اصحابه كلهم علماء بالله اثنى عليهم رسول الله
عليه السلام وعلم النجوم ونحوها فهي علوم غير محمودة روي عنه
عليه السلام انه مر برجل قد اجتمع عليه الناس فسأل عنه فقالوا
رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وانساب العرب فقال
علم لا ينفع وجهل لا يضر وانما العلم آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة واما علم الفلسفة والهندسة بعيد من علم الآخرة
استخرج ذلك الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الآخرة
انتهى ما قاله التاتارخانية فالفلسفة ليست علما برأسها وهي اربعة
اجزاء الهندسة والحساب وهما مباحان ولا يمنع عنهما
الا من يخاف عليه ان يتجاوزهما الى علوم مذمومة والثاني
المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه
وهما داخلان في علم الكلام والثالث الالهيات وهو بحث

والمراد بعلم المكاشفة كشف العلوم فقط كما ان المراد بعلم المعاملة ما يطلب منه مع كشفه العمل به كذا في الاحياء

عن ذات الله تعالى وصفاته وهو ايضاً داخل في الكلام والفلاسفة
لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر
وبعضها بدعة وكما ان الاعتزال ليس علماً برأسه بل اصحابه طائفة
من المتكلمين واهل البحث والنظر وانفردوا بمذاهب باطلة فكذلك
الفلسفة والرابع الطبيعيات بعضها يخالف الشرع والدين الحق
فلذا قالوا انه جهل وليس بعلم حتى يورد في اقسام العلوم وبعضها
بحث عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها
وتغيرها وهو شبيه بنظر الاطباء الا ان الطبيب ينظر في بدن
الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون
في جميع الاجسام من حيث تتغير وتتحرك • والحاصل انهم قالوا
ان الرجوع الى العقليات والتعمق في الكلام غير جائز وفي شرح
المقاصد علم علماء الصحابة بالعقايد الدينية كلام وان لم يسم
في ذلك الزمان بهذا الاسم كما ان علمهم بالعمليات فقه
وان لم يكن ثمه هذا التدوين والترتيب • قال في التاتارخانية
وفي النوازل قال ابو النصر بلغني ان حماد بن ابي حنيفة كان
يتكلم في علم الكلام فنهاه عن ذلك ابو حنيفة رضي الله عنه
فقال له ابنه قد رايتك تتكلم في الكلام فما بالك تنهاني عنه قال

يا بني كنا نتكلم وكل واحد منا كان الطير على رأسنا مخافة ان تزل
وانتم تتكلمون اليوم وكل واحد يريد ان يزل صاحبه واراد
ان يكفر صاحبه ومن اراد ان يكفر صاحبه فقد كفر قبل ان يكفر
صاحبه • وعن ابي الليث الحافظ وهو كان بسمرقند متقدماً في
الزمان على الفقيه ابي الليث قال من اشتغل بالكلام محي اسمه
عن العلماء • وعن ابي حنيفة رحمه الله قال يكره الخوض في الكلام
ما لم يقع شبهة فاذا وقعت شبهة وجب ازالتها كمن
يكون على شاطئ البحر ينبغي ان لا يوقع نفسه في البحر فان وقع
وجب عليه اخراجه انتهى • قالوا حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام
هي الادلة التي ينتفع بها فالقرآن والاخبار مشتملة عليها
وما خرج عنها فهو اما مجادلة مذمومة وهي البدع واما مشاغبة
بالتعلق بمناقضات الفرق والتطويل بنقل المقالات التي اكثرها
ما لا فائدة فيها مع انها تزدريها الطباع وتمجها الاسماع وبعضها
خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شيئاً من ذلك
مألوفاً في العصر الاول وكان الخوض بالكلية من البدع قال
في احياء العلوم واما التي لا يحمد منها الا مقدار مخصوص فهي
العلوم التي اوردناها في فروض الكفاية فان لكل علم منها اقتصا

هو الاول واقتصارا هو الوسط واستقصاءً وراء
الاقتصار لا مرد له الى آخر العمر فكن احد رجلين اما مشغولا
بنفسك واما متفرغا الى غيرك بعد الفراغ من نفسك
واياك ان تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت
المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض
عينك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال
الظاهرة من تعلم الصلوة والصيام وانما الاهم الذي
اهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك
بشر عن الصفات المذمومة من الحرص والحسد والرياء
والكبر والعجب وجميع ذلك مهلكات واهمالها مع الاشتغال
بالاعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن
عند التاذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة
بالفصد والاسهال وقال ايضا فيه وفرقة اخرى اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الاهواء والرد على المخالفين وتتبع
مناقضاتهم واستكثروا من معرفة المقالات المختلفة
واشتغلوا بتعلم الطرق في مناظرة اولئك وافحامهم
واهملوا انفسهم وقلوبهم الى آخر ما قاله انتهى فاذا عرفت

طبقات

طبقات العلماء تعرف مراجعتك اليهم في وقتها على ما يقتضي الحاجة
من اعمال القلب واللسان والجوارح وتقبل امرهم بقبول حسن
خصوصا اذا كانت المراجعة الى العلم الذي هو فرض عين ويلزمك
تعظيمهم على كل حال اذ كان تعظيم اهل الورع من علماء الظاهر
وارباب القلوب لازما لازبا فمن خشي ربه وعدله بحسن العاقبة
والله الهادي **الفصل الثالث** في بيان شواهد فضيلة العلم
من القرآن الكريم والاخبار والآثار والحكايات من التابعين والائمة
المجتهدين رضوان الله عليهم اجمعين **اما الايات** فقد قال الله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو والملئكة واولوا العلم فانظر كيف بدأ
بنفسه وثنى بالملائكة وثلث باهل العلم وهذا شرف عظيم وقال
يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات قال
ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره للعلماء درجات فوق المؤمنين
بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال تعالى
ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم رد حكمه في الوقائع الى استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء
في كشف حكم الله تعالى وقيل في قوله عز وجل قد انزلنا عليكم لباسا
يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس التقوى

اى الحياء وقال تعالى قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده
علم الكتاب وقال تعالى قال الذى عنده علم من الكتاب
انا آتيك به تنبيها على انه اقدر عليه بقوة العلم وقال تعالى وقال
الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير بيّن ان قدر عظم
الآخرة يعلم بالعلم وقال عز وجل قل هل يستوى الذين
يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى بل هو آيات بيّنات
فى صدور الذين اوتوا العلم وقال عز وجل وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقال تعالى خلق الانسان
علّمه البيان وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنان وقال
عز وجل انما يخشى الله من عباده العلماء واما الاخبار فقد قال
صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء ومعلوم انه
لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة
لتلك الرتبة وقال صلى الله عليه وسلم يستغفر للعالم ما فى
السموات والارض واى منصب يزيد على منصب من تشتغل
ملائكة السموات والارض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه
وهم مشغولون بالاستغفار له وقال صلى الله عليه وسلم
ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك

مدارك

مدارك الملوك وقال صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا
يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال عليه السلام خصلتان
لا تكونان فى منافق حسن سمت ولا فقه فى الدين قيل ادنى
درجات الفقيه صدق معرفته وغلبة برائته من النفاق والرياء
لعلمه بان الآخرة خير من الاولى وقال صلى الله عليه وسلم
اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد اما
اهل العلم فدلّوا الناس على ما جاءت به الرسل صلوات الله
عليهم واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم على ما جاءت به الرسل
صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم من تفقه
فى دين الله عز وجل كفاه الله همّه ورزقه من حيث
لا يحتسب وقال صلى الله عليه وسلم ما عُبد الله بشئ افضل
من فقه فى الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان
من الف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه وقال
صلى الله عليه وسلم صنفان من امتى اذا صلحوا صلح
الناس واذا فسدوا فسد الناس الامراء والفقهاء
وقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضل
القمر ليلة البدر على سائر الكواكب والاخبار كثيرة لا تحصى

واما الآثار فقد قال ابن عباس رضي الله عنه خير سليمان
ابن داود صلوات الله على نبينا وعليهما بين العلم والمال
والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه وقال
ابو الاسود ليس شيء اعز من العلم الملوك حكام على الناس
والعلماء حكام على الملوك وسئل ابن المبارك من الناس
فقال العلماء فقيل من الملوك قال الزهاد قيل من السفلة
الذي يأكل بدينه ولم يجعل غير العلماء من الناس لان
الخاصة التي يمتاز بها الناس عن سائر البهائم هي معرفة الله
وهي انما تحصل بالعلم والانسان انسان بما هو شريف
لاجله وليس ذلك بقوة شخص فان الجمل اقوى منه ولا بعظمته
فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعة فان السبع اشجع منه ولا
لاكل فان الجمل اوسع بطنا منه ولا الجماع فان اخس العصافير
اقوى على السفاد منه بل لم يخلق الا للعلم والمعرفة وقال
الحسن رضي الله عنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح
مداد العلماء وقال ابن مسعود رضي الله عنه عليكم بالعلم
قبل ان يرفع ورفعه ان يهلك رواته فوالذي نفسي بيده
ليودن رجال قتلوا في سبيل الله عز وجل شهداء ان يبعثهم الله سبحانه

علماء

علماء لما يرون من كرامتهم وان احدا لم يولد عالما وانما العلم
بالتعلم وقال ابن عباس رضي الله عنه تذاكر العلم بعض ليلة
احب الي من احيائها وكذلك عن ابي هريرة رضي الله عنه
واحمد بن حنبل وقال الحسن رضي الله عنه في قوله عز وجل
ربنا آتنا في الدنيا حسنة ان الحسنة في الدنيا هي العلم والعبادة
وفي الآخرة هي الجنة وقال بعضهم اي الاشياء نقتني قال
التي اذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل
اراد بالسفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ
الحكمة لجاما اتخذه الناس اماما ومن عرف بالحكمة لحظته العيون
بالوقار وقال الشافعي رضي الله عنه من شرف العلم ان من
نسب اليه ولو في شيء حقير فرح ومن دفع عنه حزن وقال
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ايها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه وتعالى
رداء محبة فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه
فان اذنب ذنبا استعتبه فان اذنب ذنبا استعتبه
فان اذنب ذنبا استعتبه لئلا يسلبه رداءه ذلك
وان تطاول به ذلك الذنب حتى يموت وقال سالم بن
ابي الجعد اشتراني مولاي بثلثمائة درهم واعتقني فقلت

باى حرفة احترف فاحترفت بالعلم فما مضت لى سنة
حتى اتانى امير المدينة فلم آذن له وقال الزبير بن ابى بكر
كتب الى ابى بالعراق عليك بالعلم فانك ان افتقرت
كان لك مالا وان استغنيت كان لك جمالا وحكى
ذلك فى وصايا لقمان لابنه وقال يا بنى جالس العلماء
وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه وتعالى يحيى القلوب
بنور الحكمة كما يحيى الارض بوابل السماء وقال الزهرى العلم
ذكر ولا يحبه الا ذكور الرجال قال الامام فى التفسير الكبير
فى بيان شواهد فضيلة العلم من الآثار روى كميل بن زياد كميل بن زياد
قال اخذ على بن ابى طالب كرم الله وجهه بيدى فاخرجنى
الى الجبانة ثم قال يا كميل بن زياد ان هذه القلوب
اوعية فخيرها اوعاها فاحفظ ما اقول لك الناس ثلثة
عالم ربانى ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع اتباع
كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم
ولم يلجئوا الى ركن وثيق يا كميل العلم خير من المال العلم
يحرسك وانت تحرس المال والمال ينقصه النفقة والعلم
يزكو على الانفاق وصنيع المال تزول بزواله يا كميل معرفة

العلم

العلم زين يزان به يكتسب الانسان الطاعة فى حيوته وجميل
الاحدوثة بعد وفاته والعلم حاكم والمال محكوم عليه هلك
خزان الاموال وهم احياء والعلماء باقون ما بقى الدهر
اعيانهم مفقودة وامثالهم فى القلوب موجودة وفى
الظهيرية وعن على رضى الله عنه انه قال كفى بالعلم شرفا
انه يدعيه من لا يحسنه ويفرح اذا نسب اليه وقال ابن المعتز
علم الرجل ولده المخلد وقال ايضا ما مات من احيى علما وقال
ايضا العلم اشرف ما رغبت والخير افضل ما ادعيت والعلماء
اعلام الاسلام وايمان الايمان واما الحكايات الدالة على
فضيلة العلم من الائمة المجتهدين رضوان الله عليهم فقد قال
فى الفتاوى الظهيرية وحكى ان رجلا قال لابى حنيفة رحمه الله
ما تقول فى رجل يقول لا ارجو الجنة ولا اخاف النار،
واكل الميتة والدم واشهد بما لم اره ولا اخاف الله
واصلى بلا ركوع وسجود وابغض الحق واحب الفتنة قال
ابو حنيفة رحمه الله لاصحابه ما تقولون فقالوا هذا القائل
كافر فتبسم ابو حنيفة رحمه الله وقال هو مؤمن ثم قال
قوله لا ارجو الجنة ولا اخاف النار فانه يرجو رب الجنة

ويخاف رب النار وقوله اكل الميتة والدم اى السمك والطحال
وقوله اشهد بما لم اره فهو شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وهو لم ير الله ولا رسوله وقوله لا اخاف الله
اى لا اخاف ظلم الله ولا جوره لانه لا يظلم ولا يجور ولكن
فى هذه العبارة بعض الاستنكار فلا يجوز ذكر هذه العبارة
وقوله اصلى بلا ركوع وسجود اى صلوة الجنازة وقوله
ابغض الحق اى الموت وهو حق وقوله احب الفتنة اى المال
والولد قال الله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وفى رواية
وافر من الرحمة اى من المطر واشرب الخمر واستحلها اى
حالة الضرورة او فى الجنة واترك الغسل من الجنابة اى عند
عدم الماء واقتل الناس اى الكفار واصدق اليهود والنصارى
فى دعواهم اى قالت اليهود ليست النصارى على شئ
وقالت النصارى ليست اليهود على شئ ولكن فى هذه المسئلة
العبارة فيها ضرب من الاستبعاد فلا يجوز استعمالها وقال
ايضا وحكى عن الفقيه ابى بكر محمد بن عبد الله انه قال نزل
جماعة بالكوفة فى زمن ابى حنيفة رحمه الله فيهم امراة حسناء
ذات جمال فاجتازت بباب بعض الاغنياء بالكوفة

فرآها

فرآها صاحب الدار فاستحسنها وادخلها فى داره فتحير زوجها
فى امرها فما زال يطوف بالدار يطلب اثرها حتى ظفر بها واخذها
وادعى انها زوجته وانكرت المراة ذلك وقالت مثلى
فى الجمال لا تكون زوجة لمثلك بل انا زوجة هذا الغنى
ولا اعرفك فاختصموا الى ابن ابى ليلى فقضى بالنكاح
بينها وبين الغنى بالتصادق فتحير زوجها فقيل له لا فرج
لك الا بعالم يقال له ابو حنيفة رحمه الله فاذهب اليه لعل تجد
الفرج من عنده فجاء الى ابى حنيفة رحمه الله وقص عليه القصة
فقال هذا سهل لاكشفن عن صورة الحال اين رحلك ومتاعك
قال نزلنا بالجبانة فخرج اليها ابو حنيفة رحمه الله وابن ابى ليلى
وجماعة من العلماء وامر بالمراة حتى تكون فى عشرة من النساء
ثم امر امراة اجنبية كوفية حتى ذهبت الى رحل هذا الرجل
فلما دنت صاح الكلب عليها وهربت فعلم انها غريبة ثم
امر الثانية ففعل الكلب مثل ذلك هكذا الى العاشرة
ثم امر هذه المراة ان تدنو من رحله فلما دنت عرفها الكلب
فجعل يدنو منها ويتملق اليها وظهر للناس انها من جملتهم فاعترفت
المراة والغنى بما كان من امرها وشانها فاخذ ابو حنيفة رحمه الله

المرأة من الغنى وسلمها الى الرجل انتهى • وفى التفسير الكبير حكى
ان هرون الرشيد كان معه الفقهاء وكان فيهم ابو يوسف
واتى رجل وادعى عليه احد انه اخذ من بيته مالا بالليل
ثم اقر الآخذ بذلك فى المجلس فاتفق الفقهاء على انه يقطع يده
فقال ابو يوسف لا قطع عليه قالوا لم قال لانه اقر بالاخذ والاخذ
لا يوجب القطع بل لابد من الاعتراف بالسرقة فصدقه الكل
فى ذلك ثم قالوا للآخذ اسرقتها فقال نعم فاجمعوا على انه وجب
القطع لانه اقر بالسرقة فقال ابو يوسف لا قطع لانه وان اقر
بالسرقة لكن بعدما وجب الضمان عليه باقراره بالاخذ فاذا
اقر بالسرقة بعد ذلك فهو بهذا الاقرار يسقط الضمان عن نفسه
فلا يسمع اقراره فتعجب الكل من ذلك قال ايضا يحكى ان جماعة
من اهل المدينة جاءوا الى ابى حنيفة رضى الله عنه ليناظروه
فى القراءة خلف الامام ويبكتوه ويشنعوا عليه فقال لهم لا يمكننى
مناظرة الجميع ففوضوا امر المناظرة الى اعلمكم لاناظره فاشاروا
الى واحد فقال هذا اعلمكم قالوا نعم قال والمناظرة معه كالمناظرة
معكم قالوا نعم قال والالزام عليه كالالزام عليكم قالوا نعم
قال وان ناظرته ولزمته الحجة فقد لزمتكم الحجة قالوا نعم قال

وكيف

وكيف قالوا انا رضينا به اماما وكان قوله قولنا قال ابو حنيفة
فنحن لما اخترنا الامام فى الصلوة كانت قراءته قراءة لنا وهو
ينوب عنا فاقروا له بالالزام وايضا قال رجل لابى حنيفة
انى حلفت ان لا اكلم امرأتى حتى تكلمنى وحلفت بصدقة ما تملك
ان لا تكلمنى حتى اكلمها فتحير الفقهاء فيه قال سفيان من كلم
صاحبه حنث فقال ابو حنيفة رحمه الله اذهب وكلمها فلا حنث
عليكما فذهب الى سفيان واخبره بما قال ابو حنيفة رحمه الله
عليهما فقال تبيح الفروج فقال ابو حنيفة وما ذاك قال
سفيان اعيدوا على ابى حنيفة السوال فاعاد ابو حنيفة
الفتوى فقال من اين قلت قال لما شافهته باليمين
بعد ما حلف كانت مكلمة وسقطت يمينه فان كلمها فلا حنث
عليه لانه قد كلمها بعد اليمين فسقطت اليمين عنها قال سفيان
انه ليكشف لك من العلم شىء كلنا عنه غافل وقال ايضا
قال محمد بن الحسن رحمه الله كنت نائما ذات ليلة واذا انا
بالباب رجل يدق ويقرع فقلت انظروا من ذلك
فقالوا رسول الخليفة يدعوك فخفت على روحى فقمت
ومضيت اليه فلما دخلت عليه قال دعوتك فى مسئلة

فخفت
سال

ان ام محمد يعني زبيده قلت لها اني امام العدل وامام العدل
في الجنة فقالت لي انك ظالم عاص قد شهدت لنفسك
بالجنة وكفرت بكذبك على الله وحرمت عليك فقلت لها
يا امير المؤمنين اذا وقعت معصية هل تخاف الله في تلك
الحال او بعدها فقال اي والله اخاف خوفا شديدا فقلت له
انا اشهد ان لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى ولمن خاف
مقام ربه جنتان فلاطفني وامرني بالانصراف فلما رجعت
الى داري رايت البدر متبادرة الى انتهى والدلائل على
فضيلة العلم اكثر من ان تحصى نقلية كانت او عقلية
الباب الثاني في بيان تقليدهم في الاحكام مع احسن صح
الظن بهم اعلم ارشدك الله تعالى وايانا ان الخلافة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم تولاها الخلفاء الراشدون
رضوان الله عليهم اجمعين وكانوا ائمة وعلماء بالله تعالى
وفقهاء في احكامه ومستقلين بالفتاوى في الاقضية وكانوا نوا
لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقايع لا يستغنى فيها
عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الاخرة وتجردوا لها
وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بعلم الخلق من الدنيا

واقبلوا

واقبلوا على الله عز وجل بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم
حتى ان التابعين كلهم مشتغلون بما يعنيهم ويغنيهم فلم يدون
الامام ابو حنيفة رضي الله عنه الا اشياء يسيرة قال
البزدوي وتقريره وقد صنف ابو حنيفة رحمه الله كتاب الفقه
الاكبر وصنف كتاب العالم والمتعلم وكتاب الرسالة وهو
كتاب بعثه الى عثمان البتي من اصحابه انتهى وروى
كان احمد بن حنبل رحمه الله ينكر على مالك رحمه الله في
تصنيفه الموطاء ويقول لا نبدع ما لم تفعله الصحابة وقيل
اول كتاب صنف في الاسلام كتاب ابن جريج في الآثار
وحروف التفاسير من عطاء ومجاهد واصحاب ابن عباس
بمكة رضوان الله عليهم اجمعين ثم كتاب معمر بن راشد
الصنعاني باليمن جمع فيه سننا منثورة مبوبة ثم كتاب
الموطاء لمالك بن انس ثم جامع سفيان الثوري ثم
في القرن الرابع حدث مصنفات الكلام وكثر الخوض في
الجدال والخوض في ابطال المقالات ثم مال الناس الى
ذلك والى القصص والوعظ بها فاخذ علم اليقين
في الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب

علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكائد الشيطان
واعرض عن ذلك الا الاقلون انتهى ما قيل وقد كان
بقي من علماء التابعين من هو مستمر على الطراز الاول وكان
الاعتماد على السماع من الغير تقليدا غير مرضي وحدث التصانيف
بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفات جميع الصحابة وجلة
التابعين وبعد وفات سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين
رضوان الله عليهم اجمعين فلما افضت الخلافة بعد الخلفاء
الراشدين الى اقوام لم يستقلوا بعلم الفتاوى والاحكام
اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في
جميع احوالهم لاستفتائهم في جميع مجاري احكامهم فطلبوا
العلماء لتولية القضاء والحكومات وعلماء السلف رحمهم الله تعالى
كانوا اذا طلبوا هربوا واعرضوا حتى ان الخلفاء اضطروا
الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى بعض
اهل الاعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم
مع الاعراض عنهم اشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز
ودرك الجاه من قبل الولاة مع علمهم بان العزة لله جميعا
وتوقفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم ومع هذا

اشرأب الشيء اشرئبابا مد عنقه لينظره كذا في الصحاح منه

ان

ان علماء الدين لازمة لتولية القضاء والحكومات بل لسائر
احوال المؤمنين فان كل مؤمن يحتاج في علم دينه الى عالم يعلمه
مما شرعه الله تعالى ولا بد منه وقد اختلف العلماء في انه يلزمه هل؟
الهرب من تقليد الولاية فقال قائلون لا يجب لانه خوف امر
في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمة
الحق وترك لذات النفس قيل الصحيح ان عليه الاحتراز والامتناع
عن قبول الولاية اهون من العزل بعد الشروع فالعزل كما قيل
العزل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح نفسه بالعزل وتميل
نفسه الى المداهنة كذا في احياء العلوم وفيه اعلم ان للانسان
في علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب
المال حالة استفادة فيكون مكتسبا وحالة ادخار
لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحالة انفاق على نفسه
فيكون به منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا
وهو اشرف احواله فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال
طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار
وهو التفكر في المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو اشرف
الاحوال فمن علم وعمل وعلم فذلك الذي يدعى عظيما في

ملكوت السموات والارض فانه كالشمس تضيئ لغيرها وهي مضيئة وكالمسك الذي يطيب غيره وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العمل كالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيئ لغيرها وهي تحترق. وقال ايضا في بيان صنف اهل العلم ففرقة منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغاً لا يعذب الله مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم وانه لا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله تعالى وهم مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى وبصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل انتهى. وقال في التاتارخانية

والمسن بكسر الميم حجر يسن عليه السكين ونحوه كذا في المصباح المنير.

دفي

وفي الينابيع ولا ينبغي ان يطلب الولاية ولا يسالها فالطلب ان يقول للامام ولني القضاء والسوال ان يقول للناس لو ولاني الامام قضاء كذا لاجبته الى ذلك وهو يطمع ان يبلغ ذلك الامام فيقلده وكل ذلك مكروه وقال ايضا وفي الينابيع القضاء فرض على من استجمع فيه شرائط القضاء واذا اراد الامام ان يقلده القضاء يجب عليه ان يتقلده فان امتنع من تقلده فهو آثم الا ان يكون بحضرته مثله فلا ياثم بالامتناع وفي الحاوي القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة قد باشره الصحابة والتابعون ومضى عليه الصالحون رحمهم الله ولكن فرض كفاية لانه ما فرض لعينه بل لغيره وهو قطع المنازعات بين العباد ودفع اسباب الفتنة والفساد وهذا يحصل باقامة البعض ولا معنى للوجوب على الكل وفيه ان القاضي اذا جار وقال تعمدت الجور لا ينفذ قضاؤه وينعزل عن القضاء وقال ايضا فيها وفي الذخيرة وبعض مشايخنا قالوا اذا قلده الامام القضاء على ظن انه عدل فان قال انك مرضي فيما بين المسلمين فرايتك اهلا للقضاء فقلدتك ثمة القضاء ثم ظهر انه فاسق غير مرضي لا يتقلد ثمة على قول من يقول لو قلد وهو عدل ثم فسق ينعزل

وفي فتاوى قاضيخان وان تعين هو في البلدة قالوا
يفترض عليه الدخول لو امتنع يأثم وقال ايضا واذا ارتشى
ولد القاضي او كاتبه او بعض اعوانه ليعين الراشي عند القاضي
ففعل انه لم يعلم القاضي بذلك نفذ قضاؤه وكان على المرتشي
رد ما قبض وان علم القاضي كان قضاؤه مردودا واذا تقلد
القضاء بالرشوة لا يصير قاضيا ويكون الرشوة حراما على
القاضي وعلى الآخذ ثم الرشوة على وجوه اربعة منها ما هو حرام
على الجانبين احدها هذه والثاني اذا دفع الرشوة الى القاضي
ليقضي له وهذه الرشوة حرام من الجانبين سواء كان
القضاء بحق او بغير حق ومنها اذا دفع الرشوة لخوف
على نفسه او ماله وهذه الرشوة حرام على الآخذ غير حرام
على الدافع وكذا اذا طمع في ماله فرشاه ببعض المال ومنها اذا
دفع الرشوة ليسوي امره عند السلطان حل له الدفع ولا يحل
للآخذ ان يأخذ فان اراد ان يحل للآخذ يستأجر الآخذ
يوما الى الليل بما يريد ان يدفع اليه فانه يجوز هذه الاجارة
ثم المستأجر ان شاء استعمله في هذا العمل وان شاء استعمله
في غيره هذا اذا اعطى الرشوة اولا ليسوي امره عند السلطان

الرشوة على وجوه اربعة

وان

وان طلب منه ان يسوي امره ولم يذكر له الرشوة ثم
اعطاه بعد ما سوى اختلفوا فيه قال بعضهم لا يحل له ان يأخذ
وقال بعضهم يحل وهو الصحيح لانه بر ومجازاة الاحسان
فيحل له كما لو جمعوا للامام والمؤذن شيئا واعطوه من غير
شرط كان حسنا وفي التاتارخانية واعلم بان الرشوة
انواع نوع منها ان يهدي الرجل الى رجل مالا لابتغاء
التودد والتحبب وهذا النوع حلال من جانب المهدي
والمهدى اليه ونوع منها ان يهدي الرجل الى رجل مالا لا
بسبب ان ذلك الرجل قد خوفه فيهدي اليه مالا ليدفع
الخوف عن نفسه او يهدي الى السلطان مالا ليدفع
ظلمه عن نفسه او ماله وهذا النوع لا يحل للآخذ الاخذ
لانه يجعل ماله وقاية لنفسه واذا اخذ يدخل تحت الوعيد
المذكور في هذا الباب وهل يحل للمعطي الاعطاء عامة المشايخ
على انه يحل لانه يجعل ماله وقاية لنفسه او يجعل بعض ماله
وقاية للباقي وفي الولوالجية لو سعى انسان بينهما ودفع اليه
بعض ماله ليوصله الى الظالم لا بأس بان يفعل ذلك الانسان
ويسعى بينهما وقد صح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه رشا

ديناراً بحبسه ونجّى نفسه وعن جابر رضي الله عنه انه قال
لم نجد في زمن بني امية انفع لنا من الرشى قال القاضي ابو علي
النسفي رحمه الله فعلى هذا اذا كان الرجل في قرية وفيها ظالم
وكان الرجل يهدي الى الظالم شيئاً من الفواكه والمطعوم
ليدفع ظلمه عن نفسه لا بأس به والخصاف علّق حلّ الاعطاء
بالشرط فقال ارجو ان لا يكون آثماً ونوع منها ان يهدي
الرجل الى رجل مالاً ليسوّي امره فيما بينه وبين السلطان
ويعينه في حاجته وانه على وجهين الاول انه يكون حاجته
حراماً وفي هذا الوجه لا يحل للمهدي الاعطاء ولا للمهدى اليه
الاخذ الوجه الثاني انه يكون حاجته مباحاً وانه على وجهين
ايضاً الوجه الاول ان يشترط انما يهدي اليه ليعينه عند السلطان
وفي هذا الوجه لا يحل للآخذ الاخذ وهل يحل للمعطي الاعطاء
تكلموا فيه منهم من قال لا يحل ومنهم من قال يحل وعلى
قياس قول الخصاف يجب انه يكون حل الاعطاء معلقاً
بالرجاء على ما بيّنا والحيلة في حل الاخذ وحل الاعطاء عند
الكل ان يستأجره صاحب الحادثة يوماً الى الليل ليقوم
بعمله بالمال الذي يريد الدفع اليه فيصح الاجارة ويستحق الاجير

الاجر

الاجر ثم المستأجر بالخيار ان شاء استعمله في هذا العمل وان شاء
استعمله في عمل آخر وفي الولوالجية وهل يحل للمعطي الاعطاء
بدون هذه الحيلة اختلفوا فيه والصحيح انه يحل قالوا وهذه
الحيلة انما تصح اذا كان العمل الذي استأجره عليه عملاً يصح الاستئجار
عليه وفي الفتاوى الخلاصة كتبليغ الرسالة ونحوها وان لم يبيّن
المدة لا يجوز وهذا اذا كان فيه شرط الوجه الثاني اذا لم يشترط
ذلك صريحاً ولكن انما يهدي اليه ليعينه عند السلطان وفي هذا
الوجه اختلف المشايخ وعامتهم على انه لا يكره وبعضهم قالوا يكره
وهكذا نقل عن ابن مسعود رضي الله عنه انتهى قال في فتاوى
قاضيخان وكما لا يحل للقاضي اخذ الرشوة لا يحل له قبول الهدية
من الاجنبي الذي لم يكن يهدي اليه قبل القضاء وكذا الاستقراض
والاستعارة وان اهدى اليه من كان يهدي اليه قبل القضاء
فان كان له خصومة لا يحل له ان يقبل وان لم يكن له خصومة
فان كانت مثل ما يهدي اليه قبل القضاء او دونها لا بأس
بان يقبل الهدية وان كان اكثر من ذلك ردّ الزيادة ولا بأس
بان يقبل الهدية من القريب الذي لم يكن له خصومة وكما لا يقبل
الهدية ممن كان لا يهدي اليه قبل القضاء لا يجيب الدعوة الخاصة

ويجيب الدعوة العامة وانما يعرف الخاص من العام بان ينظر
ان كان بحال لو لم يجب القاضي دعوته لا يتخذ الدعوة فهي
خاصة وان كان يتخذ الدعوة وان لم يجبه القاضي فهي عامة
وهذا اذا لم يكن بينهما قرابة فان كان بينهما قرابة يجيب
وان كانت خاصة ولا بأس للقاضي ان يرزق من
بيت المال وان استعف فهو افضل وللعلماء والقضاة
والمعلمين حظ في بيت المال ويجوز للامام والمفتي قبول الهدية
واجابة الدعوة الخاصة لان ذلك من حقوق المسلم على المسلم
وانما يمنع عنه القاضي انتهى وقال ايضا في الحظر والاباحة
قالوا لا بأس للقاضي ان يقبل الصلة من والي البلدة
التي هو عليها قلده هذا الوالي او غيره وقال ايضا لو
ان فقيرا يأخذ جائزة السلطان مع علمه ان السلطان يأخذها
غصبا ايحل له ذلك قال فان كان السلطان خلط الدراهم
بعضها ببعض فانه لا بأس به وان دفع عين الغصب من
غير خلط لم يجز اخذه قال الفقيه ابو الليث وهذا الجواب
يستقيم على قول ابي حنيفة رحمه الله لان عنده اذا غصب
دراهم من قوم وخلط بعضها ببعض يملكها الغاصب

وروى

وروى عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال
ان السلطان يصيب من الحلال والحرام فما اعطاك فخذ
فانما يعطي من الحلال وروى عمر رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطي شيئا من غير مسألة
فليأخذه فانما هو رزق رزقه الله تعالى وقال ايضا لا ينبغي
للقاضي ان يبيع ويشتري بنفسه بل يفوض ذلك
الى غيره وعن محمد رحمه الله انه لا بأس بان يفعل ذلك
في غير مجلس القضاء والصحيح انه لا يفعل لا في مجلس القضاء
ولا في غيره لان الناس يساهلونه لاجل القضاء ولا ينبغي
لمن يدخل مجلس القضاء لاجل الخصومة ان يسلم على القاضي
ولو سلم لا يجب على القاضي رد سلامه فان اراد القاضي
جوابه ينبغي ان لا يزيد على قوله وعليكم ويسلم الشاهد
على القاضي ويرد عليه ولا بأس للقاضي ان يفتي من لم يخاصم اليه
ولا يفتي احد الخصمين فيما خوصم اليه واذا خاصم رجل
مع السلطان الى القاضي فجلس السلطان مع القاضي وخصمه على
الارض ينبغي للقاضي ان يقوم من مقامه ويجلس خصم
السلطان حتى لا يكون مفضلا لاحد الخصمين على الآخر

فى الجلوس وهذه المسئلة تدل على ان القاضى يصلح قاضيا
على السلطان الذى قلده والدليل عليه قصة على رضى الله عنه
عند شريح رحمه الله ويقضى القاضى وهو مستوف حظه من
الطعام والشراب ولا يقضى وهو جايع ولا شبعان
ولا غضبان ولا كظيظ من الطعام ولا مأخوذا احد
الاخبثين ولا به نعاس او نوم ولا يسار احد الخصمين
ولا يضم احدهما الى نفسه ولا يضحك وصاحب مجلسه يقيم
الخصوم بين يديه من البعد والشهود يقرب من القاضى
ويخرج للقضاء فى احسن ثيابه واعدل احواله ويأخذ كاتبا
عالما ورعا فان كان القاضى فقيرا محتاجا فالاولى له ان يأخذ
رزقه من بيت المال بل يفترض عليه فان كان غنيا تكلموا فيه والاولى
له ان لا يأخذه من بيت المال انتهى • وفى التاتارخانية
وفى الظهيرية روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال
من ابتلى بالقضاء فكانما ذبح بغير سكين هكذا رواه الخصاف
وروى عن محمد رحمه الله هذا الحديث فى ادب القاضى بلفظ
آخر من ابتلى ان يقضى بين اثنين فكانما ذبح نفسه بغير سكين
وكان شيخنا الامام شمس الائمة الحلوانى رحمه الله يقول

الاخبثان البول والغائط

ح

الازدراء الاحتقار

لا ينبغى لاحد ان يزدرى هذا اللفظ كيلا يصيبه ما اصاب
ذلك القاضى فقد حكى ان قاضيا روى له هذا الحديث
فازدراه وقال كيف يكون هذا فدعا فى مجلسه بمن يسوى شعره
فجعل الحلاق يقص الشعر من تحت ذقنه اذ عطس فاصابه
موسى فالقى راسه بين يديه وقال بعضهم له ان يتقلد
اذا كان يمكنه القيام بحقه الا ترى الانبياء يشتغلون به
حتى نبينا صلى الله عليه وسلم وعليهم والصحابة اشتغلوا به
رضوان الله عليهم ولان فى القضاء اظهار سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم واحياء شريعته ولهذا يطلق على القاضى
اسم خليفة رسول الله بلا خلاف وقال ايضا والذى عليه
عامة المشايخ ان الدخول فى القضاء رخصة لمن لا يخاف
والامتناع فيه عزيمة هو المختار وهذا اذا كان فى البلد
قوم يصلحون للقضاء اما اذا لم يكن فى البلد قوم يصلحون
للقضاء فامتنعوا جملة عن القضاء فان كان الوالى بحيث ان
يفصل الخصومات بنفسه كما ينبغى فانهم لا يأثمون وان كان
الوالى بحيث لا يفصل الخصومات بنفسه كما ينبغى يأثمون
وفى جامع الفتاوى عن ابى حنيفة رضى الله عنه القضاة ثلثة

قاض يقبل قوله مجملا ومفصلا وهو الفقيه الورع وقاض يقبل قوله
مفصلا لا مجملا وهو الورع غير الفقيه وقاض لا يقبل قوله لا مفصلا
ولا مجملا وهو ان لا يكون فقيها ولا ورعا وفي الينابيع فان وجد
اثنان وهما من اهل القضاء ولكن احدهما افقه والآخر
اورع فهو اولى من الافقه انتهى وقال ايضا وفي الخزانة
ويكره تنفيذ الحكم في عشرة احوال في حال الغضب والجوع
والعطش والحاصر والحاقن والراكب والماشي والناعس
والمريض والوجيع ويقضي في حال يكون اجمع لذهنه
وعقله وفهمه ويحضر جماعة من اهل الفقه مجلسه ان كان
لا يدخله حشمة بحضورهم وفي السغناقي ويخرج للقضاء
في احسن ثيابه واعدل احواله ولا ينبغي له ان يتعب
نفسه في طول المجلس ولكن يجلس في طرفي النهار او ما طاب
وكذلك الفقيه والمفتي ولا يمازح الخصوم ولا احدهم
ولا يضحك في وجه احدهما وكذلك لا يومي الى احدهما
ايماء ولا يعبس وجهه عليهما ولا على احدهما ولا يعجل الخصوم
لاتيان حججهم ولا يخوف الخصوم ومعناه ان يتكلف
بتخويف الخصوم وفي شرح الطحاوي ولا يخوفهم يعني

لعدم اعتماد البعض

لا يقول

لا يقول اقم حجتك والا اقضي عليك او ابطل دعواك بل
يؤجله الى المجلس الثاني والثالث انتهى وفي فتاوى قاضيخان
المزكي اذا سأل عن الشهود وعرفهم بالعدالة فاراد التعديل
روي عن محمد رحمه الله انه يقول هذا عندي عدل مرضي
جائز الشهادة وبه اخذ بعض المشايخ رحمهم الله وقال بعضهم
لا يكون هذا اللفظ تعديلا لان قوله عندي لفظ موهم فلا يكون
تعديلا الا ترى ان الشاهد لو قال الحق عندي لهذا المدعي
يكون ذلك باطلا فكذلك في التعديل وقال بعضهم هذا
اللفظ في التعديل لا يوجب خللا ولو قال المعدل لا اعلم
فيه الا خيرا يكون ذلك تعديلا وقال بعضهم يحتاج في التعديل
الى خمسة الفاظ هو عدل مرضي جائز الشهادة صالح مقبول
القول لي وعلي وقال بعضهم اذا قال هو عدل جائز
الشهادة يكون عدلا عليه الاعتماد انتهى فاذا عرفت هذا
فانظر كيف يكون العدالة شرطا في شاهد مصلحة واحدة
من مصالح المسلمين وكيف تكون شرطا فيمن يولي
مصالح المسلمين فان الله سبحانه وتعالى امرهم بانهم
اذا حكموا بين الناس ان يحكموا بالعدل فاللازم عليه

ان يكون العدالة ابدنه فى حقه وفى حق غيره وان يكون
حسن الخَلْق والخُلْق قيل فى قوله تعالى واسبغ عليكم نعمه
ظاهرةً وباطنة الظاهرة استواء الخَلْق والباطنة
حسن الخُلُق وروى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان النبى صلى الله عليه وسلم قال رآى عيسى بن مريم
رجلا يسرق فقال له أسَرَقْتَ قال كلّا والذى لا اله الا هو
فقال عيسى آمنت بالله وكذبت عينَيَّ فمن حُسن الخلق
المداراةُ فمن دارى سَلِمَ الا ان من داهن اَثِمَ
فالمداراة مأمور بها كما ان المداهنة منهى عنها قال الله تعالى
وَدّوا لو تدهنُ فيدهنون وقال النبى صلى الله عليه وسلم
فى المداراة رأس العقل بعد الايمان بالله التودد الى الناس
واُمِرْتُ بمداراة الناس كما اُمِرتُ باداء الفرائض
فاذا سعمت المداراة صارت مداهنة فالمداهنة ان تدارى
الناس على وجه يحصل الخلل فى دينك بل يذهب فيه دينك
والمداراة معى لفتهم على وجه يسلم لك دينك وذلك
ان هذه الآية نزلت على النبى صلى الله عليه وسلم وقد قالت له
قريش يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونؤمن بك فابى

فقالوا

فقالوا فشهرا فابى قالوا فيوما فابى قالوا فساعة فابى
قالوا فاستَلِمْها بيدك ونُؤمن بك فوقف النبى
صلى الله عليه وسلم فى ذلك وطمع ان فعل ان يؤمنوا
فانزل الله تعالى ودّوا لو تدهن فيدهنون وقيل له
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا
اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات الآية
وقال بعض المفسرين فى قوله تعالى وقولوا للناس حسنا
كل من لقيته فقل له حسنا من القول والمقلد القاصر
عاجز عن تفهم الفرق بين المدراة والمداهنة كما
ان العالم المستبصر عاجز عن تفهيمه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم ارحموا ثلثة عالما بين الجهال
وغنى قوم افتقر وعزيز قوم ذل قال فى الاحياء
فالانبياء مرحومون بين الامة بهذا السبب ومقاساتهم
لقصور عقول الامة فتنة لهم وامتحانا وابتلاء
من الله تعالى وبلاء موكل بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثل
فالامثل ولا تظنن ان البلاء بلاء ايوب عليه السلام
وهو الذى نزل بالبدن فان بلاء نوح عليه السلام افضل

من البلاء العظيم اذ بُلي بقوم لا يزيدهم دعاؤه الّا فرارا
ولذلك لما أُوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام
بعض الناس قال رحم الله اخي موسى لقد اوذي باكثر من هذا
فصبر فاذا لا يخلو الانبياء من الابتلاء بالجاحدين فلا يخلو
الاولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين انتهى • فاذا
عرفت ما سبق تعرف ان تقليد علماء الدين في الاحكام
انما يكون مع احسان الظن بهم اللّهم اجعلنا من الذين
يستمعون القول فيتبعون احسنه **المقصد الخامس**
في نصيحة العامة وهي ارشادهم لمصالحهم في اوليهم
واخريهم وكف الاذى عنهم وتعليم ما جهلوا واعانتهم
على البر والتقوى وستر عوراتهم والشفقة عليهم
وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير وهو على خمسة
ابواب **الباب الاول** في ارشادهم لمصالحهم في
اوليهم واخريهم اعلم وفقك الله وايانا ان الله تعالى
قد فرض علينا الفرايض ولا يتأتى اداؤها الّا بقوة
البدن وستر العورة ولا قوة للبدن الّا بالقوت
قال الله تعالى وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام الآية

ومعلوم

ومعلوم ان المعاش معين وذريعة الى المعاد اذا كان
طلب المعيشة على نهج السداد اذ لا يكون طلب الدنيا ذريعة
ما لم يتأدب في طلبها بآداب الشريعة فيلزمه علم فضل
الكسب وعلم صحيح البيع والشراء والعدل في المعاملات
والاحسان فيها وشفقة التاجر على اهل دينه قال الله تعالى
وجعلنا النهار معاشا وقال تعالى وجعلنا لكم فيها معايش قليلا
ما تشكرون فجعلها نعمة وطلب الشكر عليه وقال صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا تعففا عن المسألة وسعيا على عياله
وتعطفا على جاره لقي الله ووجهه كالقمر ليلة البدر وروت
عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب
ما اكلتم من كسبكم وان اولادكم من كسبكم وفيه تحريض
على الكسب الحلال لان المراد بالطيب ههنا الحلال ومعنى
الكسب الطلب والسعي في تحصيل الرزق وانما جعل الولد
كسبا لان الوالد يطلب ويسعى في تحصيله فيكون من جملة
اكتسابه وقال صلى الله عليه وسلم من الذنوب ذنوب
لا يكفرها الّا الهم في طلب المعيشة وقال صلى الله عليه وسلم

انى لا اعلم شيئا يقربكم من الجنة ويبعدكم من النار الا امرتكم به
ولا اعلم شيئا يبعدكم من الجنة ويقربكم من النار الا نهيتكم عنه
وان الروح الامين نفث فى روعى ان نفسا لن تموت
حتى تستوفى رزقها وان ابطاء عنها فاتقوا الله واجملوا
فى الطلب امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاجمال
فى الطلب ولم يقل اتركوا الطلب ثم قال فى آخره ولا يحملنكم
استبطاء شئ من الرزق على ان تطلبوه بمعصية الله تعالى
فان الله تعالى لا ينال ما عنده بمعصية قيل لاحمد بن حنبل ما تقول
فيمن جلس فى بيته او مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى يأتينى
رزقى فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقوله صلى الله عليه وسلم
حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها
تغدو فى طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتجرون فى البر والبحر ويعملون فى نخيلهم قال الفقيه ابو الليث
رحمه الله كره بعض الناس الاشتغال بالكسب وقالوا انه واجب
على كل انسان الاشتغال بعبادة الله تعالى والتوكل عليه
وحجتهم قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون

وقال

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما اوحى الي ان اجمع المال
وكن من التاجرين ولكن اوحى الي ان سبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
وقال عامة اهل العلم كسب ما يكفيه ولعياله واجب
فان زاد على ذلك فهو مباح ولا يكون الاشتغال
بطلب الزيادة حراما اذا لم يرد به الفخر والرياء انتهى
وقال فى احياء العلوم ومن ليس له مال موروث
فلا ينجيه من السوال الا الكسب والتجارة فان قلت
فقد قال صلى الله عليه وسلم ما اوحى الى ان اجمع المال
وكن من التاجرين ولكن اوحى الى ان سبح بحمد ربك
وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
وقيل لسلمان الرازى اوصنا فقال من استطاع
منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا مسجد ربه
فليفعل ولا يموتن تاجرا ولا خائنا فالجواب انه وجه
الجمع بين هذه الاخبار تفصيل الاحوال فنقول لسنا
نقول التجارة افضل مطلقا من كل شئ ولكن التجارة
اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة على الكفاية

فان طلب منها الزيادة على الكفاية لاستكثار المال
وادخاره لا للصرف الى الخيرات والصدقات فهي مذمومة
لانه اقبال على الدنيا التي حبها رأس كل خطيئة فان كان
مع ذلك خائنا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان فالتجارة
تعففاً عن السوال افضل وان كان لا يحتاج الى السوال
وكان يعطى من غير سوال فالكسب افضل لا بما يعطى بل
انه سائل بلسان حاله ومنادي بين الناس بفقره فالتعفف
والستر اولى من البطالة بل من الاشتغال بالاعمال
البدنية ترك الكسب افضل لاربعة عابد بالعبادات البدنية
او رجل له سير بالباطن وعمل بالقلب في علوم الاحوال
والمكاشفات او عالم يشتغل بتدبير علم الظاهر بما ينتفع
الناس به في دينه كالمفتي والمفسر والمحدث وامثالهم
او رجل يشتغل بمصالح المسلمين وقد تكفل امورهم
كالسلطان والقاضي والشاهد فهؤلاء اذا كانوا يأكلون
من الاموال المرصدة للمصالح والاوقاف المسبلة على
الفقراء والعلماء وامثالهم على اهم عليه افضل من الاشتغال
بالكسب ولهذا اوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان

ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين ولم يوح اليه
ان يكون من التاجرين لانه كان جامعا لهذه المعاني
الاربعة الى زيادات لا يحيط بها الوصف ولهذا اشار
الصحابة الى ابي بكر رضوان الله عليهم اجمعين بترك
التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح
وكان يأخذ كفايته من مال المصالح ورأى ذلك اولى
انتهى • وذكر في الاختيار ان الرسل عليهم السلام كانوا
يكتسبون ويأكلون من كسبهم فآدم النبي عليه السلام
زرع الحنطة وسقاها وحصدها وداسها وطحنها وخبزها
واكلها ونوح النبي عليه السلام كان نجارا وابراهيم النبي
عليه السلام كان بزازا وداود النبي عليه السلام كان
يصنع الدرع وسليمان النبي عليه السلام كان يعمل
المكتل الى غير ذلك اذا عرفت هذا لزمك ان توقف
العدل واجتناب الظلم في معاملتك **فصل في الظلم**
في المعاملة اعلم ان الظلم في المعاملة ما يستضر به الغير
سواء كان مما يعم ضرره او مما يخص وهو انواع الاول
الاحتكار فبايع الطعام يدخر الطعام ينتظر به غلاء الاسعار

وهو ظلم عام وصاحبه مذموم في الشرع وقد يكون الاحتكار
محمودا فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من جلب طعاما فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به وفي لفظ
آخر فكانما اعتق رقبة وقيل في قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد
بظلم نذقه من عذاب اليم ان الاحتكار من الظلم وداخل
تحت الوعيد النوع الثاني ترويج الزيف من الدراهم
في ابتداء النقد فهو ظلم اذ يستضر به المعامل ان لم يعرف
وان عرف فروجه على غيره وكذلك الثالث والرابع
ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر ويشيع الفساد
ويكون وزر الكل ووباله راجعا اليه فانه الذي فتح
ذلك الباب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن
سنة سيئة وعمل بها من بعده كان عليه وزرها
بعد موته الى مائة سنة او الى مائتين او الى اكثر وهذا الى
ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد ونقص من
اموال الناس بسببه وان كان ترويج الزيف مما يخصه
ضرر الظلم في المعاملة بالمعامل فكل ما يستضر به المعامل
فهو ظلم واما العدل ان لا يضر باخيه المسلم ويستوي عنده

درهمه

درهمه ودرهم غيره ولا يحب له الا ما يحب لنفسه فلا يثني
على السلعة بما ليس فيها وان لا يكتم من عيوبها وخفايا
صفاتها شيئا اصلا وان لا يكتم في وزنها ومقدارها
شيئا وان لا يكتم من سعرها ما لو عرفه المعامل لامتنع عنه
فان وصفه السلعة بما ليس فيها فهو كذب فان قبل فهو
تلبيس وظلم واما اظهار جميع عيوب المبيع خفيها وجليها
فواجب فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام
ويدل على تحريم الغش ما روي انه صلى الله عليه وسلم
مر برجل يبيع طعاما فاعجبه فادخل يده فرآه بللا فقال
صلى الله عليه وسلم ما هذا فقال اصابته السماء فقال صلى الله عليه وسلم
هلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا
وكان تاركا للنصح في المعاملة والنصح واجب ويدل على
وجوب النصح باظهار العيوب ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما بايع جريرا على الاسلام ذهب لينصرف فجذب ثوبه
واشترط عليه النصح لكل مسلم فكان جرير اذا قام
الى السلعة يبصر عيوبها ثم خيره وقال ان شئت فخذ
وان شئت فاترك فقيل له انك اذا فعلت هذا لم ينفذ لك بيع

قال انا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وقد سبق حكاية جرير رضي الله عنه وكان واثلة ابن الاسقع
واقفا فباع رجل ناقة بثلثمائة درهم فغفل واثلة وقد ذهب
الرجل بالناقة فسعى وراءه وجعل يصيح به وقال يا هذا
اشتريتها للحم او للظهر فقال بل للظهر فقال ان بخفها نقبا
قد رايته وانها لا تتابع السير فعاد فردها فنقصها البايع
مائة درهم وقال لواثلة رحمك الله افسدت على بيعي
فقال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصح لكل مسلم
وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لا يحل لاحد يبيع الا يبين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك
الا بينه فقد فهموا من النصح ان لا يرضى لاخيه الا ما يرضاه
لنفسه ولم يعتقدوا ان ذلك من الفضائل وزيادة
المقامات بل اعتقدوا انها من شروط الاسلام الداخلة
تحت بيعة فالنصح والصدق لازم على المتبايعين
وقد ورد في الحديث يد الله تعالى على الشريكين ما لم يتخاونا
فاذا تخاونا رفع يده عنهما فاذا لا يزيد مال من خيانة
كما لا ينقص من صدقة ومن يعرف الزيادة والنقصان

بالميزان

بالميزان لم يصدق بهذا الحديث ومن عرف ان الدرهم
الواحد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان
في الدين والدنيا والالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة
منها حتى يكون سببا لهلاك مالكه فيعرف معنى ان الخيانة
لا تزيد في المال والصدق لا ينقص منه على ان كل مؤمن
يعتقد ويعلم ان الربح الاخروي خير من ربح الدنيا وان
فوائد اموال الدنيا تنقضي بانقضاء العمر وتبقى مظالمها
واوزارها فكيف يستجيز العاقل ان يستبدل الذي هو
ادنى بالذي هو خير والخير كله في سلامة الدين قيل في تفسير
اخلاص كلمة لا اله الا الله في قوله صلى الله عليه وسلم من قال
لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة حين سئل ما اخلاصها قال
تحجزه عما حرم الله فينبغي لصاحب الصنعة ان يحسن الصنعة
ويحكمها ثم يبين عيبها ان كان فيها عيب وان يكيل كما يكال
قال الله تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس
يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون وكان
بعضهم يقول لا اشتري الويل من الله بحبة فكان اذا
اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة وكان يقول الويل

لمن باع بحبة جنة عرضها السموات والارض وما اخسر
من باع طوبى بويل وانما بالغوا فى الاحتراز عنه لانها
مظالم لا يمكن التوبة منها اذ لا يعرف اصحاب الحبات حتى
يجمع ويؤدى حقوقهم وينبغى ان يحترز عن الكذب كل
الاحتراز وان يصدق فى سواء الوقت ولا يخفى منه شيئا
فعليك الاحتراز عن ان يغتنم فرصة وينتهز غفلة صاحب
المتاع ويخفى من البايع غلاء السعر ومن المشترى تراجع
الاسعار فصل فى الاحسان فى المعاملة اعلم ان الاحسان
يجرى من التجارة مجرى الربح كما ان عدم الظلم وهو العدل
يجرى من التجارة مجرى سلامة راس المال وقد امر الله
بالعدل والاحسان جميعا فلا يغتر من هو عاقل قانع فى
معاملات الدنيا براس ماله فكذا معاملات الاخرة فلا يقتصر
المتدين فى الاتجار باحد الاجرين فيعامل بالعدل ويفتح
ابواب الاحسان قال الله تعالى واحسن كما احسن الله
اليك وقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان
وقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين والمراد ههنا
من الاحسان فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه

بل

بل هو تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل وترك
الظلم فمن اراد ان ينال رتبة الاحسان فعليه بواحد من ستة
امور الاول فى المغابنة فينبغى ان لا يغبن صاحبه بما لا يتغابن به
فى العادات فان اصل المغابنة ماذون فيه لان البيع للربح
ولا يمكن ذلك الا بغبن ما ولكن يراعى فيه التقريب فان
بذل المشترى زيادة على الربح المعتاد اما لشدة رغبته
او لشدة حاجته فى الحال فينبغى ان يمتنع من قبوله وذلك
من الاحسان ومهما لم يكن تلبيس لم يكن اخذ الزيادة
ظلما والثانى فى احتمال الغبن فيتساهل ويكون به محسنا
فاما اذا اشترى من غنى تاجر يطلب الربح زيادة
على حاجته فاحتمال الغبن منه ليس بمحمود بل هو تضييع مال
من غير اجر ولا حمد والثالث فى استيفاء الثمن
وساير الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض
ومرة بالامهال ومرة بالمساهلة فى طلب جودة النقد
وكل ذلك مندوب اليه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمح يسمح لك وذكر صلى الله عليه وسلم رجلا كان مسرفا
على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط

فقال لا الا انى كنت رجلا اداين الناس فاقول لفتيانى
سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفى لفظ آخر وتجاوزوا
عن المعسر فقال الله تعالى نحن احق بذلك منك فتجاوز الله عنه
وغفر له والرابع توفية الدين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه
ولو قبل وقته وليسلم اجود مما شرطه عليه واحسن وان عجز
فلينو قضاءه مهما قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان
دينا وهو ينوى قضاءه وكل به ملائكة يحفظونه ويدعون له
حتى يقضيه وكان جماعة من السلف يستقرضون من غير
حاجة لهذا الخبر ومهما كلم صاحب الحق بكلام خشن فليحتمله
وليقابله باللطف اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جاءه صاحب الدين عند حلول الاجل ولم يكن قد اتفق
قضاؤه فجعل الرجل يشدد الكلام على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فهم به اصحابه فقال صلى الله عليه وسلم
دعوه فان لصاحب الحق مقالا ومهما دار الكلام بين
المستقرض والمقرض فالاحسن ان يكون الميل الاكثر
من المتوسط الى من عليه الدين فان المقرض يقرض

ذ منهما الواسطة

عن

عن غنى والمستقرض يستقرض عن حاجة والخامس
ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم مستضر
بالبيع فلا ينبغى ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار
اخيه المسلم قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما
صفقته اقال الله عثرته يوم القيمة والسادس ان يقصد
فى معاملته من الفقراء بالنسيئة وهو فى الحال على ان لا يطالبهم
ان لم تظهر لهم ميسرة فقد كان فى صالحى السلف من يقول
لمن لا يعرف من الضعفاء والفقراء خذ ما تريد فان تيسر لك
فاقض والا انت فى حل منه وسعة فاجتهد ان تكون
قائما لذلك محييا لهذه السنة يوسع الله عليك
فبالتجارة يمتحن الرجال دينها وورعها وكذلك قيل
اذا اثنى على رجل جيرانه فى الحضر واصحابه فى السفر ومعاملوه
فى الاسواق فلا تشكوا فى صلاحه وشهد عند عمر رضى الله عنه
شاهد فقال ائتنى بمن يعرفك فاتاه برجل فاثنى عليه
خيرا فقال له عمر انت جاره الادنى الذى يعرف
مدخله ومخرجه فقال لا فقال انت رفيقه فى السفر الذى يستدل
عليه على مكارم الاخلاق فقال لا فقال عاملته بالدرهم

والدينار الذي يستبين به ورع الرجل فقال لا فقال
اظنك رايته قائما في المسجد يهمهم بالقرآن يخفض رأسه
طورا ويرفعه اخرى قال نعم قال اذهب فلست تعرفه
وقال للرجل اذهب فائتني بمن يعرفك فصل في شفقة
التاجر على دينه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل
احوجها اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل احمد
عاقبة في الآجل وقال الله تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا
اي لا تنس في الدنيا نصيبك منها للآخرة فانها مزرعة الآخرة
وفيها تكتسب الحسنات اعلم وفقك الله ان شفقة التاجر
لا تتم الا بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية
والعقيدة في ابتداء التجارة فلينو به الاستعفاف
عن السؤال وكف الطمع عن الناس استغناء بالحلال
عنهم واستعانة بما يكتسب على الدين وقياما بكفاية
العيال ليكون من جملة المجاهدين به ولينو النصح للمسلمين
وان يحب لسائر الخلق ما يحب لنفسه ولينو طريق
العدل والاحسان في معاملته ولينو الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر في كل ما يراه في السوق فاذا اضمر هذه

النيات

النيات كان عاملا في طريق الآخرة فربح في الدنيا والآخرة
والثاني ان يقصد القيام في صنعته او تجارته بفرض
من فروض الكفايات اذ الصناعات والتجارات لو تركت
بطلت المعايش وليس انتظام امر الكل الا بتعاون الكل
ويتكفل كل فريق بعمل وعلى هذا حمل بعض الناس قوله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات
والحرف اللازمة واما الحرف الغير اللازمة فلا يدخل
فيها كتصوير الحيوانات مثلا وفي صحيح البخاري عن عبد الله
رضي الله عنه مرفوعا قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول ان اشد الناس عذابا عند الله عز وجل المصورون
وفي رواية ابن عمر رضي الله عنهما ان الذين يصنعون
هذه الصور يعذبون يوم القيمة يقال لهم احيوا
ما خلقتم وروى هذا الحديث في صحيح المسلم ان من
اشد الناس عذابا يوم القيمة المصورون حتى وجه
البعض بان الاصل انه اي الشان وقال ابن مالك
وجهه الكسائي بزيادة من في اسم ان ورده صاحب المغني
بان الكلام موجب والمجرور معرفة وبان المعنى يأباه

لانهم ليسوا اشد عذابا يوم القيمة من سائر الناس واجيب
بانه اختلف نسخ صحيح مسلم ففي بعضها المصورين وهي الاكثر
وفي بعضها المصورون وان معنى الحديث على سبيل المبالغة
والرد عليهم وقيل المراد هنا من يصور ما يعبد من دون الله
وهو عارف بذلك قاصدا له فانه يكفر بذلك بقي فيه احتمال
ان يكون من للتبعيض كما قالوا في قوله تعالى ومن الناس من يقول
آمنا بالله انه مبتداء اي وبعض الناس من يقول آمنا بالله
والثالث انه لا يمنع صنعته وتجارته عن ذكر الله تعالى وعن
المساجد وعن الزكوة قال الله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة الاية
فيلازم المسجد ويواظب على ذكر الله تعالى وكان عمر رضي الله عنه
يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم
وكان صالحوا السلف يجعلون اول النهار وآخره للمعاد
والوسط للمعاش والرابع ان لا يقتصر بل يلازم ذكر الله تعالى
في اكثر الاوقات بل في السوق فذاكر الله تعالى في السوق
كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كالشجرة الخضراء بين الهشيم
وكان عمر رضي الله عنه يقول اذا دخل السوق اللهم اني

اعوذ بك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق
اللهم اني اعوذ بك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة وقال
صلى الله عليه وسلم من دخل السوق وقال لا اله الا الله
وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي
لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير كتب الله له الفي
الف حسنة والخامس انه لا يكون شديد الحرص على السوق
والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج
والسادس ان لا يقتصر على اجتناب الحرام بل يتقي مواضع
الشبهة ومظان الريب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى
يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا فالله سبحانه وتعالى
امر بالاكل من الطيبات قبل العمل قيل المراد بالطيب الحلال
وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم
والسابع ينبغي ان يراقب جميع مجاري معاملته مع كل
واحد من معامليه ولا يذهب الى الباطل قال تعالى
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الاية وقال تعالى ان الذين
يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا

وسيصلون سعيرا وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين وقال تعالى فان لم تفعلوا
فأذنوا بحرب من الله ورسوله ثم قال وان تبتم فلكم رؤس
اموالكم ثم قال عز وجل ومن عاد فاولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون جعل اكل الربوا في اول الاية مؤذنا
بمحاربة الله عز وجل وفي آخره معرضا للنار وقال صلى الله عليه وسلم
كل لحم نبت من الحرام فالنار اولى به وقال صلى الله عليه وسلم
من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل
من اين ادخله النار وقال صلى الله عليه وسلم خير دينكم
الورع ويروى ان الله تعالى قال في بعض كتبه واما الورعون
فاني استحيي ان احاسبهم وفي حديث ابي هريرة
رضي الله عنه المعدة حوض البدن والعروق اليها
واردة فاذا صحت المعدة صدرت العروق بالصحة
واذا سقمت صدرت بالسقم ومثل الطعمة من الدين
مثل الاساس من البنيان فاذا ثبت الاساس وقوي
استقام البناء وارتفع واذا ضعف الاساس واعوج
انهار البنيان ووقع وقد قال الله تعالى افمن اسس بنيانه

على

على تقوى من الله ورضوان الاية وروي ان الصديق
رضي الله عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سأل عبده فقال
تكهنت لقوم فاعطوني فادخل اصبعه في فيه وجعل يقيء في
طشت حتى ظننت ان نفسه ستخرج ثم قال اللهم اني اعتذر
اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما اخبر بذلك قال وما علمتم ان الصديق
لا يدخل جوفه الا طيبا ويقال من اكل الشبهة اربعين يوما
اظلم قلبه وهو تأويل قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
ما كانوا يكسبون فينبغي التحرز على كل حال لان هذه الامة
خير الامم فانت من هذه الامة والخيرية صفتك قال
صلى الله عليه وسلم مثل امتي كمثل المطر لا يدري اوله خير
ام آخره واما التوفيق بين قوله هذا وبين قوله خير القرون
من انا فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب
فلعل المراد في الحديث الثاني من حيث حصولها بمشاهدة
نور النبوة بمجاورته الذي هو كالايمان بالشهادة او قريب
منها وفي الحديث الاول من حيث حصولها بقوة العقيدة
من جهة انه الايمان بالغيب اعلم ان تفصيل اصناف الحلال

والحرام مبين في كتب الفقه ويعلم منه مراتب الشبهات
ومنازلها وتمييزها عن الحلال والحرام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها
كثير من الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه
ودينه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي
يرعى حول الحمى يوشك ان يقع فيه فاذا عرفت هذا فنقول
ان المجهول الذي لا يدرى حاله لا يقول انه مشكوك فيه
لان الشك عبارة عن اعتقادين متقابلين لهما سببان
متقابلان والفرق بين ما لا يدرى وبين ما يشك فيه ظاهر
والورع ترك ما لا يدرى قال في احياء العلوم وتكلم جماعة
في اشد الاعمال فقالوا هو الورع فقال لهم حسان بن
ابي سنان ما شيء عندي اسهل من الورع اذا حاك
في صدري شيء تركته فهذا اشرط الورع وانما نذكر الآن
حكم الظاهر فنقول حكم الشرع ان المجهول ان قدم اليك
طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه
شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان
كافيتان في الهجوم على اخذه وليس لك ان تقول الفساد والظلم

غالب على الناس فهذا وسوسة وسوء ظن بهذا المسلم
بعينه وان بعض الظن اثم وهذا المستحق يستحق باسلامه
عليك ان لا تسئ الظن به فان اسأت الظن في عينه
لانك رأيت فسادا من غيره فقد جنيت عليه واثمت به
في الحال من غير شك ويدل عليه انا نعلم ان الصحابة
في غزواتهم واسفارهم كانوا ينزلون في القرى ولا يردون
القرى ويدخلون البلاد ولا يحترزون من الاسواق
وكان الحرام ايضا موجودا في زمانهم وما نقل عنهم سؤال
الا عن ريبة اذ كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل
عن كل ما يحمل اليه بل سأل في اول قدومه الى المدينة عما
يحمل اليه اصدقة او هدية لان قرينة الحال وهو دخول
المهاجرين الى المدينة وهم فقراء يغلب على الظن انما يحمل اليهم
بطريق الصدقة ثم اسلام المعطي ويده لا يدل على انه
ليس بصدقة وكان يدعى الى الضيافات فيجيب ولا يسأل
اصدقة ام لا اذ العادة ما جرت بالتصدق بالضيافة
ولذلك دعته ام سليم فيما رواه انس بن مالك وقدم اليه
طعام فيه قرع فاذا عرفت هذا فاعلم ان كل مؤمن اخوه

فمقتضى الاخوة ان يكون المعاملة مطابقة للشرع فى جميع
الاحوال فحق الاخوة بين المؤمنين ثابت قال الله تعالى
انما المؤمنون اخوة الآية فارشدهم لمصالحهم فى الهم
واخيهم انما يكون بمراعاة حقها فالله سبحانه وتعالى يوفقنا
لما يحب ويرضى وهو يهدى السبيل الباب الثانى فى كف
الاذى عنهم اعلم وفقك الله تعالى ان كف الاذى كما علم
فى المقصد الاول من شعب الايمان حتى ان اماطة الاذى
عن الطريق منه وذلك لان كل مؤمن اخوة والرابطة
هى الدين والتقوى ومقتضى الاخوة فى الدين ان يحب
كل مؤمن لكل مؤمن ما يحبه لنفسه ويكره ويترك له ما يكره
ويتركه لنفسه قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة وقال تعالى
فاصبحتم بنعمته اخوانا وقال عليه الصلوة والسلام فى الثناء
على الاخوة فى الدين من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا
ان نسى ذكره وان ذكر اعانه وقال صلى الله عليه وسلم
مثل الاخوين اذا التقيا مثل اليدين يغسل احدهما الاخرى
وما التقى المؤمنان قط الا افاد الله احدهما من صاحبه خيرا
وقال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال له

ابشر

ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيمة
وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس
ولا يخافون وهم اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون فى الله عز وجل
اعلم ان تمييز معنى الاخوة فى الله عز وجل عن الاخوة فى الدنيا
يحتاج الى البصيرة يروى ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام
هل عملت لى عملا قط فقال الهى صليت لك وصمت وتصدقت
فقال ان الصلوة لك برهان والصوم جنة والصدقة
ظل والذكر نور فاى عمل عملت لى قال موسى الهى دلنى على عمل
هو لك قال يا موسى هل واليت فى وليا وهل عاديت فى
عدوا فعلم موسى ان افضل الاعمال الحب فى الله والبغض
فى الله وقال ابن مسعود رضى الله عنه لو ان رجلا قام بين
الركن والمقام يعبد الله سبعين سنة لبعثه الله يوم القيمة
مع من يحب ودخل رجل على داود الطائى روح الله روحه
فقال له ما حاجتك فقال زيارتك فقال اما انت فقد عملت
خيرا حين زرت ولكن انظر لماذا اذا قيل لى من انت امن الزهاد انت

لا والله امن العباد انت لا والله امن الصالحين انت
لا والله ثم اقبل يوبخ نفسه ويقول كنت فى الشبيبة فاسقا
فلما شخت صرت مرائيا والله المرائى شر من الفاسق
وقال الفضيل نظر الرجل الى وجه اخيه على المودة والرحمة
عبادة قال فى احياء العلوم اعلم ان الحب فى الله والبغض
فى الله غامض وينكشف الغطاء عنه بما نذكره وهو ان الصحبة
ينقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار او بسبب
الاجتماع فى المكتب او فى المدرسة او فى السوق او على
باب السلطان او فى الاسفار او الى ما ينشا باختيار او يقصد
وهو الذى نريد بيانه اذ الاخوة فى الدين واقعة فى هذا
القسم لا محالة اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية
ولا ترغيب الا فيها والصحبة عبارة عن المجالسة والمخالطة
والمجاورة وهذه الامور لا يقصد الانسان بها غيره
الا اذا احبه فان غير المحبوب يجتنب ويباعد ولا يقصد
مخالطته والذى يحب فاما ان يحب لذاته لا ليتوصل به
الى محبوب ومقصود وراءه واما ان يحب للتوصل به
الى مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورا على

الدنيا

الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالله تعالى فهذه اربعة
اقسام اما القسم الاول وهو حبك الانسان لذاته
فذلك ممكن وهو ان يكون فى ذاته محبوبا عندك على معنى
انك تلتذ برؤيته ومعرفته ومشاهدة اخلاقه لاستحسانك له
فان كل جميل لذيذ فى حق من ادرك حاله وكل لذيذ محبوب
واللذة تتبع الاستحسان والاستحسان يتبع المناسبة والملائمة
والموافقة بين الطباع ثم ذلك المستحسن اما ان يكون
هى الصورة الظاهرة اعنى حسن الخلقة واما ان يكون
هى الصورة الباطنة اعنى كمال العقل وحسن الخلق ويتبع
حسن الاخلاق حسن الافعال لا محالة ويتبع كمال العقل
غزارة العلم وكل ذلك يستحسن عند الطبع السليم والعقل
المستقيم وكل ذلك مستحسن مستلذ به ومحبوب بل
فى ائتلاف القلوب امر اغمض من هذا فانه قد يستحكم المودة
بين شخصين من غير ملاحة فى صورته وحسن فى خلق
وخلق ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة
فان شبه الشئ ينجذب اليه بالطبع والاشباه الباطنة
خفية ولها اسباب دقيقة ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها

اى مما ذكر من الاقسام الاربعة اعنى حبك
الانسان لذاته او للتوصل به الى
مقصود وذلك المقصود اما ان يكون
مقصورا على الدنيا وحظوظها واما
ان يكون متعلقا بالله تعالى
منه

انتهى، فاذا عرفت هذا عرفت ان من يحب في الله يحب
لانه مطيع لله تعالى ومحبوب عند الله تعالى فمن احب بسبب
فبالضرورة يبغض لضده اذ المتلازمان لا ينفصل احدهما
عن الآخر واما اذا اختلطت الطاعات بالمعاصي فانك تقول
كيف اجمع بين البغض والمحبة وهما متناقضان وتناقض ثمرتهما تهما
من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة فاجاب
صاحب احياء العلوم وقال ذلك غير متناقض في حق الله تعالى
كما لا يتناقض في الحظوظ البشرية فانه مهما اجتمع في شخص واحد
خصال يحب بعضها ويكره بعضها فانك تبغضه من وجه
وتحبه من وجه فمن له ولد ذكي خدوم ولكنه فاسق
فانه يحبه من وجه ويبغضه من وجه فيكون معه على حالة
بين حالتين اذ لو فرض له ثلثة اولاد احدهم ذكي بار
والآخر بليد عاق والآخر بليد بار او ذكي عاق فانه يصادف
نفسه معهم على ثلثة احوال متفاوتة بحسب تفاوت
خصالهم وكذلك ينبغي ان يكون حالك بالاضافة الى من
غلب عليه الفجور ومن غلب عليه الطاعة ومن اجتمع فيه
كلاهما متفاوتة على ثلث مراتب وذلك بان تعطي كل
صفة

صفة حظها من البغض والحب والاعراض والاقبال والصحبة
والقطيعة وسائر الافعال الصادرة عليه منه وروي في غريب
التفسير في قوله تعالى ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات
ويزيدهم من فضله قال يشفعهم من اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم
ويقال اذا غفر للعبد شفع في اخوانه ولذلك حث جماعة
من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة
والانفراد فهذه فوائد يستدعي كل فائدة شروطا لا تحصل
الا بها ولا يخفى تحصيلها اما على الجملة فينبغي ان يكون فيمن يؤثر
صحبته خمس خصال بان يكون عاقلا حسن الخلق غير فاسق
ولا مبتدع ولا حريص على الدنيا اما العقل فهو راس المال
وهو الاصل فلا خير في صحبة الاحمق اذ الى القطيعة والوحشة متعلق بترجع
ترجع عاقبتها وان طالت كيف والاحمق قد يضرك
وهو يريد نفعك واعانتك من حيث لا يدرك ولذلك
قيل مقاطعة الاحمق قربان الى الله تعالى وقال بعض العلماء
لا تصحب الا احد رجلين رجل تتعلم منه شيئا من امر
دينك فينفعك ورجل تعلمه شيئا من امر دينه فيقبل
منك والثالث فاهرب منه وقال بعضهم الناس اربعة

فواحد حلو كله فلا تشبع منه وآخر مر كله فلا تأكل منه وآخر
فيه حموضة فخذ من هذا قبل ان يأخذ منك وآخر فيه ملوحة
فخذ منه وقت الحاجة فقط وقال جعفر الصادق
رضي الله عنه لا تصحب خمسة الكذاب فانك منه
على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد ويبعد
منك القريب والاحمق فانك لست منه على شيء
تريد ان ينفعك فيضرك والبخيل فانه يقطع بك احوج
ماتكون اليه والجبان فانه يسلمك وينفر عند الشدة
والفاسق فانه يبيعك باكلة او اقل منها وقال الجنيد
روح الله روحه لان يصحبني فاسق حسن الخلق احب الي
من ان يصحبني قارئ سيء الخلق وقال سهل بن عبد الله
اجتنب صحبة ثلثة من اصناف الناس الجبابرة الغا فلين
والقراء المداهنين والمتصوفة الجاهلين وقال البشر الحافي
روح الله روحه الاخوة ثلاث اخ لآخرتك واخ
لدنياك واخ لتأنس به وقلما تجتمع هذه المقاصد في واحد
بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة فقال
المأمون الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا تستغني

عنه

عنه والآخر مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت
والثالث مثله مثل الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد
قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه ولا نفع وقد قيل مثل جملة
الناس مثل الشجر والنبات منها ما له ظل وليس له ثمر وهو مثل
الذي ينتفع به في الدنيا دون الآخرة فان نفع الدنيا
كالظل السريع الزوال ومنها ما له ثمر وليس له ظل وهو مثل
الذي يصلح للآخرة دون الدنيا ومنها ما له ثمر وظل جميعا
وهو مثل الذي يصلح للدنيا والآخرة ومنها ما ليس له واحد
منهما كام غيلان تخرق الثياب لا طعم فيه ولا شراب
ومثاله من الحيوانات الفارة والعقرب كما قال الله تعالى
يدعو لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير
فمن لم يجد رفيقا يؤاخيه ويستفيد به احد هذه المقاصد
فالوحدة اولى به قال ابو ذر رضي الله عنه الوحدة خير
من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة واما
الديانة وعدم الفسق فقد قال الله تعالى واتبع سبيل من
اناب الي وقيل لا تنظروا الى الظلمة فتحبط اعمالكم
الصالحة بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم وانما السلامة

بحسن العاقبة في الانقطاع عنهم على حسب ما هم عليه
قال الله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي سلامة
ومعناه انا سلمنا من اثمكم وانتم سلمتم من شرنا نعوذ بالله
من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا **فصل** اعلم ان
لمقتضى الاخوة حقوقا يلزمك الوفاء بها حقا في المال
وفي النفس وفي اللسان وفي القلب بالعفو والدعاء والاخلاص
والوفاء وترك التكلف والتكليف **اما الاول** ففي المال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الاخوين
اذا التقيا مثل اليدين يغسل احدهما الاخرى وانما
شبههما باليدين لا باليد والرجل لانهما يتعاونان
على غرض واحد فكذا الاخوان انما تتم اخوتهما اذا
ترافقا في مقصد واحد فهما من وجه كالشخص الواحد
وهذا يقتضي المسامحة في السراء والضراء وجاء رجل
الى ابي هريرة رضي الله عنه فقال اني اريد ان اواخيك
في الله تعالى فقال اتدري ما حق الاخاء قال عرفني
قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك مني فقال
لم ابلغ هذه المرتبة بعد قال فاذهب عني وروي ان مالك

ابن دينار ومحمد بن واسع دخلا منزل الحسن روح الله
ارواحهم وكان غائبا فاخرج محمد بن واسع سلة فيها
طعام من تحت سرير الحسن فجعل يأكل فقال له مالك
كف يدك حتى يجي صاحب البيت فلم يلتفت محمد الى قوله
واقبل على الاكل وكان ابسط منه واحسن خلقا فدخل الحسن
فقال يا مالك هكذا كنا لا نحتشم بعضنا من بعض حتى
ظهرت انت واصحابك واشار بهذا الى ان الانبساط
في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة **واما الثاني**
ففي الاعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل
السؤال وتقديمها على الحاجات الخاصة وفي الاثر ما زاد
رجل اخا في الله شوقا الى لقائه الا ناداه ملك من خلفه
طبت وطابت لك الجنة وقال عطاء تفقدوا اخوانكم
بعد ثلاث فان كانوا مرضى فعودوهم او مشاغيل
فاعينوهم او كانوا نسوا فذكروهم قيل لجليسي على ثلاث
اذا دنا رحبت به واذا حدث اقبلت عليه واذا
جلس اوسعت له وقد قال الله تعالى رحماء بينهم اشارة
الى الشفقة والاكرام ومن تمام الشفقة ان لا ينفرد بطعام

وأمّا الثالث فعلى اللسان بالسكوت مرّة والنطق اخرى
امّا السكوت فهو ان يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته
وغيبته بل يتغافل عنه ويسكت عن الرد عليه فيما يتكلم به
فلا يماريه ولا يناقشه ثمّ انّ الغيبة ثلثة اضرب الاوّل
ان يغتاب ويقول لست اغتاب لانى اذكر ما فيه
فهذا انّ استحل الحرام القطعى لقوله تعالى ولا يغتب بعضكم
بعضا فقد كفر وانّ اراد انه ذكر الفاجر بما فيه فلا والاوجب
ان لا يقوله لانّ بعض الفقهاء حكم بالكفر على ظاهره والثانى
ان يغتاب ويبلغ غيبتهُ المغتاب فهذه معصية فيها
حق العبد فلابد مع التوبة من الاستحلال من المغتاب
والثالث ان يغتاب ولم تبلغه فيكفيه التوبة والاستغفار
وانّ يسكت عن التجسس والسؤال عن احواله واذا رآه
في طريق او في حاجة ولم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره
ومورده فلا يسأله عنه فربّما يثقل عليه ذكره او يحتاج
الى ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره التى بثها
اليه فلا يبثها الى غيره البتة ولا الى اخص اصدقائه ولا يكشف
شيئا منه ولو بعد القطيعة والوحشة فانّ ذلك

من

من لؤم الطبع وخبث الباطن وانّ يسكت عن القدح
احبابه واهله وولده وانّ يسكت عن حكاية قدح
غيره فيه فان الذى سبّك من بلغك قال انس
رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلّم لا يواجه
احدا بشئ يكرهه والتاذى اوّلا من المبلّغ ثم من القائل
نعم لا ينبغى ان يخفى ما يسمع من الثناء عليه فان السرور به
اولى من مبلغ المدح ثم من القائل واخفاء ذلك
من الحسد وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه جملة
وتفصيلاً الّا اذا وجب عليه النطق في امر بمعروف
او نهى عن منكر ولم يجد رخصة في السكوت فانّ
ذلك لا يبالى بكراهته لان ذلك نظر له واحسان اليه
في التحقيق وانْ كان يظن انها اساءة في الظاهر
امّا ذكر مساويه وعيوبه ومساوى اهله فهو من
الغيبة وذلك حرام في حق كل مسلم وقال
صلى الله عليه وسلم المجالس بالامانة الّا ثلثة مجالس
مجلس يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام
ومجلس يستحل فيه مال حرام او من غير حلّه وامّا الرابع

فعلى الاخ النطق فان الاخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره
تقتضي ايضا النطق بالمحاب بل هو اخص بالاخوة
والسكوت معناه كف الاذى فعليه ان يتودد بلسانه
ويتفقد احواله التي يحب ان يتفقدها فانه اخبار المحبة
قال صلى الله عليه وسلم اذا احب احدكم اخاه فليخبره
وانما امر بالاخبار لان ذلك يوجب زيادة حب
فان عرف انك تحبه احبك بالطبع فاذا عرفت انه
يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد
من الجانبين والتحاب بين المؤمنين محبوب في
الدين وقال عليه السلام تهادوا تحابوا واما الخامس
فالعفو بالقلب عن الزلات والهفوات وهفوة الصديق
لا تخلو اما ان تكون في دينه بارتكاب معصية او في حقك
بتقصير في الاخوة اما ما يكون في الدين بارتكاب معصية
واصراره عليها فعليك التلطف في نصحه بما يجمع شمله
ويعيد الى الصلاح حاله فان لم يقدر وبقي مصرا فقد
اختلف طرق الصحابة والتابعين في ادامة حق مودته
او مقاطعته فذهب ابو ذر رضي الله عنه الى الانقطاع

وقال

وقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه فابغضه من حيث
احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض
في الله واما ابو الدرداء وجماعة من الصحابة فذهبوا الى
خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان ن
عليه فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم
اخرى وقال النخعي لا تقطع اخاك ولا تهجره عند الذنب
بذنبه فانه يركبه اليوم ويتركه غدا وقال ايضا لا تحدثوا
الناس بزلة العالم فان العالم يزل الزلة ثم يتركها وفي
الخبر اتقوا زلة العالم ولا تقطعوه وانتظروا فيئته وفي
حديث عمر رضي الله عنه وقد سئل عن اخ كان
آخاه فخرج الى الشام فسأل عنه بعض من قدم عليه
وقال ما فعل اخي فقال ذاك اخو الشيطان فقال مه
قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت
الخروج فآذني فكتب عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله
الا هو اليه المصير ثم عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب

بلى وقال صدق الله ونصح لي عمرو تاب ورجع
وقال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري
اذا اجبت اخا في هذا الزمان فلا تعاتبه على ما يكره فانك
لا تأمن ان ترى في جوابك ما هو شر من الاول
قال فجربته فوجدته كذلك وقال بعضهم الصبر على
مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة
والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في
البغض عند الوقيعة قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم
وبين الذين عاديتم منهم مودة وروي انه قال صلى الله عليه وسلم
احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما
وقال عمر رضي الله عنه لا تكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا
واما السادس فالدعاء للاخ في حياته وبعده بكل ما يحبه
لنفسه ولاهله وكل متعلق به فتدعو له كما تدعو لنفسك
ولا تفرق بين نفسك ونفسه فان دعاءك له دعاء
لنفسك فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا الرجل
لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك **واما السابع**

فالوفاء

فالوفاء والاخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب وادامته
قال صلى الله تعالى عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله
تحت ظل عرشه اخوين تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا
وروي انه صلى الله عليه وسلم اكرم عجوزا دخلت عليه فقيل له
في ذلك فقال صلى الله عليه وسلم انها كانت تأتينا ايام خديجة
وان كرم العهد من الايمان وفي لفظ آخر حسن العهد من
الايمان فمن الوفاء مراعاة جميع اصدقائه واقاربه والمتعلقين به
فيدل على قوة الشفقة والحب تعديها من المحبوب الى كل
من يتعلق به **واما الثامن** فالتخفيف وترك التكلف
والتكليف وذلك بان لا يكلف اخاه ما يشق عليه قيل من
جعل نفسه عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل
نفسه في قدره تعب واتعبهم ومن جعلها دون قدره سلم
وسلموا وتمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه
فيما لا يستحيي من نفسه وقال الجنيد روح الله روحه ما تواخى
اثنان في الله عز وجل فاستوحش احدهما من صاحبه
او احتشمه الا لعلة في احدهما وقال علي رضي الله عنه
شر الاصدقاء من تكلف لك ومن احوجك الى مداراة

والجاءك الى اعتذار واعلم ان الناس ثلثة رجل تنتفع
بصحبته ورجل يقدر على انه ينفعه ولا يتضرر به ولكن لا تنتفع به
ورجل لا يقدر ايضا على ان ينفعه وهو الاحمق او السيء الخلق
فهذا الثالث ينبغي ان تجتنب فاما الثاني فلا تجتنب لانك
تنتفع بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به وقد
اوحى الله تعالى الى موسى ان اطعتني فما اكثر اخوانك اي
ان واسيتهم واحتملت منهم وقال بعضهم صحبت الناس
خمسين سنة فما وقع بيني وبينهم خلاف لاني كنت معهم
على نفسي ومن هذه سمته كثر اخوانه وقد قيل من سقطت
كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته
وقال صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء امتي براء من التكلف
وقال ابو معاوية الاسود اخواني كلهم خير مني قيل
وكيف قال كلهم يرى ان لي الفضل على نفسه ومن
فضلني على نفسه فهو خير مني وقد قال صلى الله عليه وسلم
المرء على دين خليله ولا خير في صحبة من لا يرى لك
مثل ما ترى له فاذا عرفت هذا فعليك بحسن الخلق فمن
كان نظره الى صحبة الخلق فتارة يعوج وتارة يستقيم

ومن

ومن كان نظره الى الحق لزم الاستقامة في كل حال وزين باطنه
بالحب لله وللخلق وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فانها
اعلى انواع الخدمة اذ لا وصول اليها الا بحسن الخلق ويدرك العبد
بحسن خلقه درجة القائم الصائم وبه كف الاذى عن العباد والله تعالى
ولي التوفيق والارشاد **الباب الثالث** في تعليم ما جهلوا
اعلم ايدك الله بفضل منه ان الانسان يحتاج في تعيشه الى مخالطة
من هو من جنسه ولا تتم المخالطة الا بعد تعلم ادب المخالطة
وكل مخالط ففي مخالطته ادب والادب على قدر حقه وحقه على قدر
رابطته التي بها وقعت المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها
او اخوة الاسلام وهي اعمها واما الجوار واما صحبة السفر واما
الصحبة في شركة التعلم فلكل واحد من الروابط درجات فالقرابة لها
حق ولكن حق الرحم المحرم اكد وللرحم المحرم حق ولكن حق الوالدين
اكد وكذلك حق الجار يختلف بحسب قربه من الدار وبعده
ويظهر التفاوت عند النسبة وكذلك حق المسلم يتاكد بتاكد
المعرفة وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة
كحق الذي عرف بالسماع والمعرفة بعد وقوعها تتاكد بالخلط
وكذلك الصحبة تتفاوت درجاتها فحق الصحبة في شركة التعلم

اكد من حق صحبة السفر وكذلك الصداقة تتفاوت فانها اذا قويت
صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة ثم خلة والمحبة ما يتمكن
من حبة القلب والخلة ما يتخلل نفس القلب فمعنى كون الخلة فوق الاخوة
ان لفظ الخلة عبارة عن حالة هي اتم من الاخوة قال عليه الصلوة والسلام
لو كنت متخذا خليلاً لاتخذت ابابكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله
اذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع اجزاء قلبه ظاهراً وباطناً
ويستوعبه ولم يكن يستوعب قلبه صلى الله عليه وسلم سوى
حب الله تعالى وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه مع انه اتخذ
علياً رضي الله عنه اخا وكان صلى الله عليه وسلم حبيب الله وخليله
وروى انه صعد المنبر يوماً مستبشرا فرحا فقال ان الله اتخذني
خليلاً كما اتخذ ابرهيم خليلا فانا حبيب الله وانا خليل الله فاذاً
ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة وبالجملة فحقوق الاسلام
كثيرة فمن جملتها حق اخوة الاسلام وحق الرحم وحق الدين وحق
ملك النكاح وملك اليمين وحق الجار قال في فتاوى قاضيخان
رجل اتخذ بستانا وغرس فيها اشجارا بجنب دار جاره قال
ابو القاسم رحمه الله ليس في هذا تقدير ويجب ان يتباعد من جاره
قدر ما لا يضر بدار جاره انتهى فيسلم عليه اذا لقيه ويجيبه اذا دعاه

ويعوده

ويعوده اذا مرض ويشهد جنازته اذا مات ويبر قسمه اذا اقسم عليه
وينصح له اذا استنصح ويحفظه بظهر الغيب اذا غاب ويحب له
ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لنفسه وقال معاذ رضي الله عنه
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث ووفاء العهد واداء الامانة وترك الخيانة
وحفظ الجار ورحمة اليتيم ولين الكلام وبذل السلام وخفض
الجناح وروى انس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال اربع من حق المسلمين عليك ان تعين محسنهم
وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب
تائبهم وقال ابن عباس رضي الله عنه في معنى قوله تعالى رحماء
بينهم قال يدعو صالحهم لطالحهم اذا نظر الطالح الى الصالح — وطالحهم لصالحهم صح
من امة محمد صلى الله عليه وسلم قال اللهم بارك له فيما قسمت له
من الخير وثبته عليه وانفعنا به واذا نظر الصالح الى الطالح قال
اللهم اهده وتب عليه واغفر له ومن الحقوق ان يحب للكافة
من المؤمنين ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه قال عليه السلام
المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده قيل الناس رجلان
مؤمن فلا تؤذه وجاهل فلا تجاهله ومن الحقوق ان يتواضع

لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل مختال فخور ومن
الحقوق ان لا يزيد فى الهجر لمن يعرفه على ثلثة ايام مهما غضب عليه
روى مسلم فى صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يفتح ابواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد
لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه
شحنا فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا يعنى يقول الله تعالى
للملائكة النازلة بهدايا المغفرة امهلوا ولا تعطوا منها النصيب
الرجلين اللذين بينهما عداوة حتى يرتفع ويقع بينهما الصلح
وقال ابو ايوب الانصارى قال صلى الله عليه وسلم لا يحل
لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض
هذا وخيرهما الذى يبدا بالسلام وقال عكرمة قال الله تعالى
ليوسف عليه السلام بعفوك عن اخوتك رفعت ذكرك
فى الذاكرين ومن الحقوق ان يحسن الى كل من قدر منهم
ما استطاع لا يميز بين الاهل وغير الاهل روى على بن الحسين
عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اصنع المعروف الى اهله فان لم تصب اهله فانت اهله
وباسناده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قيل فتح ابواب الجنة مجاز عن كثرة
الغفران واعطاء المنازل
وقال القاضى يجوز ان يكون
على ظاهره لان الجنة مخلوقة
وفتح ابوابها يكون علامة لذلك
منه

راس

راس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر
وفاجر ومن الحقوق ان لا يدخل على احد منهم الا باذنه فان لم يؤذن له
انصرف قال ابو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون
والثالثة يأذنون او يردون ومن الحقوق المعاملة بحسن الخلق
ومن الحقوق ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال جابر رضى الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم
صغيرنا والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال عليه السلام من اجلال الله تعالى اكرام ذى الشيبة المسلم
ومن تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن
وفى الخبر ما وقر شاب شيخا لسنه الا قيض الله له فى سنه
من يوقره وهذه اشارة بدوام الحيوة قال الغزالى رحمه الله
فليتنبه له فلا يوفق ليوقر الشيوخ الا من قضى الله له بطول العمر
ومن الحقوق ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه
قال صلى الله عليه وسلم اتدرون على من حرمت النار فقالوا
الله ورسوله اعلم قال على اللين الهين السهل القريب وروى عنه
صلى الله عليه وسلم انه قال ان فى الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها

وبطونها من ظهورها فقال اعرابي لمن هي يا رسول الله فقال لمن طيب
الكلام واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام وقال انس رضي الله عنه
عرضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وقالت لي معك حاجة
وكان معه ناس فقال صلى الله عليه وسلم اجلسي في اي نواحي السكك
شئت اجلس اليك ففعلت فجلس اليها حتى قضت حاجتها ومن الحقوق
ان لا يعد مسلما بوعد الا ويوفي به قال صلى الله عليه وسلم
العدة دين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث في المنافق
اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان ومن
الحقوق ان ينصف الناس من نفسه ولا يأتي اليهم الا ما يحب
ان يؤتى اليه قال صلى الله عليه وسلم لا يستكمل العبد الايمان
حتى يكون فيه ثلث خصال الانفاق من الاقتار والانصاف
من نفسه وبذل السلام ومن الحقوق انه يزيد في توقير من يدل
هيأته وثيابه على علو منزلته فينزل الناس منازلهم قال في فتاوى
قاضيخان قوم يقرأون القرآن من المصحف او يقرأ رجل واحد
فدخل عليهم واحد من الاجلة والاشراف فقام القاري لاجله
قالوا ان دخل عليه عالم او ابوه او استاذه الذي علمه العلم
جاز له ان يقوم لاجله وما سوى ذلك لا يجوز انتهى فانظر كيف

جوز

جوز الفقهاء رحمهم الله لتعظيم الاجلة والاشراف للقاري وروي
ان عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنزلت منزلا فوضعت
طعامها فجاء سائل فقالت عائشة ناولوا هذا المسكين قرصا
ثم مر رجل على دابة فقالت ادعوه الى الطعام فقيل لها تعطين
المسكين قرصا وتستدعين الغني الى الطعام فقالت ان الله تعالى
قد انزل الناس منازل لا بد لنا ان ننزلهم تلك المنازل هذا
المسكين يرضى بقرص وقبيح بنا ان نعطي هذا الغني على هذه الهيئة
قرصا وروي انه صلى الله عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه
اصحابه حتى امتلأ المجلس فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا
فقعد على الباب فلف رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه
وقال له اجلس على هذا فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله
ويبكي ثم لفه ورمى به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت
لاجلس على ثوبك اكرمك الله عز وجل كما اكرمتني فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
يمينا وشمالا ثم قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه وكذلك كل من له
حق قديم فليكرمه ومن الحقوق ان يصلح ذات البين بين المسلمين
مهما وجد اليه سبيلا قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم بافضل
من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح

ذات البين ومن الحقوق ان يستر عورات المسلمين كلهم قال
صلى الله عليه وسلم من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة
قال الغزالي رحمه الله وهذا من اعظم الادلة على طلب الشرع
لستر الفواحش فان افحشها الزنا وقد نيط باربع من العدول
يشاهدون ذلك منه في ذلك منها كالميل في المكحلة وهذا قط
لا يتفق وان علمه القاضي تحقيقا لم يكن له ان يكشف فانظر الى الحكمة
في حسم باب الفاحشة بايجاب الرجم الذي هو اعظم العقوبات
ثم انظر الى كيفية ستر الله تعالى كيف اسبله على العصاة من خلقه
بتضييق الطريق في كشفه فنرجو ان لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر
ان شاء الله تعالى وعن عبد الرحمن بن عوف قال حرست مع
عمر ليلة بالمدينة فبينا نحن نمشي اذ ظهر لنا سراج فانطلقنا فلما دنونا
منه اذا باب مغلق على قوم لهم لغط واصوات فاخذ عمر
بيدي وقال اتدري بيت من هذا قلت لا قال هذا بيت
ربيعة بن امية بن خلف وهم الان شرب فما ترى قلت
ارى انا اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا فرجع عمر
وتركهم وهذا يدل على وجوب الستر وترك التتبع ومن الحقوق
ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن

ولالسنتهم

ولالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا عصوا الله تعالى بذكره وكان هو السبب فيه
كان شريكا قال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله
فيسبوا الله عدوا بغير علم وقال صلى الله عليه وسلم كيف ترون
من يسب ابويه فقالوا فهل من احد يسب ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره
فيسب ابويه ومن الحقوق ان يشفع لكل من له حاجة من المسلمين
الى من له عنده منزلة ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه روي ان النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من صدقة افضل من صدقة اللسان
قيل وكيف قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر
ويدفع بها المكروه عن آخر ومن الحقوق ان يبدا كل مسلم بالسلام
قبل الكلام ولا ينبغي ان يسلم على القاري كيلا يشغله عن القراءة
فان سلم عليه قال بعضهم لا يجوز رد السلام على القاري وقال
بعضهم يجب وهو اختيار الفقيه ابي الليث ولا يسلم على احد
وقت الخطبة كما لا يشمت العاطس واذا سلم وقت الخطبة لا يجب
على السامع رد السلام وكذا السائل اذا اتى باب دار انسان
فقال السلام عليكم لا يجب رد السلام عليه وكذا اذا سلم على القاضي
في المحكمة كذا في فتاوى قاضيخان والانحناء عند السلام منهي عنه
قال انس رضي الله عنه اينحني بعضنا لبعض قال صلى الله عليه وسلم

لا قال فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح بعضنا بعضاً
قال نعم والالتزام والتقبيل قد ورد عند القدوم من السفر
وقال ابو ذر ما لقيته صلى الله عليه وسلم الا صافحني وطلبني يوما
فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير فالتزمني
ويصافحه عند السلام قال صلى الله عليه وسلم من بدا بالكلام
قبل السلام فلا تجيبه حتى يبدا بالسلام والمصافحة ايضا سنة مع السلام
وفي فتاوى قاضيخان ولا باس للرجل مصافحة العجوز التي لا تشتهى
وان تغمز رجله وكذا لو كان الرجل شيخا يامن على نفسه وعليها
فلا باس بان يصافحها وان كان لا يامن لا يحل انتهى والاخذ
بالركاب في توقير العلماء ورد به الاثر فعل ابن عباس رضي الله عنه
ذلك بركاب زيد بن ثابت واخذ عمر رضي الله عنه بعضد زيد
حتى رفعه وقال هكذا فافعلوا بزيد وباصحاب زيد وجاء رجل
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سلام عليكم فقال صلى الله عليه وسلم
عشر حسنات فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله فقال
عشرون فجاء آخر فقال سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال
صلى الله عليه وسلم ثلاثون وكان انس رضي الله عنه يمر على الصبيان
فيسلم ويروى عنه عليه الصلوة والسلام انه فعل ذلك ومن الحقوق

تشميت

تشميت العاطس كما مر عن ابن مسعود رضي الله عنه قال كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا يقول اذا عطس احدكم فليقل
الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من عنده يرحمك الله فاذا
قال ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وشمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
عاطسا ولم يشمت آخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت
سكت وقال صلى الله عليه وسلم شمت المسلم اذا عطس ثلثا
فان زاد فهو زكام وقال ابو هريرة رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده
وقال ابو موسى رضي الله عنه كان اليهود يتعاطسون عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجاء ان يقول يرحمكم الله فكان يقول صلى الله عليه وسلم
يهديكم الله وقال صلى الله عليه وسلم من عطس عنده فسبق الى الحمد
لم يشتك خاصرته ومن الحقوق انه اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله
ويتقيه وقال بعضهم خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة
فان الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر قال ابو الدرداء
رضي الله عنه انا لنبش في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وهذا
معنى المداراة مع من يخاف شره قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن
قال ابن عباس في قوله تعالى ويدرؤن بالحسنة السيئة اي الفحش

والذي بالسلام والمداراة وقال في معنى قوله تعالى ولولا دفع الله الناس
بعضهم ببعض الرغبة والرهبة والحياء والمداراة وقالت عائشة
رضي الله عنها استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال عليه السلام ائذنوا له فبئس رجل العشيرة فلما دخل ألان له
القول حتى ظننت ان له عنده منزلة فلما خرج قلت له لما دخل قلت
الذي قلت والآن ألنت له القول فقال يا عائشة ان شر الناس
منزلة عند الله تعالى يوم القيمة من تركه الناس اتقاء فحشه وفي الخبر
ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة وقيل خالطوا الناس باعمالهم
وزايلوهم بالقلوب ومن الحقوق ان يكون اكثر مخالطته بالمساكين
وان يحسن الى الايتام قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه
ان للنار سبعة ابواب ثلثة للاغنياء وثلثة للنساء وواحد
للفقراء والمساكين وقال الفضيل بلغني ان نبيا من الانبياء قال
يا رب كيف لي ان اعلم رضاك عني قال كيف رضى المساكين عنك
واما اليتيم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما
من ابوين مسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة وقال
صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة وهو يشير
باصبعيه ومن الحقوق النصيحة لكل مسلم والجهد في ادخال السرور

في

في قلبه قال صلى الله عليه وسلم ان احدكم مرآة اخيه فاذا رأى شيئا
فليمط عنه وقال صلى الله عليه وسلم من اقر عين مؤمن اقر الله
عينيه يوم القيمة وقال عليه السلام انصر اخاك ظالما او مظلوما
فقيل كيف ينصره ظالما فقال يمنعه من الظلم وفيه معنى لطيف
وهو ان نصرة الظالم من حيث هو مظلوم فان الشيطان ظلمه بما وسوس
اليه في صدره من ظلمه غيره فنصره بان تعينه على دفع ما القى الشيطان
عنده من تزيينه ظلم الغير فالنصرة الا لكونه مظلوما فمن وسوس
في صدره وحال بينه وبين الهدى الذي هو له ملك فابتاعه
منه الشيطان بالضلالة واشترى الضلالة بالهدى فسمى ظالما
واذا بينت له بنصحك وافتيته ان هذا البيع مفسوخ لا ينعقد شرعا
وان صفقة خاسرة فقد نصره مع كونه ظالما فرجع عن ظلمه وتاب
وذلك هو فسخ البيع اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين وقال صلى الله عليه وسلم
خصلتان ليس فوقهما شيء من الشر الشرك بالله والضر لعباد الله
وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر الايمان بالله والنفع لعباد الله
ومن الحقوق ان يعود مرضاهم والموافقة والاسلام كاف
في اثبات هذا الحق ونيل فضله وآداب العايد خفة المجلس الجلسة

وقلة السؤال واظهار الرقة والدعاء بالعافية وغض البصر عن عورات
الموضع وقال صلى الله عليه وسلم تمام عيادة المريض ان يضع احدكم
يده على جبهته او على يده ويسأله كيف هو وتمام تحياتكم المصافحة وقال
عثمان رضي الله عنه مرضت فعادني رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بسم الله الرحمن الرحيم اعيذك بالله الاحد الصمد الذي لم يلد
ولم يولد ولم يكن له كفوا احد من شر ما تجد قاله مرارا ودخل صلى عليه وسلم
على علي رضي الله عنه وهو مريض يعوده فقال له قل اللهم اني اسألك اني ح
تعجيل عافيتك او صبرا على بليتك او خروجا من الدنيا الى رحمتك
فانك ستعطى احديهن ويستحب للعليل ان يقول اعوذ بعزة الله للعليل صح
وقدرته من شر ما اجد وقال علي رضي الله عنه اذا اشتكى احدكم
بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها فليشتر به عسلا ويشربه
بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء والمبارك وجملة آداب
المريض حسن الصبر وقلة الشكوى والضجر والفزع الى الله والتوكل
بعد الدواء على خالق الداء ومن الحقوق ان يشيع جنائزهم قال
صلى الله عليه وسلم من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان
وقف حتى يدفن فله قيراطان وقال صلى الله عليه وسلم يتبع الميت
ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى واحد يتبعه ماله واهله وعمله فيرجع اهله

وماله

وماله ويبقى عمله ومن الحقوق ان يزور قبورهم والمقصود من ذلك
الدعاء والاعتبار وترقيق القلب قال صلى الله عليه وسلم ما رأيت
منظرا الا والقبر افظع منه والحاصل ان هذه جمل تعلمك وتنبهك
على آداب المعاشرة مع عموم الخلق والجملة الجامعة ان لا تستصغر
منهم احدا حيا كان او ميتا الا اذا رأيت منكرا في الدين فتعادي
افعالهم القبيحة وتنظر اليهم بعين الرحمة لهم واذا سألت اخا
منهم حاجة فقضاها فهو اخ مستفاد فان لم يقضها فلا تعاتبه فيصير
عدوا يطول عليك مقاساته ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه
مخائل القبول ولا يسمع منك ويعاديك وليكن وعظك
ارسالا من غير تنصيص على شخص ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا
فاشكر الله الذي سخرهم لك واستعذ بالله ان يكلك اليهم
واذا بلغك منهم غيبة كانت ما كانت فكل امرهم الى الله واستعذ
بالله من شرهم وكن فيهم سميعا لحقهم اصم عن باطلهم ناطقا بحقهم
صامتا عن باطلهم ولا تتوكل على مودة من لم تختبره حق الخبرة
بان تصحبه مدة فتجربه في غزله وولايته وغناه وفقره او تسافر معه
او تعامله في الدينار والدرهم او تقع في شدة فتحتاج اليه فان
رضيته في هذه الاحوال فاتخذه ابا لك ان كان كبيرا وابنا

مثلا لك ساح

ان كان صغيرا واخا انه كان مثلا لك لكن الجوار يقتضي حقا وراء
ما يقتضيه اخوة الاسلام فيستحق الجار ما يستحقه كل مسلم وزيادة
اذ قال صلى الله عليه وسلم الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له
حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار
وحق الاسلام وحق الرحم واما الذي له حقان فالجار المسلم له حق
الجوار وحق الاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر
كيف اثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار وقال صلى الله عليه وسلم
لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وتؤذي جيرانها فقال
صلى الله عليه وسلم في النار وجاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشكو جاره فقال له صلى الله عليه وسلم اصبر ثم قال له في الثالثة
او الرابعة اطرح متاعك على الطريق فجعل الناس يمرون به
فيقولون ما لك فيقال اذاه جاره فجعلوا يقولون لعنه الله
فجاء جاره فقال له رد متاعك فوالله لا اعود وقال مجاهد
كنت عند عبد الله بن عمر رضي الله عنه وغلام يسلخ شاة فقال
يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا اليهودي قال ذلك مرارا
فقال له لم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل

يوصينا

يوصينا بالجار حتى ظننا انه سيورثه وقال هشام كان الحسن رضي الله عنه
لا يرى باسا ان يطعم اليهودي والنصراني من اضحيته وقال عليه السلام
قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او اسأت
قال عليه الصلوة والسلام اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت
فقد احسنت واذا سمعتهم يقولون قد اسأت فقد اسأت وقال
صلى الله عليه وسلم ان من سعادة المرء المسلم المسكن الواسع
والجار الصالح والمركب الهني وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه من يأخذ هذه الكلمات
فيعمل بهن او يعلم من يعمل بهن قال ابو هريرة رضي الله عنه انا
يا رسول الله فاخذ بيدي فعد خمسا فقال اتق المحارم تكن اعبد الناس
وارض بما قسم الله تعالى لك تكن اغنى الناس واحسن الى جارك
تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما فعلم من هذا
ان الجار يستحق ما يستحقه كل مسلم وزيادة فلهذا ذكرنا
ذكره وبالجملة ان الاخبار والآثار في الجار كثيرة لا تحصى فصل
في بيان حقوق الاقارب اجمالا قال صلى الله عليه وسلم
يقول الله تعالى انا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسما من اسمي
فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته وروي ان عمر رضي الله عنه

كتب الى عماله مروا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا وانما
قال ذلك لان التجاور يوجب التزاحم على الحقوق وربما يورث
الوحشة وقطيعة الرحم اعلم ان حق الوالدين والولد اكد
فانه اذا تاكد حق القرابة والرحم فاخص الارحام وامسها الولادة
لتتضاعف تاكد الحق قال صلى الله عليه وسلم لن يجزئ ولد
والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه وقد قال صلى الله عليه وسلم
بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد
فى سبيل الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح مرضيا
لابويه اصبح له بابان مفتوحان الى الجنة وان امسى مثل ذلك
وان كان واحدا فواحد ومن اصبح مسخطا لابويه اصبح له بابان
مفتوحان الى النار وان امسى مثل ذلك وان كان واحدا
فواحد وان ظلما وان ظلما وان ظلما قاله ثلثا وقال
صلى الله عليه وسلم ان من ابر البر ان يصل الرجل اهل ود ابيه
وقال صلى الله عليه وسلم الوالدة اسرع اجابة قيل يا رسول الله
ولم ذلك قال هى ارحم من الاب ودعوة الرحم لا تسقط
وسأله رجل فقال يا رسول الله من ابر قال بر والديك
فقال ليس لى والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك عليك

حقا

حقا كذلك لولدك عليك حق وقال صلى الله عليه وسلم
رحم الله والدا اعان ولده على بره اى لم يحمله على العقوق بسوء عمله
وقال انس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الغلام
يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الاذى فاذا بلغ ست سنين
عزل فراشه فاذا بلغ ثلثة عشر ضرب على الصلوة والصوم
فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذ بيده وقال ادبتك
وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك
فى الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم حق الولد على الوالد ان
يحسن ادبه ويحسن اسمه وقال عليه السلام كل غلام رهين
او رهينة بعقيقة تذبح عنه يوم السابع ويحلق راسه وجاء
رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال
هل دعوت اليه قال نعم قال انت افسدته ويستحب الرفق
بالولد ورأى الاقرع ابن حابس النبى صلى الله عليه وسلم وهو
يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا
منهم فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم فهذه
الاخبار دالة على تاكد حق الوالدين لكون الرابطة اكد
من الغير حتى ان عند اكثر العلماء ان طاعة الابوين فى الشب

في الشبهات فليس لك ان تسافر في مباح او نافلة الا باذنهما فلا تخرج
الى طلب العلم الا اذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلوة
والصوم ولم يكن في بلدك من يعلمك قال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
هاجر رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليمن واراد الجهاد
فقال عليه السلام هل باليمن ابواك قال نعم قال هل اذنا لك
فقال لا فقال عليه السلام ارجع الى ابويك فاستأذنهما فان فعلا
فجاهد والا فبرهما ما استطعت فان ذلك خير ما تلقى الله به
بعد التوحيد واما حقوق ملك النكاح فالعلم بها بالعلم بآداب اما حقوق ملك النكاح
المعاشرة وما يجري في دوام النكاح والنظر فيما على الزوج
وفيما على الزوجة اما الزوج فعليه مراعاة الاعتدال والادب
في امر الوليمة والمعاشرة والدعابة والسياسة والغيرة والنفقة
والتعليم والقسم والتأديب بالنشوز والوقاع وغيرها
واما الوليمة فهي مستحبة قال انس رضي الله عنه رأى رسول الله اما الوليمة
صلى الله عليه وسلم على عبد الرحمن بن عوف اثر الصفرة
فقال ما هذا قال تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب
فقال بارك الله لك اولم ولو بشاة واولم رسول الله صلى الله عليه وسلم
على صفية بسويق وتمر واما المعاشرة فحسن الخلق معهن اما المعاشرة

واحتمال

واحتمال الاذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن قال الله تعالى
وعاشروهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم من صبر على سوء
خلق امرأته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب على بلائه
ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية
امرأة فرعون واما الدعابة فهو ان يزيد على احتمال الاذى
بالمزح والملاعبة فهي التي تطيب قلوب النساء فقد كان
صلى الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الى درجات عقولهن
في الاعمال والاخلاق حتى روي انه صلى الله عليه وسلم يسابق عائشة
رضي الله عنها في العدو فسبقته يوما وسبقها في بعض الايام
فقال صلى الله عليه وسلم هذه بتلك وقالت عائشة رضي الله عنها
سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون يوم
عاشورا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحبين ان ترى
لعبهم فقلت نعم فارسل اليهم فجاؤوا وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقني
على يده وهم يلعبون وانا انظر ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول حسبك واقول اسكت مرتين او ثلاثا ثم قال يا عائشة
حسبك فقلت نعم فاشار اليهم فانصرفوا واما السياسة واما السياسة

فهو ان لا يبسط في الدعابة وحسن الموافقة باتباع هواها
الى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبة عندها بل يراعي الاعتدال
في ذلك ولا يدع الهيبة والانقباض مهما راى منكرا ولا يفتح
باب المساعدة على المنكرات البينة مهما راى ما يخالف الشرع
تنمر وامتعض قال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الزوجة
وانما قال ذلك لانه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس
فان الله تعالى ملكه المراة فملكها نفسه فقد قلب القضية وعكس الامر
واطاع لما قال ولآمرنهم فليغيرن خلق الله اذ حق الزوج انه يكون
متبوعا لا تابعا وسيدا وقواما قال تعالى والفيا سيدها
لدى الباب الرجال قوامون على النساء واما الغيرة فالمعتبر
الاعتدال وهو ان لا يتغافل عن مبادي الامور التي تخشى
غوائلها ولا يبالغ في اساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن
فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تتبع عورات النساء
واما الغيرة التي في محلها لا بد منها فهي محمودة قال صلى الله عليه وسلم
اني لغيور وما من امرئ لا يغار الا منكوس القلب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضي الله عنها
اي شيء خير للمراة فقالت ان لا ترى رجلا ولا يراها رجل

فضمها

فضمها اليه وقال ذرية بعضها من بعض واستحسن قولها وكان
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسدون الثقب والكوى
في الحيطان لئلا تطلع النساء الى الرجال واما النفقة فالاعتدال
فيها فلا ينبغي ان يقتر عليهن في الانفاق ولا ينبغي انه يسرف
بل يقتصد قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى ولا تجعل يدك
مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية واما التعليم
فهو ان يتعلم ما يلزم انه تعلم الزوجة ويعلم زوجته احكام الصلوة
واعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها بدعة ويخوفها بالله تعالى
اذا تساهلت في امر من امور الدين واما القسم فينبغي
اذا كان له نسوة انه يعدل بينهن ولا يميل الى بعضهن واما
النشوز فينبغي انه يصلح ما بينهما ان كان الخصام من جهتهما جميعا
واما اذا كان من المراة خاصة فالرجال قوامون على النساء
فله ان يؤدبها ويحملها على الطاعة بتدريج بالوعظ والتحذير
ثم ضرب غير عنيف واما الوقاع فيستحب انه يبدا ببسم الله الرحمن الرحيم
قال صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم اذا اتى اهله قال اللهم
جنبني الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد
لم يضره الشيطان هذا بعض آداب ملك النكاح واما ملك اليمين

تا ملك اليمين

فهو ايضا يقتضي حقوقا مثله لابد من مراعاتها فقد قال صلى الله عليه وسلم
اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون
ولا تكلفوهم ما لا تطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا
ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم
اياكم وقال عليه السلام للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف
ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وروى فضالة بن عبيد رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يسأل عنهم رجل
فارق الجماعة او عصى امامه فمات عاصياً فلا يسأل عنه وامرأة
غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤنة الدنيا فتبرجت بعده
فلا يسأل عنها وثلثة لا يسأل الله عز وجل عنهم ينازع الله
رداءه ورداءه الكبرياء وازاره العز ورجل في شك
من الله تعالى والقنوط من الرحمة نعوذ بالله منه وبالجملة اذا تم
تعلم ما شرعه الله تعالى من ادب المخالطة وعمل بمقتضاه فقد علم
ما جهل اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه

الباب الرابع

في بيان اعانتهم على البر والتقوى وستر عوراتهم اعلم
ايدك الله وايانا ان هذا البيان انما يحصل بالاحتساب والاحتساب
انكاره عليه وتقديمه الخير واعتداده فيما يدخر عند الله تعالى

الجوهري وتبرجت اظهرت زينتها للرجال

اذ

اذ الاحتساب هو الامر بالمعروف اذا ظهر تركه والنهي عن المنكر
اذا ظهر فعله فالحسبة امر لازم فلهذا قيل القضاء باب من ابواب
الحسبة وجزء من اجزائها وقد دونوا فيها كتباً وكيف لا والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من اعظم امور الدين وهو المهم الذي بعث الله
له الانبياء والمرسلين وفي اهمال علمه ومباشرة عمله تعطيل الديانة
وافشاء الضلالة فيستولي على القلوب مداهنة الخلق بحيث يمحى
عنها الخوف عن الخالق فيدل على فضيلة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
اشارات العقول السليمة اليها واجماع الامة عليها مع ورود الآيات
والاخبار والآثار فيها اما الآيات فقوله تعالى ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية ففي هذه الآية
بيان انه فرض كفاية لا فرض عين وانه اذا قام به امة سقط
عن الباقين اذ قال عز من قائل ولتكن منكم ولم يقل كونوا آمرين
فمهما قام به واحد او جماعة سقط عن الآخرين وان سكتوا كلهم
عم الحرج عليهم كافة وقال الله تعالى ليسوا سواء من اهل الكتاب
امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله
واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون
في الخيرات واولئك من الصالحين فلم يشهد لهم بالصلاح بمجرد الايمان

بالله واليوم الآخر حتى اضاف اليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
والمسارعة في الخير وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الآية وقال تعالى لعن الذين
كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك
بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس
ما كانوا يفعلون فشدد الله النكير اذ علق استحقاقهم اللعنة
بتركهم النهي عن المنكر وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر الآية وهذا يدل على فضيلة
الامر بالمعروف اذ بين انهم كانوا خير امة وقال تعالى فلما نسوا ما ذكروا به
انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب
بئيس بما كانوا يفسقون فبين انهم استفادوا النجاة بالنهي
عن السوء وقال تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
وآتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر الآية فقرن
ذلك بالصلوة والزكوة في نعت المؤمنين وقال تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ومعنى التعاون
الحث عليه وتسهيل طرق الخير وسد سبيل الشر والعدوان
بحسب الامكان وقال تعالى لولا ينهاهم الربانيون والاحبار

عن

عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون فبين انهم
اثموا بالترك وقال تعالى فلولا كان من القرون من قبلكم اولوا
بقية ينهون عن الفساد في الارض الآية فبين انه اهلك جميعهم
الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد في الارض وقال تعالى
يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين الآية وذلك هو الامر بالمعروف للوالدين
والاقربين والاقربون اولى بالمعروف في حكم الشرع والاقربون
على نوعين قرابة طينية وهي قرابة النسب وقرابة دينية
والمعتبر في الشرع القرابة الدينية وان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لا يتوارث اهل ملتين فلولا الدين ما ورث قرابة الطين شيئا
وقال تعالى لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف
او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف
نؤتيه اجرا عظيما واما الاخبار فمنها ما روي عن ابي بكر رضي الله عنه
انه قال في خطبته ايها الناس انكم تقرؤن هذه الآية وتأولونها
على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم

فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده وقال ابوذر
الغفاري رضي الله عنه قال ابوبكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله
هل من جهاد غير قتال المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نعم يا ابا بكر ان لله تعالى مجاهدين في الارض افضل من الشهداء احيا
مرزوقون يمشون على الارض يباهي الله تعالى بهم ملائكة في السما
وتزين لهم الجنة كما تزينت ام سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ابوبكر يا رسول الله ومن هم قال هم الآمرون بالمعروف
والناهون عن المنكر والمحبون في الله والمبغضون في الله قال
والذي نفسي بيده ان العبد منهم ليكون في الغرفة فوق الغرفات
فوق غرف الشهداء للغرفة منها ثلثمائة الف باب باب منها
الياقوت والزمرد الاخضر على كل باب نور وان الرجل منهم
ليزوج ثلثمائة الف حوراء قاصرات الطرف عين كلما التفت
الى واحدة منهن ينظر اليها تقول اتذكر يوم كذا وكذا امرت
بالمعروف ونهيت عن المنكر كلما التفت الى واحدة منهن
ذكرت له كل مقام امر فيه بمعروف ونهى عن منكر وقالت
عايشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عذب
اهل قرية فيها ثمانية عشر الفا عملهم عمل الانبيا قالوا يا رسول الله

كيف

كيف قال لم يكونوا يغضبون لله لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون
عن المنكر واخرج البخاري ومسلم عن اسامة بن زيد انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالرجل يوم القيمة فيلقى
في النار فتندلق اقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى
فيجتمع اليه اهل النار فيقولون يا فلان مالك الم تكن تأمر بالمعروف
وتنهى عن المنكر فيقول بلى كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وانهى
عن المنكر وآتيه وزاد في رواية الشيخ ل واني سمعته عليه السلام
يقول مررت ليلة اسري بي باقوام تقرض شفاههم بمقاريض
من نار قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال خطباء امتك الذين
يقولون ما لا يفعلون وعن ابي سعيد رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتم علما مما ينفع الله به في
امر الناس في الدين الجمه يوم القيمة بلجام من نار وعن انس
رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم العلماء امناء
الرسل على العباد ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا في الدنيا
فاذا دخلوا في الدنيا وخالطوا السلطان فقد خانوا الرسل
فاعتزلوهم وعن معاذ ابن جبل رضي الله عنه انه قال تعرضت
او تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت

فقلت له يا رسول الله اي الناس شر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم غفرا سل عن الخير ولا تسأل عن الشر شرار الناس شرار
العلماء وقال ابن عباس رضي الله عنه قيل يا رسول الله اتهلك القرية
وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم
عن معاصي الله تعالى وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان اهل
قرية يعملون بالمعاصي وكان فيهم اربعة نفر ينكرون ما يعملون
فقام احدهم فقال انكم تعملون كذا وكذا فجعل ينهاهم ويخبرهم
بقبيح ما يصنعون فجعلوا يردون عليه ولا يرجعون عن اعمالهم
فسبهم فسبوه وقاتلهم فغلبوه فاعتزلهم ثم قال اللهم اني
قد نهيتهم فعصوني وسببتهم فسبوني وقاتلتهم فغلبوني ثم ذهب
ثم قام الآخر فنهاهم فلم يطيعوه فسبهم فسبوه فاعتزل ثم قال
اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني وسببتهم فسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم قام الثالث فنهاهم فلم يطيعوه فاعتزل عنهم ثم قال
اللهم اني قد نهيتهم فلم يطيعوني ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم
غلبوني ثم ذهب ثم قام الرابع فقال اللهم اني لو نهيتهم عصوني
ولو سببتهم لسبوني ولو قاتلتهم غلبوني ثم ذهب قال ابن مسعود
رضي الله عنه كان الرابع ادناهم منزلة وقليل فيكم مثله وقال

ابن مسعود

ابن مسعود رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله عز وجل نبيا الا وله حواري فيمكث النبي بين اظهرهم
ما شاء الله يعمل فيهم بكتاب الله تعالى وبامره حتى اذا قبض نبيه
مكث الحواريون يعملون بكتاب الله وبامره وسنة نبيهم فاذا
انقرضوا كان من بعدهم قوم يركبون رؤوس المنابر يقولون
ما يعرفون ويعملون ما ينكرون فاذا رأيتم ذلك فحق على
كل مؤمن جهادهم بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع
فبقلبه ليس وراء ذلك اسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليسلطن الله عليكم شراركم
ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم معناه يسقط مهابتهم عن اعين
الاشرار فلا يخافونهم وقال صلى الله عليه وسلم ما اعمال البر عند الجهاد
في سبيل الله الا كرمية في بحر لجي وما جميع اعمال البر والجهاد
في سبيل الله عند الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا كرمية
في بحر لجي وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعذب الخاصة
بذنوب العامة حتى يرى المنكر بين اظهرهم وهم قادرون
على ان ينكروه فلا ينكروه والاخبار الواردة في ذلك كثيرة لا تحصى
واما الآثار فقد قال ابو الدرداء رضي الله عنه لتأمرن بالمعروف

ولتنهن عن المنكر او ليسلطن الله عليكم سلطانا ظالما لا يجل كبيركم ولا يرحم
صغيركم ويدعو عليه خياركم فلا يستجاب لهم وتنتصرون فلا تنصرون
وتستغفرون فلا يغفر لكم وسئل حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء
فقال الذي لا ينكر المنكر بيده ولا بلسانه ولا بقلبه وقال علي بن
ابي طالب رضي الله عنه اول ما تغلبون عليه من الجهاد الجهاد
بايديكم ثم الجهاد بالسنتكم ثم الجهاد بقلوبكم فاذا لم تعرف القلوب
المعروف ولم تنكر المنكر انتكست وجعل اعلاها اسفلها وقال سهل
ايما عبد عمل في شيء من دينه بما امر به او نهي عنه وتعلق به عند
فساد الامور وتنكرها وتشوش الزمان فهو ممن قد قام لله تعالى
في زمانه بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر معناه انه اذا لم يقدر
الا على نفسه فقام بها وانكر احوال الغير بقلبه فقد جاء بما هو الغاية
في حقه وقيل للفضيل الا تامر وتنهى فقال ان قوما امروا ونهوا
فكفروا وذلك انهم لم يصبروا على ما اصيبوا وقيل للثوري الا تامر
بالمعروف وتنهى عن المنكر فقال اذا انبثق البحر فمن يقدر يسكنه
فصل في بيان مراتب الحسبة اعلم ان الحسبة لها مراتب اولها
التعريف فان المقدم على المنكر قد يقدم لجهله فاذا عرف انه منكر
تركه كالسوادي يصلي ويترك بعض الاركان ولا يحسن الركوع

في القاموس شبق العين تشبق اسرع دمعها والنهر نبعا وتشبا قا اسرع جريه وكثر ماؤه

والسجود فيعلم ان ذلك لجهله بان هذا ليس بصلوة ولو رضي بان لا يكون
مصليا لترك اصل الصلوة فيجب تعريفه باللطف من غير عنف وذلك
لان في ضمنه نسبته الى الجهل والحمق والتجهيل ايذاء وقلما يرضى الانسان
بان ينسب الى الجهل بالامور الدينية لا سيما بالشرع والثانية الوعظ
بالكلام اللين اللطيف اذ تاثيره اكثر من الكلام الشديد العنيف فلهذا
قيل اللين اقوى من الشدة فرب مستقيم له عوج يزال عوجه باللين
اكثر مما يزال بالشدة بل الشدة تضره فينكسر بها واللين من مكارم
الاخلاق قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب مكارم الاخلاق
ويبغض سفسافها وقال الله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت
فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك الآية ويدل على وجوب
الرفق ما استدل به المامون اذ وعظه واعظ وعنف له في القول
فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو
شر مني وامره بالرفق فقال الله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى فليكن اقتداء المحتسب في الرفق بالانبياء فقد روى ابو امامة
ان شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله اتاذن لي
في الزنا فصاح الناس به فقال عليه الصلوة والسلام ادن فدنا
حتى جلس بين يديه فقال صلى الله عليه وسلم اتحبه لامك قال لا

جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لامهاتهم التحية لابنتك
قال لا جعلني الله فداك قال صلى الله عليه وسلم كذلك الناس لا يحبونه
لبناتهم التحية لاختك وزاد ابن عوف انه ذكر العمة والخالة وهو يقول
في كل واحدة لا جعلني الله فداك وهو صلى الله عليه وسلم يقول كذلك الناس
لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما يعني ابن عوف والراوي الآخر
فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم
طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء ابغض اليه منه يعني
من الزنا ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل وعليه صفرة
فكرهه فلم يقل شيئا حتى خرج فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع
هذه يعني الصفرة وقال صلى الله عليه وسلم في نهي الاعرابي الذي
بال في المسجد ان هذه المساجد لا تصلح لشيء من القذر والبول
والخلاء فانظر كيف يرفق النبي صلى الله عليه وسلم والثالثة
الشدة بالكلام العنيف اذا اقتضاه ويقول يا احمق يا جاهل
الا تستحيي الا تخاف من الله وما يجري هذا المجرى والرابعة
المنع بالقهر بطريق المباشرة باختطاف الثوب الحرير من رأسه
واستلاب المنديل المغصوب من يده ورده الى صاحبه وكسر
الملاهي واراقة خمر المسلم لشاربها هذا اذا كان مأذونا
من

من جهة الامام والوالي واما اذا لم يكن فالاكتفاء بالثالثة او الثانية اذ ربما
يؤدي الى فساد اكبر والخامسة التخويف والتحذير والتهديد بالضرب
من جهة الحكام او مباشرة الضرب له حتى يمنع عنه ان كان من جهتها
ولا يشترط ان يكون متعاطي الاحتساب معصوما عن المعاصي كلها فان
شرط ذلك فهو خرق للاجماع لكن ينبغي للمحتسب انه لا يدخل في جملة من
قال الله فيهم اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم الآية ولعدم
كون العصمة شرطا في الحسبة قال سعيد بن جبير رضي الله عنه
ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر احد بشيء
وقوله اتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم انكار من حيث
انهم نسوا انفسهم لا من حيث انهم امروا غيرهم ولكن ذكر امر الغير
استدلالا به على علمهم وتأكيدا للحجة عليهم وقوله تعالى لم تقولون
ما لا تفعلون المراد به الوعد الكاذب قال حجة الاسلام في الاحياء
فان زعموا ان ذلك لا يشترط عن الصغائر حتى يجوز للابس الحرير
ان يمنع من الزنا وشرب الخمر فنقول هل لشارب الخمر ان يغزو الكفار
ويحتسب عليهم بالمنع من الكفر فان قالوا لا خرقوا الاجماع اذ جنود
المسلمين لم تزل مشتملة على البر والفاجر وشاربي الخمر وظالمي
الايتام ولم يمنعوا من الغزو لا في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم

ولا بعده فان قالوا نعم فنقول شارب الخمر هل له المنع من القتل ام لا
فان قالوا لا قلنا فما الفرق بينه وبين لابس الحرير اذ جاز له المنع
من الخمر والقتل كبيرة بالنسبة الى الشرب كالشرب بالنسبة الى
لبس الحرير فلا فرق فان قالوا نعم وفصلوا الامر فيه بان كل مقدم
على شيء لا يمنع عن مثله ولا عما دونه وانما يمنع عما فوقه فهذا الحكم
فانه كما لا يبعد ان يمنع الشارب من الزنا فمن اين يبعد ان يمنع
الزاني من الشرب بل من اين يبعد ان يشرب ويمنع غلمانه وخدمه
من الشرب ويقول يجب علي الانتهاء والنهي فمن اين يلزمني
من العصيان باحدهما ان اعصي الله تعالى بالثاني وكان النهي واجب
علي فمن اين سقط وجوبه باقدامي اذ يستحيل ان يقال يجب النهي
عن شرب الخمر عليه ما لم يشرب فاذا شرب سقط عنه النهي انتهى
واعلم ان الحسبة على ما فيه الحسبة وهو ان يكون منكرا موجودا في الحال
ظاهرا للمحتسب بغير تجسس معلوما مع كونه منكرا بغير اجتهاد فالاول
اعني كونه منكرا ان يكون محذور الوقوع في الشرع اما لكون الشيء معو
ظهر تركه واما لكونه منكرا ظهر فعله والثاني اعني كونه موجودا في الحال
ان لا يكون مثلا على من فرغ من شرب الخمر او سوف يشرب
او سيشرب بقرينة حاله انه عازم على الشرب في ليلته فلا حسبة

عليه مثل هذا الا بالوعظ فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا فان فيه
اساءة ظن بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدر على ما عزم عليه
لعائق والثالث اعني كونه ظاهرا للمحتسب بغير تجسس انه لا يجوز
ان يتجسس عليه وقد نهى الله تعالى وقد اوردنا فيما سبق القصة المشهورة
وهي قصة عمر وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكذلك
روي ان عمر رضي الله عنه تسلق دار رجل فرآه على حالة مكروهة
فانكر عليه فقال الرجل يا امير المؤمنين ان عصيت الله من وجه
فقد عصيته من ثلاثة اوجه فقال ما هي فقال قد قال الله تعالى ولا تجسسوا
وقد تجسست وقال تعالى واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت
من السطح وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا
على اهلها الآية فتركه عمر رضي الله عنه وشرط عليه التوبة والرابع اعني
كونه معلوما مع كونه منكرا بغير اجتهاد ان لا يجوز الحسبة فيما هو في محل
الاجتهاد فليس على الحنفي ان ينكر على الشافعي اكله الضبع والضب
ومتروك التسمية ولا على الشافعي ان ينكر على الحنفي شربه النبيذ
ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوي الارحام وجلوسه في دار اخذها
بشفعة الجوار الى غير ذلك من مجاري الاجتهاد والحاصل ان ما يتصور
من المسائل وهي احكام الافعال في الحل والحرمة يقال فيه المجتهد

فكل مجتهد مصيب ابتداءً بالنظر الى الدليل
وقد يخطئ [illegible] بالنظر الى الحكم
حنفي واحد [illegible] الذي
يصيب [illegible]
[illegible]
المقلد [illegible] ان يعتقد [illegible] الامام [illegible]

قد يخطئ ويصيب وهو الذي لا يعترض على المجتهدين فيه اذ لا يعلم خطاهم
قطعاً بل ظناً بخلاف قول المعتزلي ان الله تعالى لا يرى وقوله انه الخير
من الله وان الشر ليس من الله وقوله كلام الله مخلوق وبخلاف الحشوي
في قوله ان الله جسم وله صورة وانه مستقر على العرش وبخلاف الفلسفي
في قوله الاجساد لا تبعث وانما تبعث النفوس فان ما قالوه مما ذكر
بدع لكن هذه المسائل التي ذكروها مما لا يتصور انه لا يكون المصيب فيه
الا واحداً كمسئلة الرؤية مثلا فهذا مما يعلم خطاء المخطئ فيه قطعاً فينكر على
المبتدعين منهم وانهم اعتقدوا انها الحق لانه خطاهم معلوم على القطع بخلاف الخطا
في مظان الاجتهاد واعلم ان البدعة التي ظهرت في بلدة انت فيها فان كانت البدعة
غريبة والناس كلهم على السنة فلهم الحسبة عليه حسبما تيسر وان انقسم
اهل البلدة الى اهل البدعة واهل السنة وكان في الاعتراض تحريك
الفتنة فليس للاحاد الحسبة في مذاهب البدع الا بنصب السلطان وانه كان
الحسبة في البدع اهم من الحسبة في كل المنكرات وقد بين الفقهاء رحمهم الله
اهل السنة والجماعة قال في التاتارخانية نقلاً عن المضمرات روي عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه انه قال المؤمن اذا احب اهل السنة والجماعة
استجاب الله تعالى دعاءه وقضى حوائجه وغفر له الذنوب وكتب له براءة
من النار وبراءة من النفاق وفي خبر عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله ومن كان على السنة والجماعة
كتب الله له بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ورفع له عشر درجات فقيل يا رسول الله
متى يعلم الرجل انه من اهل السنة والجماعة قال اذا وجد في نفسه عشرة اشياء
فهو على السنة والجماعة ان يصلي الصلوات الخمس بالجماعة ولا يذكر احداً
من الصحابة بسوء ومنقصة ولا يخرج على السلطان بالسيف ولا يشك في ايمانه
ويؤمن بالقدر خيره وشره من الله تعالى ولا يجادل في دين الله تعالى ولا يكفر
احداً من اهل التوحيد بذنب ولا يدع الصلوة على من مات من اهل القبلة
ويرى المسح على الخفين جائزاً في السفر والحضر ويصلي خلف كل بر وفاجر
انتهى وقال ايضا وسئل ابو بكر العياض عن الرجل هل يعلم انه على مذهب
اهل السنة والجماعة فقال اذا رجع الى كتاب الله وسنة رسوله والى ما قاله
السلف الصالح فهو على مذهب اهل السنة والجماعة فاذا عرفت هذا فاعلم
ان بين المحتسب المنصوب والمحتسب المتطوع فرقاً من وجوه الاول انه
اذا عجز المتطوع عن الاحتساب فهو معذور واذا عجز المحتسب المنصوب فهو
غير معذور لانه يمكنه ان يستعين باعوانه فان لم يكف اعوانه فباعوان
السلطان واما ثواب الاحتساب فلا يناله الا بفعله لكن الثواب والاجر
جزاء العمل وذلك بانكاره بلسانه او بقلبه فقط بقول انه هذا منكر
لقول ابن مسعود رضي الله عنه حسب امرئ منكم اذا رأى منكم منكراً

لايستطيع له تغييرا ان يعلم الله من قلبه انه كاره وعن الصحابة انه قال
اذا راى منكرا لا يستطيع النكير عليه فليقل ثلث مرات اللهم ان هذا منكر
اذا قال ذلك فله ثواب من امر بالمعروف ونهى عن المنكر والثاني ان
المحتسب المنصوب كفاية في بيت المال من الجزية والخراج ونحوهما لانه عامل
للمسلمين محبوس لهم فيكون كفايته لهم في مالهم وصار كارزاق الولاة
والقضاة والغزاة والمفتين والمعلمين كما في الملتقط بخلاف المتطوع
والثالث انه اذا راى المودع سارقا يسرق الوديعة فلم يمنعه وهو
يقدر على منعه ضمنه لانه بترك المنع ترك الحفظ الملتزم فيضمن اما المنصوب
فلا يضمن فيما قصر فيه لان التضمين لا يلحق الحاكم ونحوه والا لامتنع الناس
عن التقلد فيلزم الضرر العام ولو امتنع الناس عن الاستيداع يلزم
الضرر الخاص فافترقا والرابع ما ذكر في الفصل الرابع عشر من جنايات
الذخيرة حفر بئرا في الطريق العام ليسق عنها المباح فوقع فيها انسان
ضمن وان كان ما امام حسبة لانه جناية من حيث انه ابطل
حق المرور على الناس وابطل الراى والتدبير على الامام ايضا لانه
فعله بغير اذنه وفعل ذلك منه جناية والامام لو فعل ذلك لا يضمن
لانه صاحب ولاية انتهى وقال حجة الاسلام في الاحيا اعلم ان
كل قاعد في بيته اين ما كان لا يكون خاليا في هذا الزمان عن منكر من

حيث

حيث التقاعد عن ارشاد الناس وتعليمهم وحملهم على المعروف فاكثر الناس
جاهلون بالشرع في شروط الصلوة في البلاد فكيف في القرى والبوادي ومنهم
الاعراب والاكراد والتركمانية وسائر اصناف الخلق وواجب ان يكون في كل مسجد
ومحلة من البلد فقيه يعلم الناس دينهم وكذا في كل قرية وواجب على كل فقيه
فرغ من فرض عينه وتفرغ لفرض الكفاية ان يخرج الى من يجاور بلده من
اهل السواد ومن العرب والاكراد وغيرهم ويعلمهم دينهم وفرايض
شرعهم ويستصحب مع نفسه زادا ياكله ولا ياكل من اطعمتهم فان
اكثرها تكون شبهة فان قام به واحد سقط الحرج عن الاخرين والا عم
الحرج على الكافة اجمعين اما العالم فلتقصيره في الخروج واما الجاهل فلتقصيره
في ترك التعلم وكل عالم عرف شروط الصلوة فعليه ان يعرف غيره والا
فهو شريك في الاثم ومعلوم ان الانسان لا يولد عالما بالشرع وانما يجب
التبليغ على اهل العلم وكل من تعلم مسئلة واحدة فهو من اهل العلم بها
انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان عنوان اداب البواطن اداب
الظواهر وحركات الجوارح ثمرات الخواطر فمن كان صدره مشكاة انوار
الاوامر الالهية فاض على ظاهره جمال الاداب النبوية ومن استولى عليه
حب الدنيا لم يقدر على الحسبة على الاصاغر فكيف على الاكابر والله المستعان
على كل حال الباب الخامس في الشفقة عليهم وان يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير

قال الله سبحانه وتعالى انما المؤمنون اخوة فاذا ثبت الايمان كانت الاخوة
واذا كانت الاخوة كانت الشفقة والرحمة ولا معنى للشفقة والرحمة
الا ان تنقذ اخاك من النار الى الجنة وتنقله من الجهل الى العلم ومن
الذم الى الحمد ومن النقص الى الكمال فانه لا يكمل عبد الايمان حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه على ما ذكره مسلم في مسنده والمؤمنون يد واحدة على
من سواهم والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا اعلم
وفقك الله تعالى وايانا ان شفقة النفس وحب الخير لنفسه ولغيره مجتنبا
عن الشر والضير حال الكاملين الذين فازوا بالسعادة الابدية والكرامة
السرمدية واستكمال النفس الانسانية بالمعارف والعلوم على قسمين
احدهما ان يحاول تحصيلها بالفكر والنظر والاستدلال والثاني
ان تصل اليه محصولات المتقدمين الذين جمعوا بين العقايد الصحيحة
والاعمال الصالحة فتستكمل نفسه بان يكون متقيا اذ المتقي وان كانت له
ثلث مراتب الا انه عند الاطلاق في متعارف الشرع هو المؤتمر
بالمامورات المجتنب عن المحظورات وكل من هو كذلك فهو من
الفائزين الكاملين ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه
فاولئك هم الفائزون فالتقوى فضيلة جامعة لكل ما وجب
على المؤمنين من علم الحال الذي هو فرض عين على كافة المسلمين

وعلم

وعلم الحال كما عرفت هو علم ما افترض منه اعتقادا وعملا وقد ورد ما يدل
على فضيلة التقوى من الايات القرآنية ومن الاخبار النبوية اكثر
من ان يحصى الايات قال الله تعالى هدى للمتقين يا ايها الناس
اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا
واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ولو انهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله
خير لو كانوا يعلمون ولكم في القصاص حيوة يا اولي الالباب
لعلكم تتقون يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب
على الذين من قبلكم لعلكم تتقون كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون
وأتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله
واعلموا ان الله شديد العقاب وتزودوا فان خير الزاد
التقوى واتقون يا اولي الالباب واتقوا الله واعلموا انكم
اليه تحشرون زين للذين كفروا الحيوة الدنيا ويسخرون
من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة واتقوا الله واعلموا انكم ملاقوه وبشر المؤمنين واتقوا الله
واعلموا ان الله بما تعملون بصير يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم للذين اتقوا

عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وجئتكم باية
من ربكم فاتقوا الله واطيعون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ولقد نصركم الله ببدر
وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون بلى ان تصبروا وتتقوا
ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين
واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات
والارض اعدت للمتقين واتقوا الله لعلكم تفلحون يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس
واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله
الذي تساءلون به والارحام فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولقد وصينا
الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وتعاونوا
على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله
ان الله شديد العقاب واتقوا الله ان الله سريع الحساب
واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور اعدلوا هو اقرب للتقوى
واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون واتقوا الله وعلى الله فليتوكل
المؤمنون انما يتقبل الله من المتقين يا ايها الذين امنوا اتقوا الله

وابتغوا اليه الوسيلة واتقوا الله ان كنتم مؤمنين ولو ان اهل
الكتاب امنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم
واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون واتقوا الله واسمعوا قال الحواريون
يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين وانذر به الذين يخافون ان يحشروا
الى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون وللدار
الآخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وامرنا لنسلم لرب العالمين
وان اقيموا الصلوة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون ذلكم وصاكم به
لعلكم تتقون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون ولباس التقوى ذلك خير او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون افلا تتقون ولو ان
اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون ورحمتي وسعت كل شيء
فساكتبها للذين يتقون واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر
اذ يعدون في السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم
لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة

منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة
الى ربهم ولعلهم يتقون والدار الآخرة خير للذين يتقون خذوا
ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ان الذين اتقوا اذا مسهم
طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واتقوا فتنة
لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم
واعلموا ان الله مع المتقين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
الذين امنوا وكانوا يتقون فاصبر ان العاقبة للمتقين فاتقوا الله
ولاجر الآخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون ولدار الآخرة
خير للذين اتقوا افلا تعقلون مثل الجنة التي وعد المتقون تجري
من تحتها الانهار اكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا
وعقبى الكافرين النار واتقوا الله ننزل الملائكة بالروح من امره
على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
وقيل للذين اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا
في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين وله
ما في السموات والارض وله الدين واصبا افغير الله تتقون ان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون يا يحيى خذ الكتاب بقوة

و

واتيناه الحكم صبيا وحنانا من لدنا وزكوة وكان تقيا قالت اني
اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا تلك الجنة التي نورث من عبادنا
من كان تقيا ثم ننجي الذين اتقوا فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين
وكذلك انزلناه قرانا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون
او يحدث لهم ذكرا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ولقد اتينا
موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين يا ايها الناس
اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ذلك ومن يعظم شعائر الله
فانها من تقوى القلوب ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فارسلنا فيهم
رسولا منهم ان اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون وان هذه
امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون سيقولون لله قل افلا تتقون
ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون
قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون واذ نادى ربك موسى
ان ائت القوم الظالمين قوم فرعون الا يتقون وازلفت الجنة
للمتقين كذبت قوم نوح المرسلين اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كذبت عاد

المرسلين اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون واذا بطشتم بطشتم جبارين فاتقوا الله
واطيعون فاتقوا الذى امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين كذبت ثمود
المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين فاتقوا الله
واطيعون كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط
الا تتقون انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون كذب اصحاب
الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب الا تتقون انى لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون واتقوا الذى خلقكم والجبلة الاولين وانجينا
الذين آمنوا وكانوا يتقون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا فى الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين يا ايها الناس اتقوا
ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده
شيا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا واذا قيل لهم
اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون ام نجعل المتقين كالفجار
هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب ذلك يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون والذى جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون او تقول لو ان الله هدانى

لكنت

لكنت من المتقين وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون
وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون
وان كل ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين
فاتقوا الله واطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ان المتقين فى مقام
امين والله ولى المتقين مثل الجنة التى وعد المتقون وان تؤمنوا
وتتقوا يؤتكم اجوركم ولا يسالكم اموالكم والزمهم كلمة التقوى
وكانوا احق بها واهلها واتقوا الله ان الله سميع عليم اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم
واتقوا الله لعلكم ترحمون واتقوا الله ان الله تواب رحيم
ان اكرمكم عند الله اتقيكم وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد ان المتقين
فى جنات وعيون ان المتقين فى جنات ونعيم ان المتقين
فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر يا ايها الذين
امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير
بما تعملون واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون فاتقوا الله ما استطعتم
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتق الله
يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا فاتقوا الله يا اولى الالباب ان للمتقين

عند ربهم جنات النعيم قال يا قوم اني لكم نذير مبين ان اعبدوا الله
واتقوه واطيعون وما يذكرون الا ان يشاء الله هو اهل التقوى
واهل المغفرة ان المتقين في ظلال وعيون ان للمتقين مفازا
حدائق واعنابا وكواعب اترابا وكاسا دهاقا فالهمها فجورها
وتقويها قد افلح من زكيها فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى
فسنيسره لليسرى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى اوامر
بالتقوى • واما ما يدل على فضيلة التقوى من الاحاديث النبوية فقد روي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من غزاة او سرية فدعا فاطمة رضي الله عنها فقال يا فاطمة اشتري
نفسك من الله فاني اغني عنك من الله شيئا وقال للنسوة
مثل ذلك وقال مثل ذلك لعترته ثم قال يا بنو هاشم باولى
الناس بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الانصار باولى والناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون انما انتم من رجل وامراة
وانتم كجمام الصاع ليس لاحد على احد فضل الا التقوى • وعن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان
يوم القيمة امر الله مناديا ينادي الا اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا
فجعلت اكرمكم اتقاكم فابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان خير من فلان بن

فلان

فلان فاليوم ارفع نسبي واضع نسبكم اين المتقون • وعن جابر
رضي الله عنه انه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط
ايام التشريق فقال يا ايها الناس ان ربكم واحد الا لا فضل لعربي على عجمي
ولا لعجمي على عربي ولا لاحمر على اسود ولا اسود على احمر وان اباكم واحد
الا بالتقوى ان اكرمكم عند الله اتقاكم الا هل بلغت قالوا بلى يا رسول الله
قال فليبلغ الشاهد الغائب • فاذا عرفت هذا فاعلم ان المتقي
اسم فاعل من وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة وهو في الشرع
اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وليس لكمال التقوى حد يدرك
مداه اذ بتقدير الله تعالى ومشيئته يتفاوت درجاتها والمعتبر في ذلك
ما لا يؤدي الى الحرج والمشقة وتضييع حدود الشريعة وهو رجحان
جهة الدين على الهوى والشهوة فاولى الدرجات والمراتب
التوقي من العذاب المخلد بالايمان المنجي والتبري عن الشرك
قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد • وعن ابن مسعود
رضي الله عنه في قوله تعالى هدى للمتقين قال النور للمتقين
قال هم المؤمنون والثانية وهي المتعارفة التجنب عن كل ما يجعل
العبد اثيما من ترك الاوامر وفعل المناهي والدرجة العليا من التقوى
التنزه عما يشغل سره من الحق والتبتل اليه بشراشره وهو التقوى

الحقيقي المطلوب بقول الله تعالى واتقوا الله حق تقاته والذي جاء
بالصدق وصدق به اولئك هم المتقون الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ولا يخفى ان تنزه السر
عما يشغله عن الحق المبين لا يجب شرعا بكون تاركه اثما وانما هو
شان الكمل نفعنا الله ببركاتهم فاجتناب الكبائر لازم فيه بالاتفاق
حتى الصغائر عند قوم لان فرط الصيانة يقتضي ذلك يؤيده قوله
عليه الصلوة والسلام لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع
ما لا بأس به حذرا عما به بأس وقال بعض المفسرين المختار ان الاجتناب
عن الصغائر لا يعتبر في مفهوم المتقي فانها لا تنافي التقوى ومرتكبها
لا يخرج عن زمرة المتقين لا لانها تقع مكفرة باجتناب الكبائر كما هو
رأي المعتزلة فان امر الكبائر والصغائر عندنا موكول الى الله تعالى
ان شاء عذب وان شاء عفا فلا نزاع في وجوب التوبة عن الكل
وعدم ايجاب اجتناب الكبيرة تكفر الصغيرة لقوله تعالى فمن يعمل
مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره لا يقال معنا
اذا لم يجتنب الكبائر لانه تقييد بلا دليل وترجيح جانب التاويل
بان الاصرار على الصغيرة يسلب العدالة فكيف بالتقوى غير مفيد
لان الاصرار على الصغيرة كبيرة فكان مخرجا عن التقوى ايضا وحد

الاصرار

الاصرار على الصغيرة ان تتكرر منه تكررا يشعر بقلة المبالاة بدينه
اشعار ارتكاب الكبيرة بذلك واختلف في الكبائر فروى عن عمر
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الكبائر تسع
الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة وقذف المحصنة واليمين الغموس
والفرار عن الزحف والسحر واكل مال اليتيم وعقوق الوالدين المسلمين
والالحاد اي الظلم في الحرم وروى ابو هريرة رضي الله عنه مع ذلك
اكل الربوا واضاف الى ذلك علي كرم الله وجهه السرقة وشرب الخمر
وقيل ما علم حرمته بقاطع فهو كبيرة كذا في التقرير وقال ابن مسعود
رضي الله عنه لما سئل عنها اقرأ من اول سورة النساء الى رأس
ثلثين آية منها عند قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم
سيئاتهم فكل ما نهى الله في هذه السورة الى ههنا فهو كبيرة وقال
بعض المحققين الكبائر سبع عشر جمعتها من جملة الاخبار وجملة
ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم
اربعة في القلب الشرك بالله تعالى والاصرار على معصيته والقنوط
من رحمته والامن من مكره واربع في اللسان وهي شهادة
الزور وقذف المحصن واليمين الغموس وهي التي يحق بها باطلا
او يبطل بها حقا وقيل هي التي يقتطع بها مال المسلم باطلا ولو سواكا

من اراك وسميت غموساً لانها تغمس صاحبها فى النار والسحر وهو
كل كلام يغير الانسان وسائر الاجسام عن موضوعات الخلقة وثلاث
فى البطن وهو شرب الخمر والمسكر من كل شراب واكل مال اليتيم ظلما
واكل الربوا وهو يعلم واثنتان فى الفرج وهو الزنا واللواطة
واثنتان فى اليدين وهو القتل والسرقة وواحدة فى الرجلين وهو
الفرار عن الزحف الواحد من الاثنين والعشرة من عشرين
وواحدة فى جميع الجسد وهو عقوق الوالدين وقال فى تحقيق
التفسير فى تكثير التنوير معظم اصحاب الشافعى رحمه الله ان الكبيرة
موجب الحد وقيل اتصاف الذنوب بالصغر والكبر بالنسبة
الى ما فوقها وتحتها او بالاضافة الى طاعة او ثواب او الاشخاص
لانه تعالى عاتب نبيه عليه السلام بالخطوات وفى انوار التنزيل
فاكبر الكبائر الشرك واصغر الكبائر حديث النفس وبينهما وسائط
يصدق عليها الامران فمن عن له امران منها ودعت نفسه اليها
بحيث لا يتمالك وكفها عن اكبرهما كفر عنه ما ارتكبه لما استحق
من الثواب على اجتناب الاكبر وقال فى قوله تعالى ان الحسنات
يذهبن السيئات يكفرنها وفى الحديث ان الصلوة الى الصلوة
كفارة ما بينهما ما اجتنب الكبائر وفى سبب النزول ان رجلا

اتى

اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قد اصبت فى امراة غير انى
لم آتها فنزلت انتهى وقيل سبع بقول النبى صلى الله عليه وسلم
اجتنبوا السبع الموبقات الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى
حرم الله الا بالحق واكل الربوا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف
وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات وروى عن ابن عباس رضى الله عنه
انها الى سبعمائة اقرب من سبع لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار وروى عنه الى السبعين ولا منافاة له مع الخبر لان
التخصيص بالعدد لا يدل على الزايد والناقص واما التحقيق فى دفع ما يقال
من انه كيف يشمل تعريف المتقى جميع افراده ومن لم يتقو منه
فرط الصيانة فهو ان اهل الشرع يعتبرون المعانى اللغوية فى الحقايق
الشرعية اما مع الزيادة عليه بقيد من القيود كالصلوة والزكوة
والبيع والربوا ونحوها واما بالنقصان عنه كالايمان والكفر فانهما
فى اللغة لمطلق التصديق والستر اعم ما يكون فى الشرع ولذا
لم يطلقوا بحسب الشرع على ساتر الحق كافرا والحاصل انهم يراعون
اللغة بوجه لا يكون مخالفا من جميع الوجوه لا انهم يراعون جميع ما
فى اللغة والمتقى من جملته ولو سلم فما المانع فى القول بانه فرط
الصيانة عن الكفر كما ان ما عداه فرط الصيانة عن الاثم هذا والله اعلم

ان المتقي في الحقيقة من يخشى الله وارتكاب الكبيرة يوذن بعدم الخشية
فلا بد للمتقي من الخشية اذ امر التقوى عظيم قال في التفسير الكبير واعلم
ان التقوى هي الخشية قال تعالى في اول النساء يا ايها الناس اتقوا
ربكم ومثله في اول الحج والشعراء اذ قال لهم اخوهم نوح الا تتقون
يعني الا تخشون الله وكذلك قول هود وصالح ولوط وشعيب
لقومهم وفي العنكبوت قال ابرهيم لقومه اعبدوا الله واتقوه
يعني اخشوه وكذا قوله واتقوا الله حق تقاته وتزودوا فان خير
الزاد التقوى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا • واعلم
ان حقيقة التقوى وان كانت هي التي ذكرناها الا انها قد جاءت
في القرآن والغرض الاصلي منه الايمان تارة والتوبة اخرى والطاعة
ثالثة وترك المعصية رابعا والاخلاص خامسا اما الايمان فقوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى وفي الشعراء قوم فرعون الا يتقون اي لا يؤمنون
واما التوبة فقوله تعالى ولو ان اهل القرى آمنوا واتقوا اي تابوا
واما الطاعة فقوله تعالى في النحل ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
واما ترك المعصية فقوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله فلا تعصوه
واما الاخلاص فقوله تعالى في الحج فانها من تقوى القلوب اي من اخلاص

القلوب

القلوب وكذا قوله تعالى فاياي فاتقون • واعلم ان مقام التقوى مقام شريف
قال تعالى ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون • وقال ان اكرمكم
عند الله اتقاكم • وعن ابن عباس رضي الله عنه قال عليه الصلوة والسلام
من احب ان يكون اكرم الناس فليتق الله ومن احب ان يكون اقوى الناس
فليتوكل على الله ومن احب ان يكون اغنى الناس فليكن بما في يد الله
اوثق منه مما في يده • وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه التقوى
ترك الاصرار على المعصية وترك الاغترار بالطاعة • وقال الحسن
رضي الله عنه التقوى ان لا تختار على الله سوى الله • واعلم ان الامور
كلها بيد الله وقال ابرهيم بن ادهم التقوى ان لا يجد الخلق في لسانك
عيبا ولا الملائكة في افعالك عيبا ولا ملك العرش في سرك عيبا
وقال الواقدي التقوى ان تزين سرك للحق كما تزين ظاهرك
للخلق • ويقال التقوى ان لا يراك مولاك حيث نهاك • ويقال
المتقي من سلك طريق المصطفى ونبذ الدنيا وراء القفا وكلف
نفسه الاخلاص والوفا واجتنب الحرام والجفا انتهى فعلى هذا
كان مآل امور العامة الى التقوى وهي كافية وافية واقية •
اذ الاعتقاديات والعمليات اذا فسرت بالمعنى المتعارف وهو ما يعم فعل
الحسنات وترك السيئات كما عرفت فيما سبق داخلة فيها لاشتماله

على ما هو الاس من الاعتقاد الحق والاصل منه الاعمال هو الايمان
والصلوة والصدقة فانها امهات الاعمال النفسانية والعبادات
البدنية والمالية المستتبعة لساير الطاعات والتجنب عن المعاصي
غالبا قال الله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال
عليه الصلوة والسلام الصلوة عماد الدين والزكوة قنطرة الاسلام
ولذا كثر الامر بها في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
وفي كلام عباده الذين اصطفى وسن ذكرها مرتين في الخطبة
عندنا وفرض عند الشافعي رحمه الله وكان اهتمام السلف واجتهادهم
فيها خصوصا فيما يتعلق بحقوق العباد والبهايم ويدل العقل ايضا
على افضلية التقوى اذ يحصل بها التخلية عن الرذائل والمعاصي
والمناهي والتجلية والتحلية بمكارم الاخلاق وانواع الطاعات
والمراضي فلا بد ان نبين انواع الرذائل ليجتنب عنها وبعدها
الفضائل ليترتب على التخلية عن المعاصي التحلية بالطاعات
والتصوير بالصور الحسنة على التصقيل عن الكدورات حتى تنال
الدرجات فادنى درجات المومن المتقي بفضل الله سبحانه وتعالى الالتحاق
باصحاب اليمين ونزوله في جنة عدن واما الالتحاق بالمقربين
فلاصحاب الفردوس الاعلى وذلك لان الايمان اما تقليدي

كايمان

كايمان العامة الذين يصدقون بما يسمعون ويستمرون عليه
واما استدلالي كايمان العلماء والمتكلمين واما كشفي يحصل بانشراح
الصدر بنور الله تعالى ويتضح عند صاحبه ان مرجع الكل ومصيره
الى الله تعالى فهذا الصنف الذين هم اصحاب الرتبة العليا من التقوى
هم المقربون النازلون في الفردوس الاعلى وهم على غاية القرب
من الملأ الاعلى وهم ايضا على اصناف فمنهم السابقون ومنهم من هو
دونهم وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله فدرجاتهم لا تنحصر
اذ الاحاطة بكنه جلال الله تعالى غير ممكن وليس لبحر المعرفة عمق ولا ساحل
والغوص فيه بقدر ما سبق له من الله في الازل واما المومن
ايمانا تقليديا فهو من اصحاب اليمين ودرجته دون درجة المقربين
وكذلك المومن ايمانا استدلاليا وهم على درجات ايضا
فالاعلى من درجات اصحاب اليمين تفاوت رتبة الاولى
من درجات المقربين فهذا حال من اجتنب كل الكباير وادى
الفرايض كلها اعني الاركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة
باللسان والصلوة والزكوة والصوم والحج او ارتكب كبيرة
او كباير واهمل بعض اركان الاسلام فتاب قبل قرب الاجل
والتحق بمن لم يرتكب لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له

والثوب المغسول كالذي لم يتوسخ. والحاصل ان الايمان كما عرفت سابقا
من خبر المخبر الصادق بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله
وادناها اماطة الاذى عن الطريق. فمن ادى الفرايض كلها واجتنب
الكبائر كلها فهو كامل الايمان متق بالمعنى المتعارف وهو الرتبة الثانية
للتقوى. واما الرتبة الاولى فهي وان كانت مساوية لمطلق الايمان
المنجي من العذاب المخلد الا ان التقوى في عرف الشرع هي الثانية
التي لم ينقص في صاحبها شعب الايمان ومثله حجة الاسلام بقول الانسان
ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا
اعلاها القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون
مقصوص الشارب مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى
يتميز عن البهايم المرسلة الملوثة بارواثها المستكرهة الصور
بطول مخاليبها واظلافها وهذا مثال مطابق فالايمان كالانسان
وفقد شهادة التوحيد توجب البطلان بالكلية والذي ليس له
الا شهادة التوحيد والرسالة هو كانسان مقطوع الاطراف
فاقد لجميع اعضائه الظاهرة والباطنة الا اصل القلب والروح
وكما ان من هذا حاله قريب منه ان يموت فتزايله الروح
الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تمدها وتقويها

وكذلك

وكذلك من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب منه ان تنقلع
شجرة ايمانه اذا اصدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في مقدمة
قدوم ملك الموت ووروده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله
ولم ينتشر في الاعمال فروعه خيف عليه سوء الخاتمة الا ما سقي بماء
الطاعات على توالي الايام والساعات حتى ثبت ورسخ اذ الظاهر
القاصر لا يرسخ واين ثبوت شجرة القرع من ثبوت شجرة الصنوبر
وان كانتا مشتركتين في اسم الشجر. فاذا عرفت هذا فاعلم ان القلب
رئيس الجوارح ومتبوعها وملك مطاع نافذ الحكم على رعيته وخدمه
وهي الاعضاء والجوارح فلهذا قال صلى الله عليه وسلم الا وان
في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد
الجسد كله الا وهي القلب ولهذا قدمنا تخلية القلب من الآفات
وتحليته بالطاعات على الاعضاء السبعة والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق

فصل في بيان تخلية القلب وتحليته ولما كان بيان معنى القلب
مقدما على بيان التخلية والتحلية قدم بيان المعنى المقصود منه.
اعلم ان لفظ القلب يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري
الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه

وهذا القلب عام موجود للبهائم كلها ولا يتعلق به الاغراض الدينية
وانما يتعلق بذلك غرض الاطباء والمعنى الثاني هو لطيفة ربانية
روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة
الانسان وهي المدرك العالم العارف من الانسان وهو المخاطب
والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني قال في الاحياء
وقد تحار اكثر عقول الخلق في ادراك وجه علاقته فان تعلقه
يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او تعلق
المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان انتهى وايضا للقلب
كما عرفت مما سبق جنود فجند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصائر
ومعنى الجند القلب في حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان
قال في الاحياء فجملة جنود القلب يحصره ثلثة اصناف صنف باعث
ومستحث له اما الى جلب الموافق النافع كالشهوة واما الى دفع
المضار المنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة
والثاني هو المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا
الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة في سائر الاعضاء لا سيما
العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشياء
كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها

وهي

وهي مبثوثة في اعضاء معينة ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد
من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم
والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان قوة
البطش انما تبطش بالاصابع وقوة البصر انما تدرك الشيء بالعين وكذا سائر القوى
ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة
وانما نتكلم الآن فيما ايد به من جنود لم تروها وهذا الصنف الثالث هو المدرك
من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمس
اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس والى ما اسكن منازل باطنة
وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء
يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه
بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر
ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله بالحس المشترك
بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل وتفكر وتذكر وحفظ
ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ
عنه اليد والرجل فكذلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا كما يخلو عنه صح
باطنة فهذه هي اقسام جنود القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول
ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع به الاقوياء والفحول من العلماء

ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب من الامثال ليقرب في ذلك من افهامهم
بيان امثلة القلب مع جنوده الباطنة. اعلم ان جندي الغضب والشهوة
قد ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينانه على طريقه الذي يسلكها وتحسن
مرافقتهما له في السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي
وتمرد حتى يملكاه ويستعبداه وفي ذلك هلاكه وانقطاعه عن سفره
الذي به وصوله الى سعادة الابد وللقلب جند اخر وهو العلم والحكمة
والتفكر وحقه ان يستعين بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين
الاخرين فانهما يلتحقان بحزب الشيطان فان من ترك الاستعانة
وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا مبينا
وذلك حال الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط
الحيل لقضاء الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة للعقل فيما يفتقر
العقل اليه. وقال ايضا الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام
وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع الاستدلال
والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين وحاصله
في هذه الدرجات الثلث ان الدرجة الاولى من الايمان بمجرد التقليد وهو مثال
ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز سمعوا من ابائهم وامهاتهم
وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وسائر صفاته وبعثة الرسول

صلى

صلى الله عليه وسلم وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه
واطمأنوا اليه ولم يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بابائهم وامهاتهم
ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة من النار واهله من اوائل مراتب اصحاب
اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر
بنور اليقين اذ الخطأ ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقاد. والحاصل ان المسلمين اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن لانه
القي اليهم كلمة الحق. واما الدرجة الثانية فايمان ممزوج بدليل والخطأ ايضا
ممكن. واما الدرجة الثالثة فهي المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية
وهي تشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون عن مشاهدة
فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون برتبة يستحيل معها
امكان الخطأ نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف والمعارف انوار ولا يسعى المؤمنون الى لقاء الله تعالى الا بنورهم
قال الله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم. وقد ورد في الخبر
ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل. وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم
رجلا يعطى نورا على ابهام قدميه فيضيء مرة ويطفى مرة فاذا اضاء
قدم قدميه فمشى واذا طفى قام ومرورهم على الصراط على قدر نورهم
فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب

ومنهم كانقضاء الكوكب ومنهم من يمر كعدو الفرس والذي اعطي نوره
على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا ويعلق اخرى ويجر رجلا
ويعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص
الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر
رضي الله عنه بايمان العالمين سوى النبيين والمرسلين لرجح
وهذا يضاهي قول القائل لو وزن الشمس بنور السرج كلها لرجح
فايمان احاد العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم كنور الشمع وايمان
الصديقين نورهم كنور القمر والنجوم وايمان الانبياء كنور الشمس
وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع اقطارها ولا ينكشف
في نور السراج الا زاوية ضيقة من البيت فكذلك يتفاوت
انشراح الصدر بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت بقلوب العارفين
وكذلك جاء في الخبر انه يقال يوم القيمة اخرجوا من النار من في قلبه
مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة
كل ذلك تنبيه على تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان
لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه يزيد على مثقال فانه
لا يدخل النار اذ لو دخل النار لامر باخراجه اولا وان من في قلبه
مثقال ذرة لا يستحق الخلود في النار وان دخلها وكذلك

قوله صلى الله عليه وسلم ليس شيء خيرا من الف مثله الا الانسان اشارة
الى تفضيل قلب العارف المؤمن الموقن وانه خير من قلوب الف من
عوام الناس وقد قال تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين وقال
بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسالة من مشاهدة
اليقين فالتفت الى شماله فقال ما تقول يرحمك الله ثم التفت
الى يمينه فقال ما تقول يرحمك الله ثم اطرق فقال ما تقول رحمك الله
ثم اجاب باغرب جواب سمعت فسالته عن التفاتة فقال لم يكن
في المسالة عندي علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري
فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال لا ادري فنظرت الى قلبي
فسالته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا معنى قوله
صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وقال ابو سليمان
الداراني القلب بمنزلة القبة المضروبة حولها ابواب مغلقة
فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب
الى جهة الملكوت والملأ الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهدة
والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى امراء الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين
فانهم يتجلى لهم امور صادقة وقال بعض العلماء يد الله على افواه الحكماء

لا ينطقون الا بما هيأ الله لهم من الحق وقال آخر لو شئت لقلت
ان الله تعالى يطلع الخاشعين على بعض سره ولما كان لا يخلو قلب عن شهوة
وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية
المتشعبة عن الهوى لا جرم لا يخلو قلب عن ان يكون فيه للشيطان
جولان بالوسوسة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما منكم
من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا
ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان
لا يتصرف الا بواسطة الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته لا يأمر
الا بخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا ومقتضيات الهوى وجد الشيطان
مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله تعالى ارتحل الشيطان
وضاق مجاله واقبل الملك والتطارد بين جندي الملائكة
والشياطين في معركة القلب دائم الى ان ينفتح القلب لاحد الجندين
فيتمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثاني اختلاسا والقلوب التي فيستمكن
فتحها جنود الشياطين وتملكها وامتلأت بالوساوس الداعية
الى ايثار العاجلة واطراح الآجلة وكان مبدأ استيلائها اتباع
الهوى لا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان
فهو الهوى والشهوات وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح آثار الملائكة

قال جرير

قال جرير بن عبد الله العدوي شكوت الى العلاء بن زياد وما اجد
في صدري من الوسوسة فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذي
تمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه يعني
ان القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان قال تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وفي التفسير الكبير الاخلاق القبيحة هي
الهوى والشهوة والغضب فهذه الثلثة اصل الكفر والبدعة
والحرص والبخل والعجب والكبر والحسد هي الاولاد والنتايج
وكذلك جميع الاخلاق المذمومة كالنتايج والشعب من تلك
السبعة انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم ان القلب مثاله مثال حصن
والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه
ولا يقدر على حفظ الحصن من العدو الا بحراسة ابواب الحصن
ومداخله ومواقع ثلمه ولا يقدر على حراسة ابوابه من لا يعرف ابوابه
وحماية القلب عن فساد الشيطان امر واجب وهو فرض عين على كل عبد
مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل
الى دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان
واجبة ومداخل الشيطان صفات العبد فان الكبر والبخل والاسراف
والتبذير حرام ولا يمكن التحرز عنها الا بعلمها وعلم اضدادها والحاصل

ان العلم تابع للمعلوم فان فرضا او حراما ففرض وان واجبا
او مكروها فواجب وان سنة فسنة وان نفلا فنفل فعلى كل من اشتغل
بشيء من المعاملات والحرف يفترض عليه علم التحرز عن الحرام فيه وهي كثيرة
فان القلب تكتنفه الصفات وتنصب اليه الاثار والاحوال من المداخل
فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب واذا اصابه شيء فتاثر به
اصابه من جانب آخر ما يضاده فتغير وصفه فان نزل الشيطان به
ودعاه الى الهوى التفت القلب اليه ونزل الملك به وصرفه عنه وان جذبه
شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه ملك الى خير جذبه آخر
الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين
وتارة بين ملك وشيطان ولا يكون قط مهملا • قال في الاحيا والى
ذلك الاشارة بقوله عز وجل ونقلب افئدتهم وابصارهم ولاطلاع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله عز وجل في عجايب
القلب وتقلبه كان يحلف به فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما
يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فحق على العبد ان يقف
عند كل هم يخطر له ليعلم انه من لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن
النظر في ذلك بنور البصيرة لا بهوى من الطبع فان من مكائد الشيطان
ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض • قال عثمان بن ابي العاص

الشخ

الثقفي رضي الله عنه حال الشيطان بيني وبين صلوتي وبين قراتي فقال
صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته
فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى
عني • وفي الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا
بالله منه • وقال حجة الاسلام ايضا في الاحيا فان قلت فالداعي الى المعاصي
المختلفة شيطان واحد او شياطين مختلفون فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة
ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسأل عن صفته كما قيل
كل البقل ولا تسأل عن المقبلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد
الاخبار انهم جنود مجندة وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه
ويدعو اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر
الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات يدل على اختلاف الاسباب
كما ذكر في نور النار وسواد الدخان • واما الاخبار فقد قال مجاهد ان
لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شيء من امره فذكر
ان اسماءهم ثبر والاعور ومسبوط وداسم وزلنبور فاما ثبر فهو
صاحب المصائب الذي يدعو بالثبور وشق الجيوب ولطم الخدود
ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسبوط
فهو صاحب الكذب واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم

ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق وبسببه لايزالون
ملتطمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضوء يسمى الولهان
وقد ورد في ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك
في الملائكة وقال ايضا ما اجماله والقلوب في الثبات على الخير والشر
والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكى بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق ينقدح فيه خواطر الخير من خزاين الغيب ومداخل الملكوت
فينصرف العقل الى التفكر فيما خطر ليعرف دقايق الخير فيه ويطلع على اسرار
فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم بانه لابد من فعله ويستحثه عليه
ويدعوا الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده جليا في جوهره طاهرا
بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانواع المعرفة القلب الثاني
قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق
الذميمة المفتوح فيه ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة
وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم وينطفى منه
انوار البصيرة وينطفى نور الحياء والمروة والايمان ويسعى الى تحصيل
مراد الشيطان القلب الثالث قلب يبتدى فيه خاطر الهوى فيدعوه
الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهواتها الى نصرة
خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع فينبعث العقل الى خاطر الخير

ويدفع

ويدفع في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة
والسبع في تهجمها على الشر وقلة اكتراثها بالعواقب فيميل النفس
الى نصح العقل فان كان الاغلب على القلب الصفات الملكية لم يصغ القلب
الى اغواء الشيطان وان كانت الصفات الشيطانية غالبة عليها جرى
على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى قال تعالى
يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم
بالمغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بانواع الحيل فالاحمق يوسع قلبه
لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضاء من الله
وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد
ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ان ينصركم الله
فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده فهو الهادي
والمضل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه
خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق النار وخلق لها
اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف الخلق علامة اهل النار وعلامة
اهل الجنة فقال عز من قائل ان الابرار لفي نعيم وان الفجار
لفي جحيم ثم قال هولاء في النار ولا ابالي وهولاء في الجنة ولا ابالي
فتعالى الله الملك الحق المبين لا يسأل عما يفعل وهم يسألون

وهذا الفصل من اوله الى هنا ماخوذ مسرود على منوال ما نسج من الاحياء
وفي التفسير الكبير واعلم ان المداخل التي ياتي الشيطان من قبلها
في الاصل ثلثة الشهوة والغضب والهوى فالشهوة بهيمية
والغضب سبعية والهوى شيطانية فالشهوة آفة لكن الغضب
اعظم منه والغضب آفة لكن الهوى اعظم منه فقوله تعالى ان الصلوة
تنهى عن الفحشاء المراد آثار الشهوة وقوله والمنكر المراد منه
آثار الغضب وقوله والبغي المراد منه آثار الهوى فبالشهوة يصير الانسان
ظالما لنفسه وبالغضب يصير ظالما لغيره وبالهوى يتعدى ظلمه
الى حضرة جلال الله تعالى ولهذا قال عليه السلام الظلم ثلثة
فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم عسى الله ان يتركه فالظلم الذي
لا يغفر هو الشرك بالله والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد
بعضهم بعضا والظلم الذي عسى الله ان يتركه هو ظلم الانسان
نفسه فمنشأ الظلم الذي لا يغفر هو الهوى ومنشأ الظلم الذي
لا يترك هو الغضب ومنشأ الظلم الذي عسى الله ان يغفره هو الشهوة
ثم لها نتائج فالحرص والبخل نتيجة الشهوة والعجب والكبر نتيجة الغضب
والكفر والبدعة نتيجة الهوى فاذا اجتمعت هذه الستة في بني آدم
تولد منها سابع وهو الحسد وهو نهاية الاخلاق الذميمة كما

ان

ان الشيطان هو النهاية في الاشخاص المذمومة ولهذا السبب
ختم الله مجامع الشرور الانسانية بالحسد وهو قوله تعالى ومن شر حاسد
اذا حسد كما ختم مجامع الخبائث الشيطانية بالوسوسة وهو
قوله تعالى يوسوس في صدور الناس فليس في بني آدم شر من الحسد
كما انه ليس في الشياطين شر من الوسوسة بل قيل الحاسد شر من ابليس
انتهى • ولنشرع الى بيان تخلية المتقي قلبه عن الاوصاف الذميمة
وتحلية بالاوصاف الحميدة فلا بد من ذكر منكرات القلب ومخافته
وآفاته اجمالا بعد تفسير الخلق وتقسيمه الى المذموم والممدوح
اعلم وفقك الله تعالى وايانا ان الخلق والخلق بالفتح والضم مستعملان
يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن
فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة الباطنة
فالخلق عبارة عن هيئة في النفس راسخة تصدر عنها الافعال
بسهولة من غير حاجة الى فكر وروية فما لم يثبت في النفس ثبوت
رسوخ بل على الندور بحالة عارضة لا يطلق عليه الرسوخ
كما لا يطلق على الفعل المتكلف انه بسهولة من غير روية فان كانت
الهيئة بحيث تصدر عنها الافعال الجميلة المحمودة شرعا وعقلا
سميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منها افعالا قبيحة

الذي هو

سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سخيا وليس الخلق عبارة عن الفعل
فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون
خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء وليس عبارة عن القوة
لان نسبة القوة الى الامساك والاعطاء بل الى الضدين نسبة
واحدة وكل انسان خلق بالفطرة قادرا على الاعطاء والامساك
وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء وليس عبارة عن المعرفة
فان المعرفة تتعلق بالجميل والقبيح على وجه واحد بل هو عبارة
عن الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل
قال في الاحياء فالخلق اذا عبارة عن هيئات النفس وصورتها الباطنة
وكما ان حسن الصورة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم
والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن
اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا
استوت الاركان الاربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق
وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل
بين هذه القوى الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها
في ان يصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب
في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل

و

والقبيح في الافعال فاذا انصلحت هذه القوة حصلت منها ثمرة الحكمة والحكمة
رأس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها يؤتي الحكمة من يشاء ومن
يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر
انقباضها وانبساطها على حد ما يقتضيه الحكمة وكذلك الشهوة حسنها
وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمة اعني اشارة الدين والعقل
واما قوة العدل فهو ضبط قوة الغضب والشهوة تحت اشارة
العقل والشرع انتهى واعلم ان تغيير الخلق ممكن لورود الشرع به
واتفاق العقلاء والتجربة ويختلف الاستعدادات فيه بحسب الامزجة
قوة وضعفا روى ابو داود في السنن ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال بعثت لاتمم مكارم الاخلاق واقتضى الحديث ان كل نبي
مبعوث الى امة انما بعث ليعلم الناس حسن الخلق وان نبينا
صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق فحسن الخلق اذا اشتمل
الشرايع كلها قال في الاحياء في بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق
الرياضة اعلم ان من غلبة البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة
والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب الاخلاق ولا تسمح نفسه
بان يعترف بان ذلك لقصوره ونقصه فزعم ان الاخلاق
لا يتصور تغيرها واعتذر بان الطباع لا تتغير واستدل على ذلك

العقلاء بيان

بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق هو صورة الظاهر
والخلقة الظاهرة لا يقدر على تغيرها فالطويل لا يقدر ان يجعل نفسه
قصيراً ولا القصير يقدر على ان يجعل نفسه طويلاً ولا القبيح يقدر
على تحسين صورته فكذلك القبيح الباطن يجري هذا المجرى والثاني
انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك
بطريق المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه
لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان لغير فائدة فان المطلوب
هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول
لو كانت الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات
ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا
في خلق الادمي وتغير خلق البهيمة ممكن اذ ينقل الصيد من التوحش
الى الانس والكلب من الصيد الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسة
وكل ذلك تغير للاخلاق انتهى ما قاله وخلاصته ان الجبلات مختلفة
بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول بسبب قوة الغريزة
في اصل الجبلة وان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعة له
وباعتقاد كونه حسنا ومرضيا لان الناس فيه اما جاهل فقط وهو
الذي لا يميز بين الجميل والقبيح والحق والباطل بل بقي كما فطر عليه خاليا

عن

عن جميع الاعتقادات ولم يتبع ايضا شهوته عن اتباع اللذات فهذا سريع القبول
للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى تعليم والى باعث من نفسه يحمله على المجاهدة
فيحسن خلقه في اقرب زمان واما جاهل وضال فقط وهو ان يكون
قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين سوء عمله فتعاطاه
انقيادا للشهوة واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوة عليه لكن
علم تقصيره في عمله فهو بالجملة محل قابل للرياضة ان انتهض بجد وتشمير
وجزم فعليه قلع ما رسخ في قلبه لكثرة التعود للفساد واما جاهل وضال
وفاسق وهو ان يعتقد في الافعال القبيحة انها الواجبة المستحسنة
وانها حق وجميل ويتربى على ذلك فهذا يكاد يمتنع معالجته ولا يرجى صلاحه
الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال واما جاهل وضال وفاسق
وشرير وهو ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيته
على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي به
وهذا في اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب
والحاصل ان الاخلاق الجميلة يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال
الصادرة عنها ابتداء ليصير طبعا انتهاء فان كل صفة تظهر في القلب
فيفيض اثرها على الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري
على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب وباستماع ما ورد في ذم

سوء الخلق اجمالا وتفصيلا وممّا ورد في ذمه ما خرجه الاصفهاني عن ميمونة
ابن مهران انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذنب اعظم
عند الله من سوء الخلق وذلك لان صاحبه لا يخرج من ذنب الا وقع
في ذنب وخرج الطبراني في المعجم الاوسط عن عائشة رضي الله عنها
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشوم سوء الخلق وخرج الضيا
والاصفهاني عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم
ما من شيء الا له توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب
الا عاد في شر منه وخرج الطبراني في الكبير والاوسط والبيهقي
عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب الماء الجليد والخلق السوء
يفسد الاعمال كما يفسد الخل العسل وخرج الطبراني في المعجم الاوسط
عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما حسن الله خلق رجل وخلقه فيطعمه النار والاخبار فيه كثيرة
فعليك بتخلية قلبك عن الرزائل وتحليتها بالفضائل وبالخروج
من كل خلق دني والدخول في كل خلق سني هذا ولنشرع الى بيان
تخلية القلب وتحليته بذكر جملة الاخلاق السيئة والرزائل الردية
ثم تحليته بالاخلاق الحسنة اجمالا وقد سبق في خلال ما سبق ذكر

نوع

نوع تفصيل الاكثر منها • اعلم ان جملة الرزائل الردية والاخلاق السيئة
ما ذكر من الكفر والنفاق واتباع الهوى والرياء والبدعة والكبر والعجب
والامن واليأس وتعليق القلب بالاسباب وبعض الصالحين وحب الظلمة
والسخط للقضاء والجزع والجهل وكفران النعمة والبخل والاسراف وحب المال
وحب الجاه وخوف الذم وحب المدح وطول الامل والطمع والحرص
والشرة والتذلل والحقد والحسد والسفه والوقاحة والعناد والتمرد
والصلف والفظاظة وحب الدنيا والحزن في امر الدنيا والخوف فيه
والفتنة والغش والمداهنة والانس بمخلوق والعجلة والبطالة والتسويف
والخفة والجبزة والغباوة والتقليد والجبن والعداوة والشماتة
والغدر والتهور والخيانة وخلف الوعد وسوء الظن والطيرة
والجمود والاصرار • واما الاخلاق الحميدة فمجموع ما ذكر وهو الايمان
واعتقاد اهل السنة والجماعة والاخلاص والاحسان والانس بالله
والشوق الى الله ومحبته والوقار والذكاء والعفة والاستقامة
والحكمة والادب والفراسة والتفكر والصدق والمرابطة والمشارطة
والمراقبة والمحاسبة والصلابة في امر الدين والحياء والشفقة
والرقة والتواضع والذكر والنصيحة والتصوف والغيرة والغبطة
في عمل الآخرة والسخاء والايثار والمروة والفتوة والشكر والرضا

والصبر والخوف من الله والرجاء والحزن والحب في الله والبغض في الله
والتوكل والخمول واستواء مدح وذم والمجاهدة وتحقيق قصر الامل
وذكر الموت والتفويض والتسليم والتملق في طلب العلم وسلامة الصدر
عن الحقد والحسد والشجاعة والحلم والرفق والامانة والوفاء
والانجاز بالعهد وحسن الظن والزهد والانابة والرشد والسخى
والقناعة والامارة والمبادرة في عمل الآخرة والمعاتبة والمعاقبة
وكظم الغيظ والعفو والنية والارادة وطول الحياة للعبادة والتوبة
والخشوع واليقين والعبودية والحرية والارادة فاذا عرفت اجمالا
ما به التخلية من الرذائل وما به التحلية من الفضائل فاعلم ان من تيقن
بان نفسه اعدى عدوه لم يستبعد الفرح والسرور عند لحوق الذل
والهوان لها واما من اتخذها اصدق اصدقائه فيعده ممتنعا
ومحالا فالاول لمة من الملك فمن وجد ذلك فليحمد الله على ذلك
وليتعوذ الثاني بالله من الشيطان اذ ليس للشيطان على عباد الله
المخلصين سلطان **الفصل الثاني** في بيان آفات الاعضاء السبعة
اجمالا وهي اللسان والاذن والعين واليد والبطن والفرج
والرجل ومن المعلوم ان اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه
الغريبة فانه صغير جرمه وكبير طاعته وجرمه اذ لا يبين الايمان والكفر

الا

الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والطغيان وكل ما يتناوله العلم
يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شيء الا والعلم متناول له وهذه
خاصية لا توجد في سائر الاعضاء فلهذا اقدم بيان آفاته على سائر
الاعضاء وآفات اللسان ليست مقصورة على القول باللسان بل السكوت
والترك فيما يحتاج الى التكلم من العبادات القولية والمعاملات الشرعية
مطلقا من آفات اللسان اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره
الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فروي
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من صمت نجا ويروى عن ابي بكر
رضي الله عنه انه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه من الكلام
ويقول هذا اوردني الموارد وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ
لسانه فالصمت اصل ما لم يكن للتكلم اجر او رخصة شرعا قال العيني
في شرح البخاري في باب حفظ اللسان عن التكلم بما لا يسوغ في الشرع
وقال عليه السلام وهل يكب الناس في النار على مناخرهم الا حصائد
السنتهم واما النطق بالحق فواجب والصمت فيه غير واسع
وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فليقل خيرا او ليصمت واما الاصل في الكلام فنوعان النوع الاول
ما كان الاصل فيه الاذن والمنع لعارض وهذا النوع على ثلثة اقسام

القسم الاول من العبادات وهي اما متعدية مثل التعليم والتذكير والامامة
والتأذين ولصحتها واستحبابها ووجوبها شرائط لابد من معرفتها
ومراعاتها لمن باشرها حتى يحصل المشروط فيصير عبادة يترتب عليها الثواب
ولا يأثم ان تركها فان لم يراع ما ذكر من الاركان والشرائط صار آثما من آفة اللسان
فلا يكون متقيا وموضع بيانه علم الفقه واما غير متعدية من العبادات القاصرة
كالتلاوة والذكر والدعاء ولهذا ايضا شروط وآداب قد سبق ذكر
البعض منها فان لم يراع تلك الشروط والآداب يأثم صاحبه فيكون
آفة اللسان كمن يقرأ او يذكر او يدعو باللحن الجلي وهو مخالفة الاعراب
والخفي وهو عدم اداء حق الحروف او بالتغني بزيادة او نقص
في الحروف فهما حرامان وقد عرفت فيما سبق لزوم التجويد او يقرأ
او يذكر او يدعو لا لرضاء الله تعالى بل للاجرة والنفع الدنيوي فانه
حرام في العبادة البدنية المحضة وكمن يسبح في مجلس المعصية لفعلها
او البايع عند فتح المتاع لا للتبرك بل لترويجه فقد حرمه بعض العلماء
لما فيه من استعمال الذكر بمعنى الترويج لبضاعته او الحارس لمتاع الغير
بان يقول صلوا على محمد او تبارك الله لاظهاره في السوق وغرضه
من الذكر اخذ الاجرة على الحراسة لا الذكر فانهم يأثمون بمثل هذه الاغراض
والنيات لاستبدالهم الادنى بالذي هو خير واما من يقصد الاعتبار

بانهم

بانهم يشتغلون بالمعصية او امور الدنيا واللائق الشغل بذكر الله تعالى
فانه يثاب كالواعظ يقول صلوا او الغازي كبروا اذ لم يوجد
ما يرفع الاجر وفي التاتارخانية رجل ذكر الله تعالى وسبحه في مجلس الفسوق
فان كان من نيته ان الفساق يشتغلون بالفسق وانا اشتغل
بالتسبيح فهو احسن وافضل وفي الخلاصة وانه يثاب لمن سبح الله تعالى
في السوق وكان من نيته ان الناس يشتغلون بامر الدنيا وانا
اسبح الله تعالى في مثل هذه المواضع كان افضل من ان يسبح الله تعالى
على غير السوق وان سبح على وجه الاعتبار كان حسنا فيوجر
على ذلك ايضا انتهى والقسم الثاني من العادات التي يتعلق بها
النظام وهي المعاملات كالبيع والاجارات والشركة والمضاربة والرهن
والهبة والوديعة والعارية والكتابة والعتاق والنكاح والطلاق
وكل ما يحتاج اليه فهذه الامور مباحات في اصلها شرعا ان لم يعارضها
محرم وان كان بعضها في بعض الحالات واجبا او سنة او مكروها
فان النكاح يجب عند القدرة على النفقة والمهر مع التوقان وسن
عند عدمه مع القدرة المذكورة ومكروه عند خوف الجور ولكن الشرع
اعتبر فيها اركانا يجب المراعاة عند المباشرة والا يصير كل واحد منها
اما باطلا لفقد ركنه او فاسدا لفقد شرطه او مكروها فيأثم صاحبه

بارتكاب الفاسد او الباطل او المكروه تحريما او يسيئ بارتكابه المكروه
تنزيها فيكون بسبب عدم رعاية الاركان والشروط آفة اللسان
فلهذا لما قيل لمحمد رحمه الله لم لا تصنف كتابا في الزهد قال صنفت
كتاب البيوع اشارة الى ان الزهد والتقوى لا يحصل الا بالتحرز
في المعاملات عن كل بطلان وفساد وكراهة فلا بد لكل من باشر
امرا من امور نظام المعاش وغيره معرفة احوالها بالشرع بحسب
الحاجة والمداخلة من علم الفقه اذ علم الفقه كافل لمعرفتها والقسم الثالث
من العادات التي لا يتعلق بها نظام المعاش وهي ستة الاول
المزاح فروى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قالوا يا رسول الله
انك لتداعبنا قال اني لا اقول الا حقا فاذا كانت مداعبتكم
لا تتضمن الباطل فجائزة والا فلا وعن انس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له يا ذا الاذنين يعني يمازحه
وفيه ثناء حسن عليه بحسن الاستماع وعن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليقول الكلمة
لا يقولها الا ليضحك بها المجلس يهوي بها ابعد ما بين السماء والارض
وان الرجل ليزل عن لسانه اشد ما يزل عن قدميه وقيل في معنى
الحديث جراحات السنان لها التيام ولا يلتام ما جرح اللسان

والثاني

والثاني المدح وهو جائز خرج الترمذي عن عقبة بن عامر والبيهقي
موقوفا انه قال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب
ولكن جوازه بشروط خمسة الاول ان لا يكون لنفسه وفي حكم تزكية النفس
مدح ما يتعلق بها مما يستلزم مدحه مدح المادح الثاني ان يتحرز عن الافراط
المؤدي الى الكذب والرياء وان لا يقول بما لا يتحققه الثالث
ان لا يكون الممدوح فاسقا روى عن انس رضي الله عنه قال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وفي رواية
اذا مدح الفاسق غضب الرب واهتز العرش الرابع ان يعلم
انه لا يحدث في الممدوح غرورا بما مدحه وعجبا وكبرا فمدح اللباس
والدابة والمسكن ونحوها داخل في التكبر وكذا ذمها روى
عن المقداد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيتم
المداحين فاحثوا في وجوههم التراب الخامس ان لا يكون المدح
لغرض حرام او مفضيا الى فساد والثالث الشعر وهو جائز
اذا خلا عن الكذب والرياء وذكر الفسق والتغني وآفات
المدح وهجو ما لا يجوز هجوه فان هجو الكافر والمنافق جائز لانه
رسول الله صلى الله عليه وسلم امر لشاعره حسان بن ثابت
بهجوهم وعن الاستكثار منه والتجرد له حتى يشغله عن بعض

الواجبات والسنن • والرابع السجع والفصاحة وهما محمودان
ان كانا بلا تكلف ولا تصنع خصوصا اذا كانا فى الخطابة والتذكير
بل يستحب التكلف اليسير واما التقعر فى الكلام بالتشدق وتكلف
السجع والفصاحة والتصنع فيه بما جرت به عادة المتفاصحين
المدعين للخطابة بحيث يبعد عن الطاعة ويؤدى الى القسوة
فمن التكلف الممقوت الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا والاتقياء من امتى برآء من التكلف والفصاحة والسجع
بحسب السليقة والطبيعة لا ينكر الاستحباب فيهما لان فيهما تحريك
القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وقد سبق الكلام فى المتنطعين
والخامس الكلام فيما لا يعنى وقد سبق فيه ايضا والسادس فضول
الكلام وهذا يتناول الخوض فيما لا يعنى والزيادة فيما يعنى على قدر
الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه ان يقرره
ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثانية
فضول وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر هذا وقد يكون الاذن
بالسكوت فهو كالقول فان النهى عن المنكر فرض بالكتاب والسنة
واجماع الامة واما المنع والرد بالقول فيما يجب الاذن كزيارة
الابوين فداخل فى النهى عن المعروف فيكون حراما وهذا شأن المنافقين

قال

قال تعالى فيهم يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وكذا منع امرأته
عن اقامة خدمة احد ابويها اذا كان مريضا اذا لم يوجد من يخدمه
ويقوم بحوائجه فيأثم الزوج وعليها ان تخرج بلا اذنه اذا لم يمنعها بالفعل
كالضرب والحبس • وفى الخلاصة يجوز للزوج ان يأذن لها بالخروج
الى سبعة مواضع زيارة الابوين وعيادتهما وتعزيتهما او احدهما
وزيارة المحارم فان كانت قابلة او غاسلة او كان لها على آخر حق
او لآخر عليها حق تخرج بالاذن وبغير الاذن والحج على هذا وفيما عدا
ذلك من زيارة الاجانب وعيادتهم والوليمة لا يأذن لها
ولو اذن وخرجت كانا عاصيين انتهى • والنوع الثانى ما كان الاصل فيه
الحظر والمنع وهو ستون الاول كلمة الكفر العياذ بالله وحكمه
ان كان طوعا من غير سبق لسان احباط العمل كله ثم لا يعود بعد التوبة
عندنا فيجب عليه الحج ان كان غنيا ولو حج اولا قال تعالى ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ولا يجب قضاء ما صلى
وصام وزكى ويجب قضاء ما فات فى حال الاسلام منها لان المعصية
لا تذهب بالكفر وانفساخ النكاح ولو من المرأة بلا طلاق فلا يلزم
الحلة بعد الثلث فلو صدرت من المرأة تجبر على النكاح بعد التوبة
ومن الرجل تتخير المرأة ان تاب وحرمة ذبيحته وحل دمه لتبديل دينه

وتوبته الرجوع عما قاله والجحود ايضا توبة • والثاني ما فيه خوف الكفر
وحكمه ان يؤمر بالتوبة وتجديد النكاح احتياطا • والثالث الخطأ وحكمه ان يؤمر
بالتوبة والاستغفار فقط • والرابع الكذب وهو الاخبار عن الشيء
على غير ما هو عليه فان لم يكن عن عمد فمعفو بدليل يمين اللغو وان عن عمد
فحرام قطعي الا في مواضع خرج الترمذي عن اسما بنت يزيد انه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل الكذب الا في ثلث
رجل كذب امرأته ليرضيها ورجل كذب في الحرب فان الحرب خدعة
ورجل كذب بين المسلمين ليصلح بينهما وزاد في رواية ابي داود
عن ام كلثوم والمراة تحدث زوجها والحق بهذه الثلث دفع
ظلم الظالم واحياء الحق قيل ومنه الوعيد والوعد الكاذبان
للصبي والانكار لستر الغير ومعصية نفسه وقيل المباح في هذه المواضع
التعريض وهو الخامس من آفات اللسان وهو ارادة غير الظاهر
المتبادر من الكلام ولا بد من احتماله لمراده بحسب اللغة ولا يكفي
مجرد النية فهو جائز عند الحاجة كالصور السابقة ويكره بدونها •
واما الكذب الصريح فحرام لا يحل بحال فيما عدا ما ذكر آنفا ومن التعريض
تقييد الكلام بلعل وعسى عن النبي صلى الله عليه وسلم المخرج من الكذب
اربع ان شاء الله وما شاء الله ولعل وعسى كذا في التاتارخانية •

ومن

ومن التعريض ان يقول اشتريت هذه الجبة مثلا وقد اشتريته بستة
لان الاول موجود في الثاني فلا يكون كذبا وقد يكون ذكر العدد كناية
عن الكثرة فلا يراد خصوصه وان شئت ان تعرف مثالا فتجد سبعين مثالا •
والسادس الغيبة وقد مضى نوع التفصيل فيما سبق والسابع النميمة
وقد مضت ايضا والثامن السخرية وهي تتضمن الاستصغار والاستخفاف
وهي حرام كما مر والتاسع اللعن وهو الطرد والابعاد من رحمة الله تعالى
فلا يجوز لشخص معين بطريق الجزم ولا لحيوان وجماد وقد ورد التصريح
عن النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي عن لعن الريح والبرغوث وانما يجوز
اللعن بالوصف العام المذموم لانه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه لعن من ذبح لغير الله تعالى ومن لعن والديه ومن اوى محدثا
ومن غير منار الارض واكل الربوا ومؤكله وكاتبه وشاهده
والواشمة والموشومة ومانع الصدقة والمحلل له والمختفي والمختفية
ومن ام قوما وهم له كارهون وامرأة زوجها عليها ساخط
ورجلا يسمع الاذان ولم يجب والراشي والمرتشي وعاصر الخمر ومعتصرها
وشاربها وساقيها وحاملها والمحمولة اليه وبايعها ومبتاعها
واكل ثمنها • والعاشر السب خرج البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال لاخيه يا كافر فقد باء بها

احدها فان كان كما قال والا رجعت عليه • والحادي عشر الفحش •
والثاني عشر الطعن والتعيير • والثالث عشر النياحة • والرابع عشر
المراء وهو طعن في كلام الغير باظهار خلل فيه فقط • والخامس عشر الجدال
فان قصد تخجيل الخصم فحرام وقدح • والسادس عشر الخصومة وهي مذمومة
وهي وراء المراء والجدال لان المراء طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه
وليس فيه غرض الا تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدل عبارة عن مراء
يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفي به
مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضا
والمراء لا يكون الا بالاعتراض على كلام سابق • والسابع عشر الغناء
والتغني للناس اذا لم يكن في العرس والاعياد وايام الافراح سماه كثير
من الفقهاء وصاحب الهداية كبيرة قال الله تعالى ومن الناس
من يشتري لهو الحديث قال بعض المفسرين ان المراد منه الغناء
واما التغني في العرس والاعياد والتغني لدفع الوحشة وحده
فاختلفوا فيه دون التغني بالقران والذكر والدعاء اذ التغني
بحسن الصوت بلا لحن فمندوب اليه زينوا القران باصواتكم
زينوا اصواتكم بالقران ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي ان يتغنى
بالقران ليس منا من لم يتغن بالقران وليس المراد في هذه الاحاديث

الا

الا التغني بعدم اضرار الكلمة عن وضعها بل تحسينها بتحسين الصوت
وتزيين القراءة وذلك مستحب عندنا في الصلوة وخارجها • ومن الآثار خانية
وذكر محمد رحمه الله في السير عن انس بن مالك رضي الله عنه انه دخل
على اخيه البراء بن مالك وهو كان يتغنى فقال انس اتتغنى فقال البراء
اخشى ان اموت على فراشي وقد قتلت تسعة وتسعين من المشركين
مبارزا سوى ما شاركت فيه من المسلمين قوله وهو كان يتغنى بطاهر
حجة لمن يقول لا باس للانسان ان يتغنى اذا كان يسمع فيونس نفسه
وانما يكره اذا كان يسمع ويونس غيره فان البراء بن مالك من زهاد
الصحابة وقال ايضا وفي الذخيرة ومنهم من قال لا باس في الاعياد
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا في يوم العيد
وفي الدهليز جاريتان تغنيان بالدف فجاء ابو بكر رضي الله عنه
وقال لهما اتغنيان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
دعهما فان هذا اليوم يوم عيد ومنهم من قال اذا كان يتغنى
ليستفيد به نظم القوافي ويصير فصيح اللسان لا باس ومنهم من قال
اذا كان وحده يتغنى لدفع الوحشة عن نفسه فلا باس وبه اخذ
شمس الائمة السرخسي رحمه الله وانما المكروه على القائل ما يكون على سبيل
اللهو انتهى • والثامن عشر افشاء السر • والتاسع عشر الخوض في الباطل

والعشرون سوال المال والمنفعة الدنيوية عمن لا حق له فيه وهو حرام
الا عند الضرورة والحادي والعشرون سوال من لم يبلغ فهمه عن كنه
ذات الله تعالى وصفاته وكلامه وعن الحروف اهي قديمة او محدثة
وعن قضاء الله وقدره خرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال الناس يتساءلون
حتى يقال هذا خلق الله فمن خلق الله تعالى فمن وجد من ذلك شيئا
فليقل آمنت بالله ورسله وفي رواية فليستعذ بالله ولينته
وزاد ابو داود فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ثم ليتفل عن يساره وليستعذ
من الشيطان والثاني والعشرون السوال من المشكلات ومواضع
الغلط للتغليط والتخجيل وهو حرام والمستحب في السوال عنها
ان يكون للتعلم او للتعليم او حثهم على التامل والثالث والعشرون
الخطاء في التعبير والغفلة عن دقايق الخطاء في فحوى الكلام
لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر
على تقويم اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر
في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل لكن الله تعالى يعفو عنه
لجهله روي عن حذيفة انه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم

ما

ماشاء الله وشئت ولكن ليقل ماشاء الله ثم شئت وقال ابن عباس
رضي الله عنه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه في بعض الامر
فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني لله عدلا
بل شاء الله وحده واخرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وزاد
في رواية ولكن قولوا العنب والحبلة وايضا خرج مسلم عن ابي هريرة
رضي الله عنه انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل
يقول هلك الناس فهو اهلكهم هذا اذا كان معجبا بنفسه مزريا بغيره
اي اشدهم هلاكا اذا اصدر ذلك القول عن عجب وكان ابرهيم يكره
ان يقول اعوذ بالله وبك ويقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله
وفلان وقال محمد رحمه الله في الجامع الصغير يكره ان يقول الرجل
في دعائه بحق نبيك وعلل صاحب الهداية بقوله لانه لا حق للمخلوق
على الخالق وقال في المحيط السرخسي ايضا ويكره ان يقال بحق انبيائك
ورسلك لانه لا حق للمخلوق على الخالق فاقتضى التعليل في غير النبي عدم
القول بطريق الاولوية وفي التاتارخانية نقلا عن الجامع الصغير يكره
ان يقول في دعائه بحق نبيك ولكن يقول بدعوة نبيك وجاء
في الآثار ما دل على الجواز وفي المنتقى عن ابي يوسف عن ابي حنيفة رحمهما الله

لا ينبغي لاحد ان يدعو الله الا به ويكره ان يقول ادعوك بمقعد العز من عرشك
قال ثمه والدعاء المأذون فيه والمأثور به من قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى
فادعوه بها • وقال ايضا عن ابي حنيفة رحمه الله انه قال يكره للرجل ان يقول
في دعائه اللهم اني اسألك بمقعد العز من عرشك يروى هذا اللفظ
بروايتين بمعقد العز من عرشك وبمقعد العز من عرشك من القعود
فبالرواية الثانية لا شك في الكراهة لانه وصف الله تعالى بما لا يليق
وهو القعود والتمكن على العرش وهو قول المجسمة واما باللفظ الاول
فلانه يوهم تعلق عزه بالعرش وان عزه حادث اذ التعلق بالحادث
والله تعالى متعال عن صفة الحدوث • وعن ابي يوسف انه قال
لا يكره قال الفقيه ابو الليث وبه نأخذ انتهى • وكذا في الهداية قال
وعن ابي يوسف انه لا بأس به وبه اخذ الفقيه ابو الليث رحمه الله
لانه مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم روي انه كان يقول في دعائه
اللهم اني اسألك بمقعد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك
وباسمك الاعظم وجدك الاعلى وكلماتك التامة ولكنا نقول
هذا خبر واحد انتهى • وفي السراجية يكره ان يدعو الرجل اباه
والمرأة زوجها باسمه • وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم

عبيد

عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي
وفتاتي ولا يقول المملوك ربي وربتي ولكن سيدي وسيدتي فكلكم
عبيده والرب واحد عز وجل وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسم عاصية بنت عمر رضي الله عنه الى جميلة وحزن الى سهل وعزيز
الى عبد العزيز وعتلة الى عتبة وشيطان وحكم وغراب الى عبد الله
وشهاب الى هشام وحرب الى سلم وبرة الى زينب فقال صلى الله عليه وسلم
لا تزكوا انفسكم وكان يكره ان يقال خرج من عنده برة وسمى المضطجع
المنبعث وارضا تسمى عفرة خضرة وشعب الضلالة شعب الهدى
وبني الزنية بني الرشدة وبني مغوية بني رشد ومنع عن التكنية
بابي الحكم وقال اقبح الاسماء حرب ومرة وان اخنع اسم عند الله
ملك الاملاك وقال لا تسمين غلامك يسارا ولا رباحا ولا نجيحا
ولا افلح ولا بركة ولا نافعا فانك تقول أثمه هو فيقال لا والرابع والعشرون
النفاق القولي وهو مخالفة القول الباطن في الثناء واظهار المحبة
وقد سبق بيانه والخامس والعشرون كلام ذي اللسانين الذي
يتكلم بين المتعادين كل واحد بكلام يوافقه او ينقل كلام كل واحد
الى الآخر او كان يحسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة ويثني عليه
او يعد كل واحد منهما ان ينصره وهذا يتضمن النفاق ويزيد عليه وقد سبق

ظ اسمه

البيان • والسادس والعشرون الشفاعة السيئة قال الله تعالى
ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها • والسابع والعشرون
الامر بالمنكر والنهى عن المعروف وهو صفة المنافقين قال الله تعالى
المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون
عن المعروف • والثامن والعشرون غلظة الكلام والعنف على المؤمنين
والحال ان المستحب معهم طيب الكلام والتبسم وطلاقة الوجه بخلاف
الكفرة والمبتدعة والظلمة قال الله تعالى واغلظ عليهم وليجدوا فيكم
غلظة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله • والتاسع والعشرون
السؤال والتفتيش عن عورات الناس • والثلثون افتتاح الجاهل
الكلام عند العالم والتلميذ عند الاستاذ او عند اعلم او افضل منه •
والحادى والثلثون التكلم عند الاذان والاجابة بغير الاجابة
قالوا يقطع كل عمل باليد والرجل واللسان حتى التلاوة ان كان
فى غير المسجد ولا يسلم واما رده فقد اختلفوا فيه ويشتغل بالاجابة
واختلفوا فى الاستحباب والوجوب فقال بالاول صاحب الهداية
وغيره وقال جماعة بالثانى كصاحب التحفة والبدايع • والثانى والثلثون
الكلام فى الصلوة سوى القران والاذكار المأثورة • وفى التاتارخانية
واذا سلم رجل على الذى يصلى او يقرأ القرآن روى عن ابى حنيفة رحمه الله

انه يرد السلام بقلبه وعن محمد انه يمضى على القراءة ولا يشغل قلبه
كما لا يشغل لسانه وفى فتاوى آهو وعند ابى يوسف رحمه الله يجيبه
بعد الفراغ • والثالث والثلثون الكلام فى حال الخطبة ولو تسبيحا
او تصلية او امرا بالمعروف او نحوها خرج البخارى ومسلم عن ابى هريرة
رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك
يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت • والرابع والثلثون
كلام الدنيا بعد طلوع الفجر الى الصلوة وقيل الى طلوع الشمس لانه مكروه •
والخامس والثلثون الكلام عند قضاء الحاجة • فى الخانية رجل سلم
على من كان فى الخلاء يتغوط او يبول لا ينبغى ان يسلم عليه فى هذه الحالة
فان سلم عليه قال ابو حنيفة رحمه الله يرد عليه السلام بقلبه لا بلسانه
وقال ابو يوسف لا يرد اصلا ولا بعد الفراغ وقال محمد يرد بعد الفراغ
من الحاجة • والسادس والثلثون الكلام عند الجماع فانه مكروه وكذلك
الضحك يكره فى هذه المواضع • والسابع والثلثون الدعاء على مسلم
خصوصا بالموت على الكفر فانه كفر عند بعض مطلقا • والثامن والثلثون
الدعاء للكافر والظالم بالبقاء وحصول المراد بلا شرط الايمان والعدل
والصلاح فانه لا يجوز لانه رضاء بالمعصية • والتاسع والثلثون
الكلام عند قراءة القرآن قال تعالى واذا قرئ القران فاستمعوا له •

والاربعون كلام الدنيا في المساجد بلا عذر فانه مكروه لغير المعتكف •
والحادي والاربعون وضع لقب بسوء بمسلم وذكره به من غير ضرورة
التوليف قال الله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب واما اللقب الحسن فجائز •
والثاني والاربعون اليمين الغموس وهو الحلف على الكذب عمدا •
والثالث والاربعون اليمين بغير الله تعالى وهذا على قسمين الاول
ما كان بطريق التعليق على امر فان كان الامر المعلق غير الكفر كالطلاق
والعتاق والنذر فعند بعضهم يكره مطلقا لما فيه التزام ما لا يلزمه
الشرع وعند بعضهم كره في الماضي دون المستقبل وعند عامتهم لا يكره
لعدم النهي عنه وان كان الامر المعلق كفرا فحرام • ثم ان كان
صادقا لا يكفر وان كان كاذبا فهذا من اكبر الكباير حتى ذهب بعضهم
الى انه كفر مطلقا • والرابع والاربعون كثرة الحلف ولو على الصدق
قال تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ولا تطع كل حلاف مهين •
والخامس والاربعون سوال الامارة والقضاء فانه لا يحل كسوال
المال • والسادس والاربعون سوال تولية اوقاف لوا لا يولي
من طلب الولاية على الاوقاف كمن طلب القضاء لا يقلد •
والسابع والاربعون طلب الوصاية • قال قاضيخان لا ينبغي للرجل
ان يقبل الوصاية لانها امر على خطر لما روي عن ابي يوسف انه قال

في الدخول في الوصية اول مرة غلط والثانية خيانة وعن غيره والثالثة
سرقة وعن بعض العلماء لو كان الوصي عمر بن الخطاب لا ينجو عن الضمان
وعن الشافعي رحمه الله لا يدخل في الوصية الا احمق او لص انتهى • فلذا قيل
اتقوا الواوات • والثامن والاربعون دعاء الانسان على نفسه
وقد مضى فيما سبق • والتاسع والاربعون رد عذر اخيه وعدم قبوله
والخمسون تفسير القران برايه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال من قال في كتاب الله تعالى برايه فاصاب فقد اخطا • قال الفقيه
ابو الليث النهي انما ورد الى المتشابه منه لا الى جميعه كما قال الله تعالى
فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة
وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم يقولون
امنا به الاية • لان القران انما نزل حجة على الخلق فلو لم يجز التفسير
لا يكون حجة بالغة فاذا كان كذلك جاز لمن يعرف لغات العرب
وعرف شان النزول ان يفسره واما من كان من المتكلفين ولم يعرف
وجوه اللغة لا يجوز له ان يفسره الا مقدار ما سمع فيكون ذلك على وجه الحكاية
لا على سبيل التفسير انتهى • والحادي والخمسون السوال عن حل شيء وحرمته
وطهارته ونجاسته صاحبه ومالكه تورعا بلا ريبة وامارة ظاهرة
على الحرمة والنجاسة اذ الصحابة والتابعون اعتمدوا على الظاهر

فان اليد دليل الملك والاصل في الاشياء الحل والطهارة واليقين لا يزول بالشك. والثاني والخمسون اخافة المؤمن من غير ذنب واكراهه على ما يريده. والثالث والخمسون قطع كلام الغير بكلامه من غير ضرورة. والرابع والخمسون رد التابع كلام متبوعه ومقابلته ومخالفته كرد الرعية كلام الامير وكلام القاضي والولد كلام والديه والمملوك كلام سيده والتلميذ كلام استاذه والمرأة كلام زوجها والجاهل كلام العالم قال في الخلاصة رجلان وقعت بينهما خصومة واخذ احدهما خطوط المفتين فقال الآخر ليس كما كتبوا ولا يعمل بهذا يجب عليه التعزير. والخامس والخمسون التكلم مع الشابة الاجنبية فانه لا يجوز بلا حاجة حتى لا يشمت ولا يسلم عليها ولا يرد سلامها جهرا بل في نفسه وكذا العكس لقوله صلى الله عليه وسلم واللسان زناه الكلام والسادس والخمسون تناجي اثنين عند ثالث ولو ساكتا روي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كنتم ثلثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان ذلك يحزنه ولا تباشر المرأة فتصفها لزوجها كانه ينظر اليها والسابع والخمسون السلام على الذمي بلا حاجة عنده فانه مكروه ومعها لا بأس به وعن اصحابنا انه لا يسلم على الفاسق المعلن ولا على الذمي

يتغنى

يتغنى والذي يطير الحمام كذا في التاتارخانية نقلا عن العتابية ويرد سلام الذمي بقوله وعليكم ولا يزيد عليه. والثامن والخمسون السلام على من في الخلاء وقد تقدم. والتاسع والخمسون دلالة طريق المعصية لمن يريدها فانها لا تجوز لكونها اعانة على المعصية وفي الخلاصة ذمي يسأل مسلما عن طريق البيعة لا ينبغي له ان يدله انتهى فالدلالة للشرب والظلمة اذا ذهبوا للظلم والفسق وتعليم المسائل للمبطل في دعواه وتعليم الاقوال الضعيفة منها. والستون الاذن والاجازة لمن له الاطاعة عنه فيما هو معصية فان الرضاء بالمعصية معصية كاذن الزوج لامرأته ان تخرج من بيته الى غير مواضع مخصوصة وقد مضى البيان فيما سبق وجملة ما ذكر الى هنا آفات اللسان وان السكوت عن كل كلام وجب او سن آفة اللسان حرام او مكروه وصاحبه شيطان اخرس اللهم اعنا على ذكرك والقيام على طاعتك

في بيان آفات الاذن

اعلم وفقك الله تعالى وايانا ان استماع كل ما لا يجوز تكلمه بلا ضرورة دينية كاقامة واجب او سنة او دنيوية كخوف الهلاك واخذ الحق وكسب المعاش من آفات الاذن حرام او مكروه وتكلموا في معنى المكروه والمروي عن محمد رحمه الله نصا ان كل مكروه حرام الا انه لما لم يجد فيه نصا قاطعا لم يطلق عليه لفظ الحرام وعن ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله

الى الحرام اقرب كذا فى الهداية • ومن الآفات استماع الملاهى بلا اضطرار
دينى او دنيوى كالغزو والحج والتجارة اذا لم يمكن الا مع استماع
الملاهى فلا يضر قال قاضيخان عن النبى صلى الله عليه وسلم استماع الملاهى
معصية والجلوس عليها فسق والتلذذ بها من الكفر انما قال ذلك على وجه
التشديد وان سمع بغتة فلا اثم عليه ويجب عليه ان يجتهد كل اجتهاد
حتى لا يسمع لما روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ادخل اصبعيه
فى اذنيه انتهى • ومنها استماع الغنى بالاختيار وقد مضى فى آفات
اللسان وقال حجة الاسلام فى نقل المذاهب فيه حكى القاضى ابو الطيب
الطبرى عن الشافعى ومالك وابى حنيفة وسفيان رضى الله عنهم
وجماعة من العلماء الفاظا يستدل بها على انهم رأوا تحريمه
قال قال الشافعى فى كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه
الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته وقال القاضى ابو الطيب
استماعه من المرأة التى ليست بمحرم لا يجوز عند اصحاب الشافعى بحال
سواء كانت مكشوفة او من وراء حجاب وسواء كانت حرة
او مملوكة وقال قال الشافعى رحمه الله صاحب الجارية اذا جمع الناس
لسماعها فهو سفيه ترد شهادته وقال حكى عن الشافعى انه كان يكره
الطقطقة بالقضيب وقال وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن

وقال

وقال الشافعى ويكره من جهة الخبر اللعب بالنرد اكثر مما يكره من اللعب بشيء
من الملاهى ولا احب اللعب بالشطرنج واكره كل ما لعب به الناس لان
اللعب ليس من صنعة اهل الدين ولا المروة • واما مالك فقد نهى عن
الغناء فقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ردها وهو
مذهب سائر اهل المدينة الا ابرهيم بن سعد وحده واما ابو حنيفة رحمه الله
فانه كان يكره ذلك ويجعل سماع الغناء من الذنوب وكذلك
سائر اهل الكوفة كالثورى وحماد والنخعى والشعبى وغيرهم فهذا
كله نقله القاضى ابو الطيب الطبرى انتهى • وقد سبق ذكر التغنى
فى القرآن والالحان فى تعظيم القرآن وتلاوته حق تلاوته نقلا
عن التاتارخانية فمن استمع القرآن ممن يقرأ بلحن وخطاء بلا تجويد
فعليه النهى ان ظن تأثير نهيه وتعليمه والا فعليه القيام والذهاب
ان قدر بلا ضرر فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين • ومنها استماع
امرأة اجنبية من غير حاجة خرج البخارى ومسلم عن ابى هريرة رضى الله عنه
مرفوعا كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة
العينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه
الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطى والقلب يهوى
ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه • ومنها استماع حديث قوم

يكرهونه الا انه يكون في قصد اضراره فقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين
شعيرتين ولن يفعل ومن استمع الى حديث قوم وهم له كارهون
صب في اذنيه الآنك يوم القيمة ومن صور صورة عذب وكلف
ان ينفخ فيه الروح وليس بنافخ واعلم ان ما ذكر من آفات الاذن من حيث
الاستماع واما آفاته من حيث انه اعرض عنه اما بعدم الاستماع
رأساً واما بعدم التفاته وقبوله كعدم استماع القران والخطبة
وخطاب المتبوع كالامير والقاضي والاستاد والوالدين والمحتسب
المنصوب والزوج والسيد وكعدم استماع القاضي كلام الخصمين
او احدهما والمفتي كلام المستفتي واولى الامر وشكوى المظلوم
والمسؤل عنه كلام السائل المضطر والاغنياء والكبراء كلام الفقراء
والضعفاء استكبارا واستحقارا ونحو ذلك مما يجب او يسن
استماعه اللهم اجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه

في بيان آفات العين اعلم ان حفظ العين والنظر مهم فهو عسير
من حيث انه قد يستهان به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها
تنشأ منه فان النظر مبدأ الزنا والنظرة الاولى اذا لم يقصد
لا يؤاخذ بها والثانية يؤاخذ بها روى عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه

انه قال لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلا بن زياد
لا تتبع بصرك رداء المرأة فان النظر يجعل في القلب شهوة وقل ما يخلو
الانسان في ترداده عن وقوع البصر على النساء والصبيان ومهما تخايل
اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعند ذلك ينبغي ان يقرر على نفسه ان هذه
المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن
الوصول لا يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يستلذ به واثم لانه قصد
التلذذ فقد فعل ما اليه فلا يخلو في كلتي حالتيه عن معصية وعن اثم وتحسر ومهما حفظ
العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من الآفات وان اخطئ نظره وحفظ
الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة ونهاية التوفيق وبالجملة غض
البصر مامور به قال الله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك
ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن
فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن
ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن
او ابناء بعولتهن او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن
او نسائهن او ما ملكت ايمانهن او التابعين غير اولى الاربة
من الرجال او الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن
بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون

لعلكم تفلحون • وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه مرفوعا قال الله تعالى
النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها من مخافتي ابدلته ايمانا
يجد حلاوته في قلبه • وعن ابي امامة رضي الله عنه مرفوعا ما من مسلم
ينظر الى محاسن امرأة ثم يغض بصره الا احدث الله تعالى له عبادة يجد
حلاوتها في قلبه • وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا كل عين باكية
يوم القيمة الا عينا غضت عن محارم الله وعينا سهرت في سبيل الله تعالى
وعينا خرج منها مثل رأس الذباب من خشية الله تعالى • ثم ان اعظم
الافات النظر الى عورة انسان قصدا فالمنظور اليه ان كان نفسه
او صغيرا او صغيرة حيث لا يتكلم ذلك الصغير او الصغيرة المنظور اليها
او منكوحة بنكاح صحيح او امة ملكه لم تحرم عليه بمصاهرة بان تكون
موطوءة ابيه او ابنه او امة الموطوءة اختها ولم يحرمها عليه بنكاح
او بيع لغيره او ام امة الموطوءة او رضاع او نكاح او حرمة
غليظة بان طلقها طلقتين ثم ملكها فلا يحل له وطئها حتى تنكح زوجا
غيره او بكونها مشركة غير كتابية او مشركة يجوز النظر من الزوجين
الى كل عضو منهما الا انه قال بعضهم الادب ان لا ينظر الى الفرج
وان كان المنظور اليه غير هؤلاء فان كان النظر بعذر شرعي فيجوز
سواء كانت تحت السرة او غيره وان لم يكن بعذر فان كان بشهوة

او بشك

او بشك فيحرم سواء كان المنظور اليه امرأة او غيرها وان ظرشابا او شيخا
والمنظور اليه عورة او غير عورة وان لم يكن بشهوة ولا شك فان كان
المنظور اليه ذكرا يحرم النظر اليه من تحت السرة الى تحت الركبة والسرة
ليست من العورة عندنا وان لم يكن المنظور اليه ذكرا او انثى فان كان
الناظر كالمنظور اليه انثى فكنظر الرجال بعضهم الى بعض وان لم يكن الناظر
مثل المنظور اليه انثى بل ذكرا فان كانت المنظورة اليها حرة اجنبية غير
محرم للناظر يحرم اليها النظر سوى وجهها وكفيها والنظر الى وجهها وكفيها
من غير حاجة مكروه واما عند الحاجة فكالنظر الى الذكر بل مع زيادة الظهر
والبطن اذا دخل العذر في الحاجة والعذر لتسعة • الاول تحمل الشهادة
كما في الزنا الثاني اداء الشهادة في حق المرأة الثالث حكم القاضي الرابع
الولادة للقابلة الخامس البكارة في العنة والرد بالعيب السادس
الختان سنة في الذكر والخفض مستحب في البكر السابع المداواة
كالاحتقان للامراض لا للجماع الثامن ارادة النكاح التاسع ارادة
الشراء • ففي هذه الاعذار يجوز النظر ولو حصل الشهوة بغير قصد وفي
حكم النظر الى اليدين النظر فوق ثيابها ان حصل الشهوة به • ومن الافات
النظر الى بيت الغير من شق الباب او من ثقب او كشف ستر فانه منهي عنه
خرج البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا • من اطلع في بيت

قوم بغير اذنهم فقد حل لهم ان يفقئوا عينه ٭ وعن ابي ذر رضي الله عنه
مرفوعا ايما رجل كشف سترا فادخل بصره قبل ان يوذن فقد اتى
حدا لا يحل له ان يأتيه ولو ان رجلا فقأ عينه لهدرت ولو ان رجلا
مر على باب لا ستر له فرأى عورة اهله فلا خطيئة على اهل المنزل ٭
وعن عبد الله بن بسر رضي الله عنه مرفوعا لا تأتوا البيوت من ابوابها
ولكن ائتوها من جوانبها فاستأذنوا فان اذن لكم فادخلوا
والا فارجعوا اعلم ان السبب الداعي يقام مقام المدعو مثل اقامة المس
والنكاح مقام الوطئ في ثبوت حرمة المصاهرة فان المس
والنكاح سبب داع الى الوطئ فما كان سببا للذنب فهو ذنب
وقد يقام الدليل مقام المدلول الا ان الفرق بينهما ان السبب لا يخلو
عن تأثير او افضاء والدليل يخلو عن ذلك ٭ ومن الآفات مشاهدة
المعاصي والمنكرات بالوقوف عليها والنظر اليها بغير ضرورة
ومن الآفات اتباع البصر الى انقضاض كوكب فانه منهي عنه
والنظر الى من فوقه في امر الدنيا على وجه الرغبة والى من دونه
في امر الدين ايضا منهي عنه وكذا النظر الى الفقراء والضعفاء
بطريق الاستخفاف والاحتقار فانه تكبر حرام ٭ ومن الآفات
ايضا عدم النظر في كل موضع يجب النظر فيه وانما يجب اذا توقف عليه

واجب

واجب لحضور الجمعة والجماعات اذا لم يمكن بدون النظر ولحكم القاضي
والشهادة ونحوهما **في بيان آفات الفرج** اعلم اولا ان
شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفائدتين ٭ احديهما انه يدرك
لذته فيقيس عليها لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت
لكانت اقوى لذات الاجساد كما ان النار والمها اعظم
آلام الاجساد والترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم
وليس ذلك الا بالم محسوس ولذة مدركة فان ما لم يدرك
بالذوق لا يعظم اليه الشوق ٭ الفائدة الثانية بقاء النسل ودوام
الوجود فهاتان فائدتها ولكن فيها من الآفة ما يهلك الدين والدنيا
ان لم يضبط ولم يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال ٭ وعن ابن عباس
رضي الله عنه في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب هو قيام
الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل
ذهب ثلثا عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك
من شر سمعي وبصري وقلبي ومني وقال صلى الله عليه وسلم
النساء حبائل الشيطان فلولا هذه الشهوة لما كان للنساء
سلطنة على الرجال كذا في الاحياء ٭ وبالجملة الحذر عن غضب الله تعالى

وسخطه لازم لان تلك الذنوب من حيث انه عصيان رب
الارباب لا يبعد ان تكون مستجلبة للغضب كالسم يقتضي الهلاك
وان يدفع غائلته بالترياق فان سبق رحمته سبحانه غضبه يقتضي
التجاوز عنها وهو الغفور الرحيم • فاما آفات الفرج وهي الزنا
واللواطة ووطي الحائض فانها حرام ويكفر مستحلها • قال في
مختارات النوازل ووطي الحائض حرام يكفر مستحله ويفسق
مباشره انتهى • وحرم اللواطة بزوجته وامته وعبده ايضا
ولا يمنع ملك النكاح واليمين حرمة اللواطة اذ الحرمة لا تسقط
بالشبهة لكن الشبهة وان كانت ضعيفة تمنع اكفار المستحل
وفي مختارات النوازل يجتنب عن الاستمتاع ما تحت الازار
حالة الحيض عند ابي حنيفة رحمه الله خلافا لمحمد ويجوز ان يستمتع
ما فوق الازار وظاهر قوله تعالى فاعتزلوا النساء في المحيض
اي الفرج وما قرب منه فهو في حكمه فيجتنب منه ولا يعتزل عن
فراشها لانه تشبه باليهود وقد صح ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يضاجع بعض نسائه وهن حيض وكذلك الامة البالغة
اذا حاضت لا يتعرض مولاها تحت الازار وتفسير الازار هو
الازار الموصوف اي لا يستمتع بها ما تحت السرة • وقيل المراد

من

من الازار الاستتار يعني اذا استترت يحل له الاستمتاع بما فوقه وعلى هذا
يجتنب عن الفرج لا غير ولو انقطع حيضها ما دون العشرة لم يحل له
وطئها حتى تغتسل ولو انقطع على العشرة يحل وطئها قبل الغسل ولو انقطع
ما دون عادتها وفوق الثلث لم يحل له وطئها وان اغتسلت
حتى يمضي عادتها فاذا مضت عادتها قبل يعاد الغسل انتهى •
وفي صحيح البخاري كانت اليهود يقول اذا جامعها من ورائها
جاء الولد احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا من اتى حائضا او امرأته في
دبرها او كاهنا فصدقه كفر بما انزل على محمد • وعنه رضي الله عنه مرفوعا
ملعون من اتى امرأته في دبرها • وعن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا
من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به
ومن اتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه • فعندنا يعزر من اتى بهيمة
والبهيمة تذبح ويجوز بيع لحمها والاكل والانتفاع حينئذ ويضمن لصاحبها
قيمتها • ولا يجوز ان يجامع قبل الاستبراء من يجب عليه استبراؤها
او يفعل دواعيه فانها حرام ايضا قبله • وكذا ان يأتي زوجته
الصغيرة التي لا تحتمل الجماع او المريضة المتضررة بالجماع وكذا امته
الصغيرة او المريضة وكذا الجماع عند احد يعرفه • وكره ان يستقبل القبلة

عند قضاء الحاجة او الشمس او القمر اذا لم يكونا محجوبين وكذا استدبار
القبلة والاستنجاء بماله قيمة من الملبوس والمأكول للانسان
او للدابة او نحوه او نجاسة كالروث والتخلي في الطريق او في
ظل الناس او في مواردهم خرج مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه
مرفوعا اتقوا اللاعنين قالوا وما اللاعنان يا رسول الله قال
الذي يتخلى في طريق الناس او في ظلهم والبول قائما بلا عذر •
والبول في الماء الراكد والجاري وجحر النمل والمغتسل وحبه
في الاناء وقد ورد النهي عن ان يبال في الماء الراكد والجاري
وان لا ينقع بول في طشت في بيت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
نهى ان يبول الرجل في مستحمه وقال ان عامة الوسواس منه
ولا يجوز ان لا يجامع زوجته اصلا مع القدرة اذ يجب البيتوتة
والمجامعة معها احيانا وان يعزل عند الجماع بخلاف امته فانه
لا يجب مجامعتها اصلا وان يترك الختان بلا عذر كالمرض
وكبر السن في بيان آفات البطن اعلم اولا ان اعظم المضرات
للانسان شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوى من دار القرار الى دار الذل
والافتقار فالبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ومنبت الادواء والآفات
اذ يتبعها شهوة الفرج وشدة الشبق الى المنكوحات ثم يتبع شهوة المطعم والمنكح

شدة الرغبة في المال والجاه الذين هما الوسيلة الى التوسع في المطعومات
والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات
وضروب المنافسات والمحاسدات ثم يتولد منهما آفة الدنيا
وغائلة التفاخر والتكاثر والكبرياء ثم يتداعى ذلك الى الحسد والحقد
والعداوة والبغضاء ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء
وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلاء
فلو اكل ما اكل من الطيبات ليرفق مطيته حتى لا يقصر في طرق الطاعات
والصالحات فذلل نفسه بالجوع والصبر عن المشتهيات المحرمات
حتى ضيق به مجاري الشيطان لاذعنت لطاعة الله تعالى
ولم تسلك سبيل البطر والطغيان • وبالجملة ان في تقليل الاكل
والاجتناب عن كثرته ومداومة الشبع صحة الجسم وجودة الحفظ
والذكاء وصفاء القلب وخفة المؤنة وامكان القناعة والله الموفق •
فاما آفة البطن وهي بمنزلة الآفات فمرادها الحرام لعينه كالخمر
والدم ولحم الخنزير ونحوها او لغيره كالمسروق والمغصوب وما يقرب منه
وهو ما يكون مكروها تحريما وما يملكه خبيثا بالعقد الفاسد ونحوه
مما يجب فسخه او تصدقه والاكل فوق الشبع بلا قصد صوم غد
او اكرام ضيف واكل ما يضر البدن كالتراب والطين والجص

ونحوها وشربه واما اكل ما فيه نجس كلحم الحية للتداوى اذا انحصر فيه فقد اختلفوا
فيه وجوز بعضهم بلا انحصار ايضاً اذا عرف فيه الشفاء ولو باخبار
الطبيب الحاذق فان الضرورات تبيح المحظورات • ويكره الاكل
فى السوق بمرأى الناس وفى الطريق وعند المقابر واكل طعام
الميت والاكل من اوانى الذهب والفضة والشرب منهما للرجال
والنساء وكذا الاكل بملعقة الذهب والفضة وكذا الاكتحال بميل الذهب
والفضة وكذا احراق العود فى مجمر الذهب والفضة واما المذهب
والمفضض فيجوز استعماله عند الامام ابى حنيفة رحمه الله اذا لم يضع فمه
على الذهب والفضة • قال فى التاتارخانية وكان ابو حنيفة رحمه الله
لايرى بالاناء المفضض باسا اذا وضع فاه على العود او على الكوز
وقال ايضا فى الجامع الصغير عن ابى حنيفة رحمه الله انه كان يكره الاكل
والشرب فى انية الفضة والذهب والادهان فيها قالوا وهذا
اذا كان يصب الدهن من الآنية على رأسه او بدنه اما اذا ادخل يده
فى الاناء واخرج منها الدهن ثم استعمله فلا بأس وكذلك اذا اخذ
الطعام من القصعة ووضعه على خبز او ما اشبه ذلك ثم اكل
لابأس به • قال ويستوى فيه الرجل والمرأة يعنى فى الاكل والشرب
من الذهب والفضة انتهى • وفى الهداية ولايجوز الاكل والشرب

والادهان

والادهان والتطيب انتهى • وكره ان يؤكل على خوان الذهب
والفضة وان يؤكل طعام ضيافة عند لعب ولهو وسائر المنكرات
وان يؤكل طعام حصل فيه العلم او الظن الغالب على انه اتخذ للريا والسمعة
والمستحب ان يؤكل على السفرة والخوان وكره ايضا ان يؤكل
من وسط الطعام ومما يلى غيره اذا كان لونا واحدا ويكره ترك
التسمية وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اكل احدكم
طعاما فليقل بسم الله فان نسى فى الاول فليقل فى الآخر بسم الله
فى اوله وآخره والاكل بشماله والشرب بها قال بعضهم بل الاخذ بها
والاعطاء بها ويكره قطع اللحم ونحوه بالسكين عند عدم الحاجة
وروى عن صفوان بن امية رضى الله عنه انه قال كنت اكل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ اللحم بيدى من العظم فقال
ادن اللحم من فيك فانه اهنأ وامرأ ويكره مسح السكين واليد
بالخبز وبعضهم جوز ان اكل بعده واذا اكل اكثر من حاجته
ليتقيأ قال الحسن البصرى روح الله روحه لا بأس به قال رايت
انس بن مالك رضى الله عنه ياكل الوانا من الطعام ويكثر ثم
يتقيأ وينفعه ذلك ولا ياكل طعاما حاراً ولا يشم ويكره رمى ما
فى الفم والانف من الطعام والبزاق والمخاط نحو القبلة وروى

ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان يشرب من ثلمة القدح وان ينفخ
في الشراب ويكره اعطاء الشارب بعد الشرب الى من في يساره
بلا اذن من في اليمين ويكره الشرب بنفس واحد والتنفس في الاناء
بل باسم الله في اوله والحمد لله في آخره لازم لازب كما مضى فيما سبق
وفي الاحياء وكان معروف الكرخي روح الله روحه يهدى اليه
طيبات الطعام فياكل فيقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا
فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم يقول انما انا
ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا اجوعني صبرت
مالي وللاعتراض والتميز ودفع ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه
دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواريا فقال
يا ابا اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال
واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال انتهى فاذا عرفت هذا فاعلم
ان ترك الاكل والشرب الى ان يفضي الى ترك الواجبات
والسنن حرام ومعصية اللهم اعنا على قيام طاعتك
في بيان آفات اليد اعلم وفقك الله وايانا ان اكثر
آفات اليد ما كان حراما كالقتل والجرح لنفسه او غيره بلا حق
او مكروها كقتل النملة بدون الاذى والهرة اذا لم تكن موذية

والمثلة

والمثلة وضرب الوجه مطلقا والضرب بغير حق والغصب
والغلول والسرقة واخذ الغني او الهاشمي او الاصل والفرع
الزكوة والعشر والنذر والفطر والكفارة واللقطة وما وجب
تصدقه من المال الخبيث قد مضى ذكره فيما سبق خصوصا في
الباب الاول والثاني والثالث والرابع من المقصد الخامس
نعوذ بالله من الافات **في بيان افات الرجل** اعلم ان
جميع ما يلقى العبد في الدنيا لا يخلو من نوعين احدهما ما يوافق
هواه والآخر ما لا يوافقه فلا يخلو عن احدهما وكلاهما في جميع الاحوال
فالنوع الثاني وهو ما لا يوافق الهوى والطبع يتحمله اما باختياره
او غيره والاول وهو ما يوافق الهوى هو صحة الاعضاء وسلامة
الجوارح وذلك نعمة عظيمة يحتاج صاحبها الى شكر منشئها ومنعمها
قال عز من قائل قل هو الذي انشأكم وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة قليلا ما تشكرون ولكل نعمة شكر يليق بها فشكر نعمة اليد
ان يصدر منه الجميل كانواع الاحسان والصدقة التي لا يتبعها اذى
وشكر نعمة الرجل ان يمشي في سبل الطاعات والحسنات والى الهدايات
ويسعى في طرق الاعمال الصالحات والخيرات والمبرات وان لا يمشي في
طرق المحرمات ولا يذهب الى مجالس الفساق والملاهي والمنكرات

اما لفعلها او للنظر اليها كالسرقة وشرب الخمر وانواع الملاهي من
اللعب واللهو والرقص على طريق اللعب واللهو وسائر ما بين حرمته
وكراهته في كتب الفقه فاذا عرفت هذا فاعلم ان من كان حاله على ما تقدم
من شكر النعمة فهو على الصراط المستقيم واما من لم يضبط نفسه
عن الاسترسال والركون الى الدنيا والانهماك في ملاذها مباحا
او غير مباح فهو اضل باتباعه هواه بغير هدى من الله ومكب على وجهه
محتاج الى الرجوع والانابة قال تعالى ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وقال تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى امن يمشي سويا
على صراط مستقيم فالمؤمن المتقي يواظب الشكر على نعم الله تعالى ويعلمه
على من لا يعلمه اذ حاله ان يحب لهم ما يحب لنفسه ويراجع العلماء فيما
لا يعلمه عملا بقوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقد تقدم
مراتب العلماء وقال عز شانه نرفع درجات من نشاء وفوق
كل ذي علم عليم وقال تعالى وقل رب زدني علما والله سبحانه وتعالى
يهدينا الى الحق وتحقيقه ويسددنا بمنه وجوده بتوفيقه ربنا هب لنا
من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا ربنا لا تزغ قلوبنا بعد
اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا آتنا
في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار فانك انت

واسع

واسع الرحمة والجود ومفيض الجود على كل موجود فالحمد لله والسلام
على عباده الذين اصطفى ولقد من الله سبحانه وتعالى على عبده
حيث فتح ابواب رشده بجمع هذه العوائد ونظم تلك الفرائد
في قلادة شرح النصيحة المرصع بالكلمات المرغوبة الفصيحة
المسمى برشحة النصيح من الحديث الصحيح وقد وقع الشروع الى هذا
الجمع في يوم الاربعا العاشر من سابع العشر السادس وتمام
بياضه في اليوم السبت الرابع عشر من رابع العشر
السابع من العشر العاشر من سني المائة
الاولى بعد الالف من الهجرة النبوية
على صاحبها افضل التحية
والحمد لله اولا وثانيا

م

باب ان قارون كان من قوم موسى الآية هو قارون بن يصهر بن قاهث وقيل يصعد بن يصهر بن عم موسى وقيل كان عم موسى
والاول اصح فقد روى ابن ابي حاتم باسناد صحيح عن ابن عباس انه كان ابن عم موسى قال وكذا قال
قتادة وابراهيم النخعي وعبد الله بن الحارث وسماك بن حرب واختلف في تفسير بغى قارون
فقيل الحسد لانه قال ذهب موسى وهرون بالامر فلم يبق لي شيء وقيل انه واطأ امرأة من
البغايا ان يقذف موسى بنفسها فالهمها الله ان اعترفت بانه هو الذي حملها على ذلك
وقيل الكنز لانه طغى بكثرة ماله وقيل هو اول من اطال ثيابه حتى زادت على قامته شبرا

شرح البخاري
لابن حجر

وذكر السدي في تفسيره عن مشايخه باسانيده ان سبب قتل قابيل لاخيه هابيل ان آدم كان يزوج
ذكر كل بطن من ولده بانثى الآخر وان اخت قابيل كانت احسن من اخت هابيل فاراد قابيل
ان يستأثر باخته فمنعه آدم فلما الح عليه امرهما ان يقربا قربانا فقرب قابيل حزمة من زرع
وكان صاحب زرع وقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب مواشي فنزلت نار
فاكلت قربان هابيل دون قابيل فكان ذلك سبب الشر بينهما وهذا هو المشهور شرح البخاري
لابن حجر